



**مَجَلَّةُ جَامِعَةِ أُمِّ الْقُرَى**  
**لِلْعُلُومِ الشَّرِيعَةِ وَالدراسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ**

**العدد (٧٠)**

**شعبان ١٤٣٨هـ / مايو ٢٠١٧م**

**الجزء الأول**

**رقم الإيداع ١٤٣٣/٢٥٥ تاريخ ١٥/٩/١٤٣٣هـ / ردمد ٤٦٤٣-١٦٥٨**

## قواعد النشر

١- تُقبل الأعمال المقدمة للنشر في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية حسب المواصفات التالية:

- أ. يقدم صاحب البحث أربع نسخ ورقية، ونسخة واحدة على أسطوانة ممغنطة (CD).
- ب. يطبع البحث على برنامج Microsoft Word بالخط العربي التقليدي Traditional Arabic بنط ١٦ بمسافتين على وجه واحد، مقاس A4 (٢١ X ٢٩,٧ سم)، بما لا يزيد حجم البحث عن أربعين صفحة، بما فيها المراجع والملاحق والجداول.
- ج. ترقم صفحات البحث ترقيماً متسلسلاً، بما في ذلك الجداول والأشكال وقائمة المراجع، وتطبع الجداول والصور والأشكال واللوحات على صفحات مستقلة، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن، وتكون الهوامش مكتوبة بطريقة آلية وليست يدوية.
- د. يرفق ملخصان بالعربية والإنجليزية لجميع الأبحاث، بما لا يزيد عن ٢٠٠ كلمة.
- هـ. يكتب المؤلف اسمه وجهة عمله على ورقة مستقلة، مع إرفاق نسخة موجزة من سيرته الذاتية، وتعد خطي موقع من الباحث/ الباحثين بعدم نشر البحث، أو تقديمه للنشر لدى جهات أخرى.
- و. تُرفق أصول الأشكال مرسومة باستخدام أحد برامج الحاسب الآلي ذات العلاقة على أسطوانة ممغنطة (CD).

٢- يشار إلى جميع المصادر ضمن البحث بالإشارة إلى اسم المؤلف الأخير وسنة النشر والصفحة عند الاقتباس المباشر مثلاً (أبو زيد، ١٤٢٥هـ، ص ١٧). وإذا كان هناك مؤلفان، فيذكر الاسم الأخير لهما مثلاً (القحطاني والعدناني، ١٤٢٦هـ، ص ٥٣). أما إذا كان هناك أكثر من مؤلفين للمصدر الواحد فيشار إليهم هكذا (القرشي وآخرون، ١٤٢٧هـ، ص ١١٢) وفي حالة الإشارة إلى مصدرين لمؤلفين مختلفين فيشار إليهما هكذا (المكي، ١٤١١هـ؛ المدني، ١٤٠٩هـ)، وفي حالة وجود مصدرين لكاتب واحد في سنة واحدة، فتتم الإشارة إليهما هكذا (المحمدي، ١٤٢٠هـ أ، ١٤٢٠هـ ب).

٤- تعرض المصادر والمراجع في نهاية البحث، على أن ترتب هجائياً، حسب اسم العائلة للمؤلف، ثم الأسماء الأولى أو اختصاراتها، متبوعاً باسم الكتاب أو المقال، ثم رقم الطبعة فاسم الناشر (في حالة الكتاب) أو المجلة (في حالة المقالة)، ثم مكان النشر (في حالة الكتاب) وتاريخ النشر. أما في حالة المقال فيضاف رقم المجلة، أو السنة، والعدد، وأرقام الصفحات.

٥- يمنح الباحث عشر مستلآت من بحثه، مع نسخة من العدد الذي يظهر فيه عمله. كما تمنح نسخة واحدة من العدد هدية لكاتب المراجعة العلمية، أو التقرير، أو ملخص الرسالة الجامعية.

المراسلات: ترسل جميع الأعمال والاستفسارات مباشرة إلى رئيس تحرير مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية. ص. ب ٧١٥، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

البريد الإلكتروني: E-mail: jll@uqu.edu.edu.sa

حقوق الطبع: تُعبّر المواد المقدمة للنشر عن آراء مؤلفيها، ويتحمل المؤلفون مسؤولية صحة المعلومات ودقة الاستنتاجات. وجميع حقوق الطبع محفوظة للناشر (جامعة أم القرى)، وعند قبول البحث للنشر يتم تحويل ملكية النشر من المؤلف إلى المجلة.

التبادل والإهداء: توجه الطلبات إلى رئيس تحرير المجلة، جامعة أم القرى، ص. ب ٧١٥، مكة المكرمة. الاشتراك السنوي: خمسة وسبعون ريالاً سعودياً أو عشرون دولاراً أمريكياً، بما في ذلك أجور البريد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## هيئة الإشراف والتحرير

### المشرف العام

معالي مدير الجامعة

د. بكري بن معتوق عساس

### نائب المشرف العام

سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

د. ثامر بن حمدان الحربي

### رئيس هيئة التحرير

أ.د. يوسف بن علي الثقفي

### هيئة التحرير

عضواً	أ.د. عبدالله بن سعيد الغامدي
عضواً	أ.د. عبدالله بن مصلح الثمالي
عضواً	أ.د. لطف الله بن ملا خوجة
عضواً	أ.د. غالب بن محمد الحامضي
عضواً	أ.د. أحمد بن قوشتي مخلوف
عضواً	د. محمد بن عبدالله الصواط
عضواً	أ.د. أفنان بنت محمد التلمساني
عضواً	أ.د. وفاء بنت عبدالله المزروع



## المحتويات

### أولاً: الحديث:

- أحاديث أم عطية الأنصارية رضي الله عنها التي عليها العمل عند الفقهاء  
دراسة فقهية حديثة  
د. خالد بن أحمد بابطين..... ٩٢-١١

### ثانياً: التفسير:

- عزو نشأة القراءات القرآنية إلى اختلاف مرسُوم المصاحف العثمانية عرض  
ونقد  
د. حبيب الله بن صالح بن حبيب الله السُّلمي..... ١٣٦-٩٥

### ثالثاً: الفقه وأصوله:

- ليلة القدر دراسة فقهية فلكية مقارنة  
د. نورة بنت زيد الرشود..... ١٩٦-١٣٩

### رابعاً: الثقافة الإسلامية:

- الإنفاق الخيري بين المسلمين وغيرهم  
د. عبدالرحمن بن عبدالله الخميس..... ٢٩٤-١٩٩

**خامساً: التاريخ والحضارة الإسلامية:**

- الأمن في مكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود ١٣٤٣ - ١٣٧٣هـ /  
١٩٢٤ - ١٩٥٣م دراسة تاريخية تحليلية  
د. منصور بن معاضه العمري..... ٢٩٧ - ٣٤٤

**أولاً: الحديث**



أحاديث أم عطية الأنصارية رضي الله عنها  
التي عليها العمل عند الفقهاء  
دراسة فقهية حديثة

إعداد

د. خالد بن أحمد بابطين

أستاذ الفقه المشارك بجامعة أم القرى



## أحاديث أم عطية الأنصارية رضي الله عنها التي عليها العمل عند الفقهاء دراسة فقهية حديثية د. خالد بن أحمد بابطين

### ملخص البحث

هذا البحث مداره على خمسة أحاديث روتها أم عطية الأنصارية - على قلة روايتها عن النبي ﷺ - عليها العمل والفتوى عند فقهاء الأمصار قديماً وحديثاً، وقد اشتمل على مبحث تمهيدي، وخمسة مباحث رئيسة رتبها على ترتيب كتب الفقه مبتدئاً بحديثها في الحيض، ثم في صلاة العيدين، ثم في الجنائز؛ وفيه حديثان، ثم الإحداد.

جاء المبحث التمهيدي في ترجمة مختصرة لأم عطية. أما المبحث الأول فكان: حديثها في الحيض، وانتظمه خمسة مطالب: الأول: بيان المفردات الغريبة في الحديث. الثاني: في أن الحديث له حكم الرفع. الثالث: حكم الكدرة والصفرة قبل الحيض. الرابع: حكم الكدرة والصفرة أثناء الحيض. الخامس: حكم الكدرة والصفرة بعد الحيض. أما المبحث الثاني: فكان حديثها صلاة العيدين، وانتظمه أربعة مطالب: الأول: حكم صلاة العيدين. والثاني: حكم حضور النساء لصلاة العيد. والثالث: الحكمة من الأمر باجتنب الحَيْض المصْلَى. والرابع: ثمرة حضور النساء لصلاة العيدين يوم القيامة. أما المبحث الثالث: فكان حديثها في الجنائز، وانتظمه ستة مطالب: الأول: حكم غسل الميت. والثاني: السبب في وجوب غسل الميت. والثالث: أولى النساء بغسل المرأة؟ والرابع: كم عدد الغسلات؟ والخامس: السنة البداء بالميامن ومواضع الوضوء. والسادس: نقض شعر المرأة وجعله ثلاثة قرون وإلقاؤه خلفها. وأما المبحث الرابع: فكان حديثها في النهي عن اتباع الجنائز، وانتظمه ثلاثة

مطالب: الأول: الحديث له حكم الرفع. والثاني: حكم اتباع النساء الجنائز. والثالث: الحكمة من نهي النساء عن اتباع الجنائز.

وأما المبحث الخامس والأخير: فهو حديثها في الإحداد، وانتظمه ستة مطالب: الأول: بيان المفردات الغريبة في الحديث. والثاني: الحديث له حكم الرفع. والثالث: حكم الإحداد. والرابع: الحكمة من مشروعية الإحداد. والخامس: ما تمتنع عنه المرأة الحادة. والسادس: التنبيه على أمور مخالفة للشرع في الإحداد. ثم خُتم البحث بأهم النتائج في نقاط مختصرة، دُيِّلت بمصادر ومراجع البحث. والحمد لله أولاً وآخراً.

**Hadeeth's of Umm-Atyyia Al-Ansaryyia  
(May Allah Be Pleased with Her)  
That Fiqh Scholars Comply with: A Study Both in Fiqh  
And Hadeeth Aspects**

**Prepared By**  
**Dr. Khalid ben Ahmad Babtain**  
Associate Prof. of Fiqh at Umm-Ul-Qura University

**Abstract:**

This paper studies five Hadeeth's narrated by Umm-Atyyia Al-Ansaryyia (despite her little narrations to the Prophet, may Allah's Salaam be upon Him); of which Global Fiqh scholars worked and made Fatwa accordingly, both in the past and nowadays.

The study has a preface and five chapters, that were put in the same order as Fiqh Books; namely starting with her Hadeeth concerning menstruation, then Eed Prayers, then Funeral (two Hadeeth's), and finally widowhood.

The preface introduces briefly Umm-Atyyia Al-Ansaryyia. The first chapter depicts her Hadeeth concerning menstruation, and illustrates it in five sections. The first, clarifies its wording. The second, rules that it is treated as endorsed to the Prophet, may Allah's Salaam be upon Him. The next three sections are for the rulings of uncleanness and yellowness that shows up before, during, and after menstruation, respectively.

The second chapter depicts her Hadeeth concerning Eed prayers. It illustrates it in four sections. The first is for the ruling of Eed prayers. The second is for the ruling of women attendance to Eed Prayers. The third is for the wisdom behind ordering women in menstruation to avoid prayer places. The fourth is for the benefit in the judgment day to women attending Eed prayers.

The third chapter depicts her Hadeeth concerning Funeral. It is illustrated in six sections. The first is for the ruling of washing the dead. The second is for the reason behind ordering to wash the dead. The third, clarifies who is the most appropriate woman to wash a dead woman. The fourth is for the counts of washings. The fifth, clarifies that it is of Sunnah to start washing right members as well as Wodo members. The sixth is for disbanding the hair of a dead woman and making it in three branches thrown behind her.

The fourth chapter depicts her Hadeeth concerning women ordered not to follow Funeral. It is illustrated in three sections. The first, rules that it is treated as endorsed to the Prophet, may Allah's Salaam be upon Him. The second is for the ruling concerning women following Funeral. The third is for the wisdom behind women ordering not to follow Funeral.

The fifth (last) chapter depicts her Hadeeth concerning widowhood. It is illustrated in six sections. The first, clarifies its wording. The second, rules that it is treated as endorsed to the Prophet, may Allah's Salaam be upon Him. The third is for the ruling of widowhood. The fourth is for the wisdom behind ordering widowhood. The fifth is for things that widows should avoid. The sixth, clarifies some widowhood habits which are not in agreement with Shareeah.

The study concludes with a listing of most important results. References are finally appended. Thanks to Allah at start and end.

## مقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن أصحاب النبي ﷺ كانوا أبرّ الناس، وأفقههم، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وما دلّت عليه، وذلك لقربهم منه عليه الصلاة والسلام، وأخذهم عنه مباشرة بلا واسطة.

ومن تلك الثلة المباركة؛ الصحابية الجليلة أم عطية الأنصارية رضي الله عنها، فلقد كانت من فضليات الصحابيات، ومن الفقيهات العالمات، فإن أحاديثها التي روتها عن الرسول ﷺ - وبخاصة ما رواه الشيخان - عليها المدار في العمل والفتوى عند الفقهاء وأهل العلم.

وهذا الأمر هو الذي دعاني للكتابة في فقه أم عطية رضي الله عنها، وجمع أحاديثها التي عليها العمل؛ ولهذا لن تحطّ عين القارئ في المدونات الفقهية، وفي شروح الحديث حديثاً لأم عطية الأنصارية يُجمع أهل العلم على الاستدلال به، وبناء أحكام فقهية عليه.

ومن ذلك على سبيل التمثيل:

قول الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - : «ليس في حديث غسل الميت أرفع من حديث أم عطية، ولا أحسن منه»<sup>(١)</sup>. وقال الحافظ ابن عبد البر: «حديثها أصل في غسل الميت»<sup>(٢)</sup>. وقال البيهقي تعليقاً على حديثها في النهي عن اتباع الجنائز: «... إلا أن أصح ما روي في ذلك صريحاً حديث أم عطية»<sup>(٣)</sup>. ونظائر ذلك كثير.

وقد جعلت البحث في خمسة مباحث، تقدّمها مبحث تمهيدي، اشتمل كل مبحث على عدة مطالب، ثم ختمته بخاتمة أوردت فيها أبرز نتائج البحث.

أما المباحث والمطالب فهي الآتية:

مبحث تمهيدي: في ترجمة أم عطية الأنصارية.

\* أما المبحث الأول: فهو حديثها في الحيض.. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: بيان المفردات الغريبة في الحديث.

المطلب الثاني: الحديث له حكم الرفع.

المطلب الثالث: حكم الكدرة والصفرة قبل الحيض.

المطلب الرابع: حكم الكدرة والصفرة أثناء الحيض.

المطلب الخامس: حكم الكدرة والصفرة بعد الحيض.

\* أما المبحث الثاني: فهو حديثها في إخراج النساء لصلاة العيدين.. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حكم صلاة العيدين.

المطلب الثاني: حكم حضور النساء لصلاة العيد.

المطلب الثالث: الحكمة من الأمر باجتنب الحَيْض المصْلَى.

المطلب الرابع: ثمرة حضور النساء لصلاة العيدين يوم القيامة.

\* أما المبحث الثالث: فكان حديثها في الجنائز.. وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: حكم غسل الميت.

المطلب الثاني: السبب في وجوب غسل الميت.

المطلب الثالث: أولى النساء بغسل المرأة؟

المطلب الرابع: كم عدد الغسلات؟

المطلب الخامس: السنة البداءة بالميامن ومواضع الوضوء.

المطلب السادس: نقض شعر المرأة وجعله ثلاثة قرون وإلقاؤه خلفها.

\* وأما المبحث الرابع: فهو حديثها في النهي عن اتباع الجنائز.. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحديث له حكم الرفع.

المطلب الثاني: حكم اتباع النساء الجنائز.

المطلب الثالث: الحكمة من نهي النساء عن اتباع الجنائز.

\* وأما المبحث الخامس والأخير: فهو حديثها في الإحداد.. وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: بيان المفردات الغريبة في الحديث.

المطلب الثاني: الحديث له حكم الرفع.

المطلب الثالث: حكم الإحداد.

المطلب الرابع: الحكمة من مشروعية الإحداد.

المطلب الخامس: ما تمتنع عنه المرأة الحادّة.

المطلب السادس: التنبيه على أمور مخالفة للشرع في الإحداد.

\* وقد أسميته: « أحاديث أمّ عطية الأنصارية رضي الله عنها التي عليها العمل عند

الفقهاء - دراسة فقهية حديثة ».

### منهج البحث:

سرتُ في بحثي على منهج علمي أُلخّصه في الآتي:

- ١ - جمعت أحاديث أمّ عطية رضي الله عنها المشهورة - مما رواه الشيخان البخاري ومسلم - التي عليها العمل عند الفقهاء.
- ٢ - ربّيت الأحاديث على كتب الفقه مبتدئاً بالحیض، ثم صلاة العیدین،... وهكذا.
- ٣ - جعلت لكل حديث عنواناً بارزاً يدل على موضوعه ومسائله.
- ٤ - ذكرت الخلاف في المسائل التي دلّ عليها الحديث، مع إيراد أدلة كل فريق حسب الإمكان.
- ٥ - أوردت وجه الدلالة من كل دليل أسوقه.
- ٦ - أوردت الاعتراضات والمناقشات التي قد ترد على الأدلة، والجواب عنها قدر الاستطاعة.
- ٧ - جعلت ما نقلته من أقوال أهل العلم بالنص بين علامتي التنصيص «...»، ثم أذيل ذلك في الهامش بذكر المصدر مباشرة. وأما ما أنقله بالمعنى فإني لا أجعله بين علامتي التنصيص، ثم أذيل ذلك في الهامش بعبارة: «انظر كذا...».
- ٨ - وثقت الأقوال والمذاهب والنصوص من مصادرها الأصيلة.
- ٩ - عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها في القرآن العظيم، ملتزماً بإيرادها بالرسم العثماني، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية عقب الاستشهاد بها.
- ١٠ - خرّجت الأحاديث والآثار الواردة في البحث من مصادر السنة المعتمدة، فإن كان الحديث أو الأثر في «الصحيحين» أو أحدهما اقتضت عليه، مكتفياً بذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث. وإن كان في غيرهما من «السُنن» فإني أحاول نقل تصحيح أو تضعيف علماء الحديث والمشتغلين بالسُّنة له.

- ١١ - عرّفت بالمصطلحات الفقهية والأصولية.
- ١٢ - عُنيت عناية فائقة بشرح الكلمات الغريبة من مصادرها.
- ١٣ - لم تُترجم لأحد من الأعلام.
- ١٤ - ختمت البحث بخاتمة، ذكرت فيها أبرز ما توصلت إليه من نتائج وأحكام.

والحمد لله أولاً وآخراً،،

### مبحث تمهيدي: في ترجمة أم عطية الأنصارية<sup>(٤)</sup>

لم تحفل المصادر التي ترجمت لأُمّ عطية رضي الله عنها بمعلومات وافية عنها، إذ أنها شحيحة إذا قوبلت ببعض تراجم الصحابييات رضي الله عنهن، مع أنها كانت «من فضلات الصحابييات، والغازيات منهن مع رسول الله ﷺ»<sup>(٥)</sup>، ومن الفقيهات العالمات.

#### اسمها ونسبها:

هي نُسَيْبِيَّة - بنون وسين مهملة وباء موحدة مصعّر - . وقيل: نُسَيْبِيَّة - بفتح النون وكسر السين - بنت الحارث الأنصارية. وقيل: بنت كعب. وهي غير نُسَيْبِيَّة بنت كعب المعروفة بـ «أُمّ عمارة»، ولذا أنكره ابن عبد البر<sup>(٦)</sup>.

وقد تردّد المترجمون لها في ذلك، فبعضهم جعلها شخصية واحدة، وبعضهم فرّق بينهما، فابن ماكولا<sup>(٧)</sup>، والكلاباذي<sup>(٨)</sup>، وابن الجوزي<sup>(٩)</sup> فرّقوا بينهما.

وتردّد أبو الوليد الباجي فيهما فقال: «ويحتمل أن تكون نُسَيْبِيَّة هذه أم عطية، ويحتمل أن تكون أم عمارة. والله أعلم وأحكم»<sup>(١٠)</sup>. وأشار النووي في «تهذيب الأسماء»<sup>(١١)</sup> إلى الخلاف فيها ولم يرجح أحد القولين.

جدير بالذكر؛ أن الحافظ ابن حجر أورد في «الإصابة»<sup>(١٢)</sup> عقب ترجمة أم عطية الأنصارية صحابية أخرى سمّاها «أُمّ عطية الخافضة»، وفرّق بينهما.

#### ذكر من روت عنه:

روت عن النبي ﷺ، وعن عمر بن الخطاب ؓ.

#### ذكر من روى عنها:

سمع منها من الصحابة أنس بن مالك. ومن التابعين: محمد بن سيرين، وأخته

حفصة بنت سيرين، وأم شراحيل، وعلي بن الأقرم، وإسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية، وعبد الملك بن عمير، وغيرهم.

#### مناقبها:

كانت الصحابية الجليلة أم عطية رضي الله عنها من فقهاء الصحابة رضي الله عنهم وعلمائهم، وصفها الذهبي بقوله: «من فقهاء الصحابة، لها عدة أحاديث»<sup>(١٣)</sup>. وقال الحافظ ابن عبد البر: «من كبار نساء الصحابة رضوان الله عليهم»<sup>(١٤)</sup>. وتقدم الإشارة لقول النووي: «من فضلات الصحابيات، والغازيات منهن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم»<sup>(١٥)</sup>. وقد كانت من أعلم الناس بغسل الموتى، وحديثها في غسل بنت النبي صلى الله عليه وسلم «أصل السنة في غسل الموتى، وعليه عوّل العلماء»<sup>(١٦)</sup>.

وقد جزم ابن عبد البر في ترجمتها بأنها كانت غاسلة الميتات<sup>(١٧)</sup>. وتبعه النووي في «شرح مسلم»<sup>(١٨)</sup>.

ولهذا كان «جماعة من الصحابة وعلماء التابعين بالبصرة يأخذون عنها غسل الميت»<sup>(١٩)</sup>. ومن أخذ عنها حديث غسل الميت محمد بن سيرين، فكان أعلم التابعين بعمل الموتى وما يتعلق بهم، وأخذه عنه أبو أيوب السخيتاني فكان أعلم الناس بتغسيل الموتى بعد شيخه ابن سيرين<sup>(٢٠)</sup>.

#### ومن مناقبها رضي الله عنها:

أنها كانت من المجاهدات الغازيات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، تقوم بأدوار جليلة في الغزو، تحفظ للمجاهدين أمتعتهم ورواحلهم، وتصنع لهم الطعام، وتداوي جرحاهم، وتشرف على مرضاهم. تقول رضي الله عنها كما في «صحيح مسلم»<sup>(٢١)</sup>: «غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم، وأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على الزمى»<sup>(٢٢)</sup>.

### وفاتها:

ذكرت المصادر أن أم عطية رضي الله عنها انتقلت إلى البصرة في آخر حياتها تبحث عن ولد لها هناك - كان غازياً فقدم البصرة -، فبلغها وهي بالمدينة قدومه وهو مريض، فرحلت إليه فمات قبل أن تلقاه، وكان قدومها البصرة بعد موته بيوم أو يومين<sup>(٢٣)</sup>. ويبدو أنها استقرت هناك، فأخذ عنها البصريون حديثها، وما رَوَتْ عن رسول الله ﷺ. ولم تذكر المصادر سنة وفاتها على وجه التحديد، وقد أشار الحافظ الذهبي أنها عاشت إلى حدود سنة سبعين من هجرة النبي ﷺ<sup>(٢٤)</sup>.

### المبحث الأول: حديثها في الحيض<sup>(٢٥)</sup>

حديث أم عطية - رضي الله عنها - في الحيض مشهور عند أهل العلم، عليه العمل عند فقهاء الإسلام، فلا تخلو فتوى من فتاوى الحيض إلا ويُستدل فيها بحديثها، ولا يمكن لشارح متن فقهي أن يتجاهل حديثها في الكُدرة والصُّفرة، وهو صريح فيما دلَّ عليه، مع التنويه إلى أن مسائل الصُّفرة والكُدرة من المسائل التي تمسُّ حاجة النساء إليها.

قال النووي في «المجموع»: «اعلم أن مسائل الصُّفرة مما يعمُّ وقوعه، وتكثر الحاجة إليه، ويعظم الانتفاع به»<sup>(٢٦)</sup>. «ومعلوم أن الحيض من الأمور العامة المتكررة، ويترتب عليه ما لا يُحصى من الأحكام، كالطهارة والصلاة والقراءة والصوم والاعتكاف والحج والبلوغ والوطء والخلع والإيلاء وكفارة القتل وغيرها، والعدة والاستبراء، وغير ذلك من الأحكام؛ فيجب الاعتناء بما هذه حاله»<sup>(٢٧)</sup>.

وقال: «اعلم أن باب الحيض من عويص الأبواب، ومما غلط فيه كثيرون من الكبار لدقة مسائلة، واعتنى به المحققون، وأفردوه بالتصنيف في كتب مستقلة»<sup>(٢٨)</sup>. والحديث - كما سيأتي - يدل على أن النساء قد يرين دمًا خالصًا، ويرين كُدرةً، ويرين صفرةً، وهناك قسم رابع؛ يرين ماءً أبيض، وهو القصة البيضاء<sup>(٢٩)</sup>.

نصُّ الحديث: عن محمد بن سيرين، عن أم عطية رضي الله عنها قالت: «كُنَّا لَا نَعُدُّ الْكُدْرَةَ وَالصُّفْرَةَ شَيْئًا» رواه البخاري<sup>(٣٠)</sup>. ولفظ أبي داود: «بعد الطهر شيئاً»<sup>(٣١)</sup>. وعند الدارمي: «بعد الغسل شيئاً»<sup>(٣٢)</sup>.

## مطالب الحديث:

### المطلب الأول: بيان المفردات الغريبة في الحديث.

في حديث أم عطية رضي الله عنها مفردات لا بد من التعريف بها كمصطلحات فقهية، مثل: «الكُدْرَة»، و«الصُّفْرَة»، و«التَّرِيَّة»، و«الطُّهْر». ومفردات لها صلة بذات الموضوع ك«القَصَّة البيضاء»، و«الجُفوف»؛ ليكون القارئ على معرفة بها.

١ - الكُدْرَة: بضم الكاف، وسكون الدال المهملة، ثم راء مفتوحة فتاء، مأخوذة من الكَدْر، وهو في الأصل نقيض الصَّفَاء، والاسم: الكُدْرَة والكُدْوَرَة. والكدره من الألوان: ما نحا نحو السَّوَادِ والعُبْرَة. وبعضهم يجعل الكدره في اللون خاصة، والكُدْوَرَة في الماء والعيش؛ والكَدْرُ في كل<sup>(٣٣)</sup>.

والمراد بها في الحديث: أن يكون لون الدم متكدراً، وشبهوه بغسالة اللحم<sup>(٣٤)</sup>. وحقيقتها: اللون الأحمر الذي يضرب نحو الفساد<sup>(٣٥)</sup>. قال العلامة العثيمين: «الكُدْرَة: ماء ممزوج بجمرة، وأحياناً يمزج بعروق حمراء كالعلاقة، فهو كالصديد يكون ممتزجاً بماء بيضاء وبدم»<sup>(٣٦)</sup>.

٢ - الصُّفْرَة: بضم الصاد المهملة، وسكون الفاء الموحدة، ثم راء مفتوحة بعدها تاء. والمراد بها: الماء الذي تراه المرأة كالصديد يعلوه اصفرار<sup>(٣٧)</sup>. وقيل: هي اللون الأحمر الذي يميل إلى البياض، فهو أحمر غير قان يكون بلون الذهب<sup>(٣٨)</sup>، بين بياض وسواد<sup>(٣٩)</sup>. قال العلامة العثيمين: «الصُّفْرَة: ماء أصفر كماء الجروح»<sup>(٤٠)</sup>.

٣ - التَّرِيَّة - بتشديد التاء الفوقية وكسر الراء وتشديد الياء التحتية -: تشبه غُسالَة اللحم<sup>(٤١)</sup>، وهي ما تراه المرأة بعد الحيض والاعتسال منه، من كدره أو صفرة. وقيل: هي البياض الذي تراه عند الطهر. وقيل: هي الخرقه التي تعرف بها المرأة حيضها من طهرها<sup>(٤٢)</sup>.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «التَّريَّةُ في بقية حيض المرأة - أقلُّ من الصُّفرة والكُدرة وأخفى - تراها المرأة عند طهرها لتعلم أنها قد طهرت من حيضها»<sup>(٤٣)</sup>.

تجدر الإشارة؛ أن لفظة (التَّريَّة) وردت في بعض ألفاظ حديث أم عطية رضي الله عنها، رواها إبراهيم الحربي في «غريب الحديث»<sup>(٤٤)</sup>، تقول رضي الله عنها: «كنا لا نعدُّ التَّريَّةَ الصُّفرةَ والكُدرة».

٤ - الطُّهر - بالضم - : نقيض الحيض والنجاسة، والجمع أطهار؛ والأطهار: أيام طهر المرأة، إذا انقطع دمها واغتسلت من الحيض. يقال: المرأة طاهر من الحيض، وطاهرة من النجاسة والعيوب. وطهرت المرأة، وهي طاهر: انقطع عنها الدم ورأت الطهر، فإذا اغتسلت قيل: تَطَهَّرَتْ واطَّهَّرَتْ<sup>(٤٥)</sup>. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: آية ٢٢٢].  
والطُّهر شرعاً: خلاف الحيض. قال البركوي: «الطُّهر المطلق ما لا يكون حيضاً ولا نفاساً»<sup>(٤٦)</sup>.

٥ - القَصَّةُ البَيْضاء: هي أحد علامتي الطُّهر عند غالب النساء، وهي ماء رقيق أبيض يدفعه الرَّحْم عند انقطاع الحيض، يُشَبَّه لبياضه بالقَصِّ، وهو الجَصُّ<sup>(٤٧)</sup>. وقيل كماء القَصَّة وهي الجير<sup>(٤٨)</sup>.

والمراد بها: أن تخرج القطنة أو الخرقة التي تحتشي بها الحائض كأنه قصَّة بيضاء لا يخالطها صفرة. وقيل: القَصَّة شيء كالخيط الأبيض يخرج بعد انقطاع الدم كلُّه<sup>(٤٩)</sup>.

٦ - والعلامة الثانية: الجُفوف<sup>(٥٠)</sup>، بأن تُدخل المرأة الخرقة فتخرجها جافة<sup>(٥١)</sup>، ليس به أثر الدم.

قال العلامة العثيمين: «علامة الطهر معروفة عند النساء، وهو سائل أبيض يخرج إذا توقّف الحيض، وبعض النساء لا يكون عندها هذا السائل، فتبقى إلى الحيضة الثانية دون أن ترى هذا السائل، فعلامة طهرها أنها إذا احتشت بقطنة بيضاء، أي أدخلتها محلّ الحيض ثم أخرجتها ولم تتغيّر، فهو علامة طهرها»<sup>(٥٢)</sup>.

### المطلب الثاني: الحديث له حكم الرفع.

اختلف أهل العلم في حديث أمّ عطية رضي الله عنها؛ هل هو مرفوع أو موقوف؟ ويترتب على هذا حكم الاحتجاج به، فإن كان مرفوعاً إلى النبي ﷺ فهو حجة، وإن كان موقوفاً على أمّ عطية فهو رأي واجتهاد قابل للنقاش<sup>(٥٣)</sup>.

أما المحدثون فإنهم يجعلون ما شابه قول أمّ عطية: «كنا لا نعدّ...»، على أن معناه، أي في زمن النبي ﷺ مع علمه بذلك، فيكون تقريراً منه عليه الصلاة والسلام. وهو مذهب البخاري حيث جعل مثل هذه الصيغة تعد في المرفوع ولو لم يصرّح الصحابي بذكر النبي ﷺ. وجزم به الحاكم وغيره من علماء الحديث<sup>(٥٤)</sup>؛ «لأن الصحابية تحكي حال نساء الصحابة زمن النبي ﷺ ووجوده عندهم وإقراره لهم»<sup>(٥٥)</sup>.

### المطلب الثالث: حكم الكُدرة والصفرة قبل الحيض.

لا تعتبر الكُدرة والصفرة قبل الحيض حيضاً؛ لأنها ليست في أيام الحيض. وهو قول أكثر الفقهاء، كابن المسيّب، وعطاء، والثوري، والأوزاعي، كما نقله البغوي<sup>(٥٦)</sup>.

وبه يقول الظاهرية، قال ابن حزم الظاهري: «إن الحيض إنما هو الدم الأسود وحده، وأن الحمرة والصفرة والكُدرة عرق وليس حيضاً»<sup>(٥٧)</sup>.

\* واستدلوا بحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «اعتكفت مع رسول الله ﷺ امرأة من أزواجه، فكانت ترى الصفرة والدم والطست تحتها وهي تصلي»<sup>(٥٨)</sup>.

ووجه الدلالة منه: تصريح عائشة رضي الله عنها بأن إحدى زوجات النبي ﷺ كانت ترى الصُّفرة - ونحوها الكُدرة - مع نزول دمها ولا تعتدّ بذلك ولا تعتبره شيئاً، بإقرار النبي عليه الصلاة والسلام؛ فدلّ على أن الحيض المعتبر شرعاً هو الدم الأسود الخالص<sup>(٥٩)</sup>. وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وجهاً للحنبلة<sup>(٦٠)</sup>، واختاره العلامة العثيمين<sup>(٦١)</sup>.

وذهب القاضي أبو يوسف من الحنفية إلى أنها إذا رأت الصُّفرة والكُدرة في أول أيامها لم تكن حيضاً، وإن رأتها في آخر أيامها كانت حيضاً. وعلّل ذلك بأن خروج الكُدرة يتأخر عن الصافي، فإذا تقدّمها دم أمكن جعلها حيضاً تبعاً، وأما إذا لم يتقدمها دم فلو جعلناها حيضاً كانت متبوعة لا تبعاً<sup>(٦٢)</sup>.

#### المطلب الرابع: حكم الكُدرة والصُّفرة أثناء الحيض.

دلّ منطوق الحديث<sup>(٦٣)</sup> على أنه لا حكم للكُدرة والصُّفرة بعد الطُّهر وظهور علامته، والاعتسال من الحيض. ودلّ بمفهومه<sup>(٦٤)</sup> على أن الكُدرة والصُّفرة وقت الحيض حيض، كما ذهب إليه الجمهور<sup>(٦٥)</sup>.

واستدل جمهور الفقهاء على ذلك بالكتاب، والسنة، والمعقول:

١- أما الكتاب فقول الله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَجِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي

الْمَجِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ [البقرة: آية ٢٢٢].

وجه الدلالة من الآية من وجهين:

الوجه الأول: أن الآية دلّت بعمومها على أن الخارج من الفرج زمن العادة حيض، وهذا يتناول الكُدرة والصُّفرة<sup>(٦٦)</sup>.

الوجه الثاني: أن الله تعالى جعل الحيض أذىً، واسم (الأذى) لا يقتصر على

الدم الأسود، وإنما يشمل الكُدرة والصفرة أيضاً<sup>(٦٧)</sup>.

٢ - ومن السنة: رواية علقمة بن أبي علقمة، عن أمه مولاة عائشة أم المؤمنين أنها قالت: «كان النساء يبعثن إلى عائشة أم المؤمنين بالدرجة<sup>(٦٨)</sup> فيها الكرْسُف<sup>(٦٩)</sup> فيه الصفرة من دم الحيضة يسألنها عن الصلاة، فتقول لهن: لا تعجلن حتى ترين القصة البيضاء، تريد بذلك الطهر من الحيضة»<sup>(٧٠)</sup>.

وجه الدلالة منه: أن عائشة رضي الله عنها أخبرت أن ما سوى البياض حيض، والظاهر أنها إنما قالت ذلك سماعاً من رسول الله ﷺ؛ لأنه حكم لا يدرك بالاجتهاد<sup>(٧١)</sup>.

٣ - وأما المعقول فمن أربعة أوجه:

الأول: أن الأصل فيما تراه المرأة زمن الإمكان - العادة - أن يكون حيضاً<sup>(٧٢)</sup>.

الوجه الثاني: أن الكُدرة والصفرة في زمن الحيض حيض؛ لأنهما دمٌ أشبه الأسود<sup>(٧٣)</sup>.

الوجه الثالث: أن الكُدرة والصفرة خرجا من الرحم، وهما متنتا الريح، فحكمهما حكم الحيض<sup>(٧٤)</sup>.

الوجه الرابع: أنه دم في وقته إلا أنه ممتزج بماء<sup>(٧٥)</sup>.

**المطلب الخامس: حكم الكُدرة والصفرة بعد الحيض.**

لا يُلفت للكُدرة والصفرة بعد الطهر بحال؛ لأن المرأة إذا طهرت من حيضتها - ومثله النفاس - واغتسلت ثم رأت صفرة أو كدرة فإنها لا تعتبرها شيئاً، والواجب في حقها أن تتوضأ وتصلي.

ذهب إلى ذلك طائفة من السلف، كإبراهيم النخعي، وحماد، وعطاء، وسفيان الثوري، وعبدالرحمن ابن مهدي، والأوزاعي، وسعيد بن المسيب رحمهم الله تعالى<sup>(٧٦)</sup>.

وعليه جمهور فقهاء المذاهب الأربعة، الحنفية<sup>(٧٧)</sup>، والمالكية<sup>(٧٨)</sup>، والشافعية<sup>(٧٩)</sup>، والحنابلة<sup>(٨٠)</sup>.

قال في «المغني»: «وإن رأته بعد أيام حيضها لم يعتدّ به. نصّ عليه أحمد»<sup>(٨١)</sup>.  
وقال: «وإن طهرت ثم رأت كدرَةً أو صفرةً لم يُلتفت إليها؛ لخبر أم عطية وعائشة»<sup>(٨٢)</sup>.

واستدلوا على ما ذهبوا إليه بما يأتي:

١ - بحديث أم عطية رضي الله عنها: «كُنَّا لَا نَعُدُّ الْكُدْرَةَ وَالصُّفْرَةَ شَيْئًا». وفي رواية أبي داود المتقدمة: «بعد الطهر شيئاً»<sup>(٨٣)</sup>.

ووجه الدلالة منه ظاهر، فإن الدم الزائد على الطهر المعتاد ليس بحيض<sup>(٨٤)</sup>.

٢ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في المرأة ترى ما يُريها بعد الطهر: «إنما هو عِرْق، أو عُروْق». رواه الإمام أحمد<sup>(٨٥)</sup>، وأبو داود<sup>(٨٦)</sup>، وابن ماجه<sup>(٨٧)</sup>.

وجه الدلالة منه: ما قاله الشوكاني: «هو من الأدلة الدالة على عدم الاعتبار بما ترى المرأة بعد الطهر»<sup>(٨٨)</sup>.

٣ - ولأنه تقرّر - كما سبق - أن الصفرة والكدرّة قبل الطهر - زمن الحيض - يثبت لها أحكام الحيض تبعاً للحيض؛ إذ من القواعد الفقهية المقررة (يثبت تبعاً ما لا يثبت استقلالاً)<sup>(٨٩)</sup>، أما بعد الطهر فقد انفصل، وليس هو الدم الذي قال الله فيه: ﴿هُوَ أَذَى﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فصارت الكدرّة والصفرة كسائر السائلات التي تخرج من فرج المرأة.

٤ - ولأنه دم ليس فيه أمارّة الحيض؛ فلم يكن حيضاً<sup>(٩٠)</sup>.

٥ - ولأنه دم زائد على العادة، فلم يثبت حتى يميز بال تكرار، كالزائد على العادة في

حق الاستحاضة<sup>(٩١)</sup>.

وهذا القول «في الحقيقة مع وضوحه وبيانه أريح للنساء؛ لأن بعض النساء تبقى معها الصُّفرة لمدة طويلة بعد الدم، فإذا قلنا: الحيض هو الدم المعروف - كما قال ابن حزم رحمه الله- في اللغة العربية، نقول: هذا شيء معروف ولا يحتاج إلى إشكال، ويؤيده حديث أم عطية أنهم لا يعدونه شيئاً، فهو أصوب وأقرب للصواب»<sup>(٩٢)</sup>،، وبالله تعالى التوفيق.

### المبحث الثاني: حديثها في صلاة العيدين<sup>(٩٣)</sup>

من أحاديث أم عطية رضي الله عنها التي عليها عمل الفقهاء قديماً وحديثاً، سلفاً وخلفاً؛ حديثها في صلاة العيدين، وفيه الأمر بإخراج العواتق<sup>(٩٤)</sup>، والحيض، وذوات الخدور<sup>(٩٥)</sup> للصلاة، وشهود الخير، ودعوة المسلمين.

نص الحديث: عن حفصة بنت سيرين، عن أم عطية رضي الله عنها قالت: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نُخرجهنَّ في الفطر والأضحى؛ العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين». قلت: يا رسول الله! إحدانا لا يكون لها جلباب<sup>(٩٦)</sup>. قال: «لِتُلْبِسَهَا أُخْتُهَا من جلبابها». متفق عليه<sup>(٩٧)</sup>.

### مطالب الحديث:

#### المطلب الأول: حكم صلاة العيدين.

الإجماع منعقد بين أهل العلم على مشروعيتها صلاة العيدين<sup>(٩٨)</sup>.

والأصل في ذلك قول الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢]، وهي صلاة العيد في قول طائفة من السلف، كعكرمة، وعطاء، وقتادة. وهي من أعلام

الدين الظاهرة، وشعائره الواضحة<sup>(٩٩)</sup>.

واختلفوا في فرضيتها ووجوبها على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن صلاة العيدين فرض كفاية.

وهو ظاهر مذهب الحنابلة، إذا قام بها البعض سقط الإثم عن الباقي، وأن أهل بلد لو تركوها وجب على الإمام قتالهم<sup>(١٠٠)</sup>. وقال بالوجوب أبو سعيد الإصطخري من الشافعية<sup>(١٠١)</sup>.

واستدلوا على وجوبها بما يأتي:

١ - بأمر الله تعالى بها في الآية السابقة: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢]، والأمر يقتضي الوجوب<sup>(١٠٢)</sup>.

٢ - ومجديث أم عطية رضي الله عنها، وفيه: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نُخْرِجَهُنَّ فِي الْفَطْرِ وَالْأَضْحَى». والأمر يقتضي الوجوب كذلك. «وإذا كان النبي ﷺ أمر النساء، فالرجال من باب أولى؛ لأن الأصل في النساء أنهن لسن من أهل الاجتماع»<sup>(١٠٣)</sup>.

٣ - وبمداومة النبي ﷺ على فعلها، وكذا خلفاؤه الراشدون.

٤ - ولأنها من أعلام الدين الظاهرة، وأعلام الدين الظاهرة فرض، كالأذان، والإقامة، والجمعة.

٥ - ولأنها لو لم تجب لم يجب قتال تاركها، كسائر السنن، يحققه أن القتال عقوبة لا تتوجه إلى تارك مندوب كالقتل والضرب.

القول الثاني: أنها واجبة على الأعيان.

وهو مذهب الأحناف<sup>(١٠٤)</sup>، ورواية عن الإمام أحمد، اختارها شيخ الإسلام ابن

تيمية<sup>(١٠٥)</sup>.

قال الحنفية: هي واجبة على كل من وجبت عليه صلاة الجمعة. وأشار ابن قدامة أنها واجبة على الأعيان وليست فرضاً؛ لأنها صلاة شرعت لها الخطبة فكانت واجبة على الأعيان وليست فرضاً كالجمعة<sup>(١٠٦)</sup>.

**القول الثالث:** أنها سنة مؤكدة.

وهو مذهب المالكية<sup>(١٠٧)</sup>، وعليه أكثر الشافعية<sup>(١٠٨)</sup>، وهو رواية ثالثة عند الحنابلة<sup>(١٠٩)</sup>.

واستدلوا على استحبابها وعدم وجوبها بما يأتي:

١ - بحديث الأعرابي حين علمه فرائض الإسلام، ومنها الصلوات الخمس، فسأله الأعرابي: هل عليّ غيرها؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «لا، إلا أن تطوع»<sup>(١١٠)</sup>.

ووجه الدلالة منه: أن الحديث عام تدخل فيه كل صلاة غير الصلوات الخمس، وقوله ﷺ: «لا» صريح في أنها غير واجبة<sup>(١١١)</sup>.

٢ - وبفعل النبي ﷺ لها جماعة، ومواظبته عليها.

٣ - وأنها صلاة مؤقتة لا تشرع لها الإقامة، فلم تجب بالشرع كصلاة الضحى<sup>(١١٢)</sup>.

**الترجيح:** الذي يظهر لي - والله أعلم - أنها فرض كفاية، إذا قام بها البعض سقط الإثم عن الباقيين.

#### **المطلب الثاني: حكم حضور النساء لصلاة العيد.**

ظاهر حديث أم عطية رضي الله عنها فيه الأمر بإخراج النساء شيئاً وصغاراً لصلاة العيد ووجوب ذلك عليهن، قال الحافظ ابن حجر: «وفيه نظر؛ لأن من جملة من أمر بذلك مَنْ ليس بمكأنف، فظهر أن القصد منه إظهار شعار الإسلام بالمبالغة في الاجتماع، ولتعمم الجميع البركة»<sup>(١١٣)</sup>.

وقد اختلف العلماء في هذا على ثلاثة أقوال:

القول الأول: وجوب خروج النساء للعيدين.

وبه يقول الخلفاء الراشدون الثلاثة: أبو بكر، وعمر، وعلي رضي الله عنهم، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وعلقمة، والأسود من التابعين<sup>(١١٤)</sup>.

ومن أدلتهم:

١ - حديث أم عطية رضي الله عنها المتقدّم، وفي بعض روايات الحديث: «أخرجوا العواتق وذوات الخدور ليشهدن العيد، ودعوة المسلمين، ليجتنبن الحيض مصلى الناس»<sup>(١١٥)</sup>.

٢ - حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخرج بناته ونساءه إلى العيدين»<sup>(١١٦)</sup>.

ووجه الاستدلال منه: ما قاله الصنعاني: «وهو ظاهر في استمرار ذلك منه، وهو عام لمن كانت ذات هيئة وغيرها، وصريح في الشواب وفي العجائز بالأولى»<sup>(١١٧)</sup>.

القول الثاني: استحباب خروج النساء لصلاة العيد.

وهو محكي عن بعض السلف. وقال به ابن حامد من الحنابلة<sup>(١١٨)</sup>.

وهؤلاء حملوا أحاديث الأمر بإخراجهن للعيد على الندب والاستحباب، ويقولون بأن النبي صلى الله عليه وسلم علّل خروجهن بشهود دعوة الخير ودعوة المسلمين، ولو كان واجباً لما علّل بذلك، ولكن خروجهن لأداء الواجب عليهن لامتنال الأمر.

وأجاب عنه الصنعاني بقوله: «وفيه تأمل؛ فإنه قد علّل الواجب بما فيه من الفوائد ولا يعلّل بأدائه»<sup>(١١٩)</sup>. وخصّ الشافعي استحباب حضور النساء غير ذوات الهيئات لصلاة العيد، أما ذوات الهيئات - وهن اللواتي يُشتهين لجمالهن - فيكرهه،

وكذلك المرأة الشابة؛ لما في ذلك من خوف الفتنة عليهن وبهن. وهذا هو المذهب عند الشافعية، وبه قطع جمهورهم<sup>(١٢٠)</sup>.

### القول الثالث: كراهية خروج النساء لصلاة العيد بعد النبي ﷺ.

وقال به جماعة من السلف، فقد كرهه عروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وإبراهيم النخعي، ويحيى الأنصاري، وسفيان الثوري، وعبد الله بن المبارك<sup>(١٢١)</sup>. وهو وجه عند الشافعية، حكاه الرافعي عنهم، بحيث إنه لا يستحب لهن الخروج بحال من الأحوال<sup>(١٢٢)</sup>.

وذلك لما أحدث النساء بعد عهد النبي ﷺ ما لم يكن موجوداً في زمنه. «ولأن الفتن وأسباب الشر في هذه الأعصار كثيرة بخلاف الصدر الأول»<sup>(١٢٣)</sup>. قالت عائشة رضي الله عنها: «لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المساجد كما مُنعت نساء بني إسرائيل»<sup>(١٢٤)</sup>.

قال الإمام أحمد كما في مسائل ابنه صالح: «وسألته عن النساء يخرجن إلى العيدين؟ قال: لا يعجبني في زماننا هذا»<sup>(١٢٥)</sup>. زاد في رواية ابنه عبد الله: «لأنهن فتنة»<sup>(١٢٦)</sup>. وقال الإمام أبو حنيفة: «كان النساء يرخص لهن في الخروج إلى العيد، فأما اليوم فإني أكرهه، وأكره لهن شهود الجمعة»<sup>(١٢٧)</sup>.

وأجيب عن حديث عائشة رضي الله عنها بأنه لا يدل على تحريم خروج النساء، ولا على نسخ الأمر به، بل فيه دليل على أنهن لا يُمنعن؛ لأنه ﷺ لم يمنعهن، بل أمر بإخراجهن، فليس لأحد أن يمنعهن<sup>(١٢٨)</sup>.

### القول الرابع: أن خروج النساء للعيد منسوخ.

وهو ما ذهب إليه الطحاوي، بحيث إن الأمر بخروج النساء للعيد كان في أول

الإسلام للاحتياج إليهن لتكثير سواد المسلمين؛ ليكون فيه إرهاب للعدو، ثم لما كثر المسلمون نُسِخَ<sup>(١٢٩)</sup>.

ولم أرَ من قال بهذا الرأي سواه، وهو متعقب بأن النسخ مجرد دعوى، ويردُّه ثلاثة أمور<sup>(١٣٠)</sup>:

**الأول:** أن ابن عباس رضي الله عنهما شهد خروج النساء للعيدين وهو صغير، وكان ذلك بعد فتح مكة، ولا حاجة إليهن لقوة الإسلام حينئذ.

**الثاني:** أن النبي عليه الصلاة والسلام علَّل في حديث أم عطية رضي الله عنها حضورهن لشهود الخير ودعوة المسلمين.

**الثالث:** أن أم عطية رضي الله عنها أفتت بخروج النساء للعيد بعد وفاة النبي ﷺ بمدة، ولم يخالفها أحد من الصحابة<sup>(١٣١)</sup>.

**الترجيح:** الذي يظهر - والله أعلم بالصواب - هو القول الثاني، وهو استحباب خروجهن لصلاة العيد، بحيث تحمل أحاديث القائلين بالوجوب على الاستحباب؛ لأن الرسول ﷺ علَّل خروجهن بشهود الخير ودعوة المسلمين، ولو كان خروجهن لها واجباً لما علَّل بذلك بحيث يكون خروجهن لأداء الواجب لمجرد الأمر. هذا من جهة.

**ومن جهة أخرى؛** فكما أشار الحافظ ابن حجر فإن بعض من أمرن بالخروج غير مكلفاتٍ، كالحَيَض، فدلَّ ذلك على انصراف الأمر على الاستحباب.

أما حديث عائشة رضي الله عنها في منع النساء من الخروج مطلقاً ففيه نظر كبير. قال الحافظ ابن حجر معلقاً على الحديث: «إذ لا يترتب على ذلك تغيير الحكم؛ لأنها علَّقته على شرط لم يوجد، بناء على ظن ظنته فقالت: «لو رأى المنع». فيقال

عليه: لم يرَ ولم يمنع! فاستمرَّ الحكم، حتى إن عائشة لم تصرِّح بالمنع، وإن كان كلامها يُشعر بأنها كانت ترى المنع.

وأيضاً فقد علم الله سبحانه ما سيُحدثن فما أوحى إلى نبيه بمنعهن، ولو كان ما أحدثن يستلزم منعهن من المساجد لكان منعهن من غيرها كالأسواق أولى. وأيضاً فالإحداث إنما وقع من بعض النساء لا من جميعهن؛ فإن تعيَّن المنع فليكن لمن أحدثت، والأولى أن ينظر إلى ما يخشى منه الفساد فيجتنب لإشارته ﷺ إلى ذلك بمنع التطيب والزينة، وكذلك التقييد بالليل<sup>(١٣١)</sup>.

وقال ابن قدامة: «وسنة رسول الله ﷺ أحق أن تُتبع، وقول عائشة مختص بمن أحدث دون غيرها، ولا شك بأن تلك يكره لها الخروج، وإنما يستحب لمن الخروج غير متطيبات، ولا يلبسن ثوب شهرة ولا زينة، ولا يخرجن في ثياب البذلة، لقول رسول الله ﷺ: «وليخرجن ثفلات»<sup>(١٣٢)</sup>. ولا يخالطن الرجل، بل يكنّ ناحية منهم»<sup>(١٣٣)</sup>.

### المطلب الثالث: الحكمة من الأمر باجتنب الحَيْض المصلّى.

جمهور الشافعية على أن المنع للحَيْض من اجتناب مصلّى العيد منعٌ تنزيه لا تحريم، ووجه ذلك الصيانة والاحترام من مخالطة النساء للرجال من غير حاجة ولا صلاة. ووجه كون المنع للتنزيه - كما قالوا - وليس للتحريم؛ لأن المصلّى ليس مسجداً. وينقل بعض فقهاء الشافعية أنه يحرم المكث على الحائض كما يحرم مكثها في المسجد؛ لأنه موضع للصلاة فأشبهه المسجد. قال النووي: «والصواب الأول»<sup>(١٣٤)</sup>. وقال ابن المنير - رحمه الله تعالى - : «الحكمة في اعتزالهن أن في وقوفهن وهن لا يصلين إظهار استهانة بالحال؛ فاستحبَّ لمن اجتناب ذلك»<sup>(١٣٥)</sup>.

وقال الحافظ ابن رجب - رحمه الله - : «وأما أمر الحائض باعتزال المصلّى، فقد

قيل: بأن مصلى العيدين مسجد، فلا يجوز للحائض المكث فيه». «وقد قيل: إن المصلى يكون له حكم المساجد في يوم العيدين خاصة في حال اجتماع الناس فيه دون غيره من الأوقات...». ثم قال: «والأظهر أن أمر الحَيْض باعتزال المصلى إنما هو حال الصلاة؛ ليتسع على النساء الطاهرات مكان صلاتهن، ثم يختلطن بهن في سماع الخطبة»<sup>(١٣٦)</sup>.

#### المطلب الرابع: ثمرة حضور النساء لصلاة العيدين يوم القيامة.

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النساء يرين الله تعالى في الأعياد، وأشار أن أحاديث رؤية الله تعالى يوم القيامة تشمل المؤمنين جميعاً من الرجال والنساء.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سبب ذلك أن الرؤية المعتادة العامة في الآخرة تكون بحسب الصلوات العامة المعتادة، فلما كان الرجال قد شُرع لهم في الدنيا الاجتماع لذكر الله ومناجاته، وترائيه بالقلوب والتنعم بلقائه في الصلاة كل جمعة؛ جعل لهم في الآخرة اجتماعاً في كل جمعة لمناجاته ومعابته والتمتع بلقائه.

ولما كانت السنة قد مضت بأن النساء يؤمرن بالخروج في العيد حتى العواتق والحَيْض، وكان على عهد رسول الله ﷺ يخرج عامة نساء المؤمنين في العيد جعل عيدهن في الآخرة بالرؤية على مقدار عيدهن في الدنيا<sup>(١٣٧)</sup>.

#### المبحث الثالث: حديثها في الجنائز<sup>(١٣٨)</sup>

حديث أمّ عطية رضي الله عنها في غسل زينب بنت النبي ﷺ ورضي الله عنها<sup>(١٣٩)</sup> من أشهر الأحاديث التي روتها عن رسول الله ﷺ<sup>(١٤٠)</sup>، وهو مخرّج في «الصحيحين» وغيرهما. ورواه البخاري في عدة مواضع من «الصحيح»، ظهر فيها

فقهه - على عادته - من خلال تبويبه.

قال الإمام أحمد: «ليس في حديث غسل الميت أرفع من حديث أم عطية، ولا أحسن منه»<sup>(١٤١)</sup>.

وقال ابن المنذر: «ليس في أحاديث الغسل للميت أعلى من حديث أم عطية، وعليه عوّل الأئمة»<sup>(١٤٢)</sup>. وقال ابن عبد البر: «حديثها أصل في غسل الميت»<sup>(١٤٣)</sup>. وقال القاضي الشوكاني: «وأما صفة الغسل فينبغي الاعتماد في ذلك على حديث أم عطية الثابت في الصحيحين»<sup>(١٤٤)</sup>.

**نص الحديث:** عن محمد بن سيرين، عن أم عطية رضي الله عنها قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن نغسل ابنته فقال: «اغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافوراً، فإذا فرغتن فأذني»، فلما فرغنا آذناه، فألقى إلينا حقوه<sup>(١٤٥)</sup> فقال: «أشعرنها إياه».

فقال أيوب<sup>(١٤٦)</sup>: وحدّثني حفصة<sup>(١٤٧)</sup> بمثل حديث محمد، وكان في حديث حفصة: «اغسلنها وتراً». وكان فيه: «ثلاثاً أو خمساً أو سبعا». وكان فيه أنه قال: «ابدأوا بميامنها ومواضع الوضوء منها». وكان فيه: «أن أم عطية قالت: ومشطناها ثلاثة قرون»<sup>(١٤٨)</sup>.

### مطالب الحديث:

#### المطلب الأول: حكم غسل الميت.

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن غسل الميت من فروض الكفايات. قال به الأحناف<sup>(١٤٩)</sup>، والمالكية في المشهور عندهم<sup>(١٥٠)</sup>، والشافعية<sup>(١٥١)</sup>، والحنابلة<sup>(١٥٢)</sup>. حتى قالوا - أعني الحنابلة - : لو دُفن من قبل الغُسل من أمكن غُسله لزم نبشه على

الصحيح من المذهب<sup>(١٥٣)</sup>.

وهو مذهب الظاهرية<sup>(١٥٤)</sup>. وفي قول للمالكية هو سنة<sup>(١٥٥)</sup>. ورجَّحه القرطبي المالكي في شرحه لمسلم<sup>(١٥٦)</sup>.

واستدلوا على ذلك بالسنة والمعقول:

١ - قوله ﷺ في حديث أم عطية رضي الله عنها، وفيه: «اغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك».

ووجه الدلالة منه: أن قوله «اغسلنها» أمرٌ، والأصل في الأمر الوجوب إذا ورد متجرداً عن القرائن<sup>(١٥٧)</sup>.

٢ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رجلٌ واقفٌ مع رسول الله ﷺ بعرفة إذ وقع من راحلته فأفصعته، أو قال: فأقعصته<sup>(١٥٨)</sup>، فقال رسول الله ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر، وكفونوه في ثوبين، ولا تحنطوه، ولا تخمروا رأسه؛ فإن الله يبعثه يوم القيامة مليئاً». متفق عليه<sup>(١٥٩)</sup>.

وجه الدلالة: أن النبي عليه الصلاة والسلام أمر بغسل الميت المحرم بقوله: «اغسلوه بماء وسدر»، والأمر - كما سبق - للوجوب.

٣ - ومن المعقول: أن غسل الميت من حقوق المسلم على أخيه - بل هو من أعظم الحقوق - ؛ أن يقدم الإنسان أخاه إلى ربه تبارك وتعالى على أكمل ما يكون من الطهارة<sup>(١٦٠)</sup>.

### المطلب الثاني: السبب في وجوب غسل الميت.

اختلفت مذاهب العلماء في السبب في وجوب غسل الميت على أربعة آراء:

الرأي الأول: أن غسله غسل تعبدية، يشترط فيه ما يشترط في بقية الأغسال الواجبة والمستحبة. وأشار الحافظ ابن حجر أنه المشهور عند الجمهور<sup>(١٦١)</sup>.

وعورض بأن النبي ﷺ أوكّل الغسل في عدده إلى اجتهاد أمّ عطية وصواحباتها بحسب ما يرون من النظافة، فلو كان الغسل عبادة ما وكله إلى نظرهن واختيارهن<sup>(١٦٢)</sup>.

**الرأي الثاني:** أن غسل الميت إنما شرع للتنظيف.

ويدل عليه قوله ﷺ في حديثها: «بماء وسيدر»، فإنه مشعر بأن غسله للتنظيف لا للتطهير؛ لأن الماء المضاف لا يتطهر به<sup>(١٦٣)</sup>. وبه يقول المالكية<sup>(١٦٤)</sup>، والشافعية<sup>(١٦٥)</sup>، والحنابلة<sup>(١٦٦)</sup>؛ لأنهم يحكمون بطهارة الأدمي حيًا وميتًا.

**الرأي الثالث:** أن غسل الميت شرع من أجل النجاسة.

وهذا مبني على الخلاف في ميتة الأدمي هل هي طاهرة أم نجسة؟ فذهب الحنفية إلى أنها نجسة نجاسة خبث تطهر بالغسل؛ لأن الأدمي حيوان دموي فينجس بالموت كسائر الحيوانات، وهو قول عامة مشايخ الأحناف، وهو الأظهر<sup>(١٦٧)</sup>. وهو رواية ضعيفة عند المالكية، قال به ابن القاسم، وابن شعبان، وابن عبد الحكم<sup>(١٦٨)</sup>. ولهذا قالوا بنجاسة الذي يُنشَف به<sup>(١٦٩)</sup>. وبعدم جواز غسل الميت بماء زمزم لنجاسته<sup>(١٧٠)</sup>. وهو رواية ضعيفة عند الشافعية<sup>(١٧١)</sup>.

وأجاب الجمهور بأن حديث أبي هريرة رضي الله عنه المرفوع يردُّ هذا السبب، وهو قوله ﷺ: «إن المؤمن لا ينجس». متفق عليه<sup>(١٧٢)</sup>.

**وجه الاستدلال به:** أن صفة الإيمان لا تُسلب بالموت، وإذا كانت باقية فهو غير نجس<sup>(١٧٣)</sup>.

وبأن الميت لو نجس بالموت لم يطهر بالغسل كالحيوانات التي تنجس، ولأنه آدمي فلم ينجس بالموت كالشهيد<sup>(١٧٤)</sup>. ولأن غسله وإكرامه بالصلاة عليه يأبى تنجيسه، إذ لا معنى لغسل الميتة التي هي بمنزلة العذرة. ولصلاته عليه الصلاة

والسلام على سهل بن بيضاء في المسجد. ولما ثبت أنه ﷺ قبل عثمان بن مظعون بعد الموت، ولو كان نجساً لما فعل عليه الصلاة والسلام ذلك<sup>(١٧٥)</sup>.

**الرأي الرابع:** أن غسل الميت شرع احتياطاً لاحتمال أن يكون عليه جنابة.

وبه يقول بعض المالكية، ويروون فيه حديثاً مرفوعاً: «ما من ميت يموت إلا يجب عند الموت»<sup>(١٧٦)</sup>. واختلفوا في معناه: فقيل: إنه من شدة النزع. وقيل: إن الميت إذا فارقت الروح وارتاح من شدة النزع التذ فأنزله<sup>(١٧٧)</sup>. وتعقبه الحافظ ابن حجر بأن فيه نظراً؛ لأن لازمه أن لا يشرع غسل من هو دون البلوغ، وهو خلاف الإجماع<sup>(١٧٨)</sup>.

وجميع الآراء في نظري صالحة لأن تكون سبباً في وجوب غسل الميت.

#### **المطلب الثالث: أولى النساء بغسل المرأة؟**

الأصل في تغسيل الميت أن الجنس يُغسل الجنس، بحيث يغسل الذكر الذكر، والأنثى الأنثى - وهو محل اتفاق بين العلماء<sup>(١٧٩)</sup> -؛ لأن حلّ المسّ من غير شهوة ثابت للجنس حالة الحياة وكذا بعد الموت<sup>(١٨٠)</sup>. وعليه يحرم عند الجماهير تغسيل الجنس خلاف الجنس، إلا المرأة لزوجها، والزوج لامرأته<sup>(١٨١)</sup>؛ لأن الزوجية لا تنقطع حقوقها بالموت<sup>(١٨٢)</sup>، إلا أن الحنفية يجيزون غسل المرأة لزوجها، وليس للزوج غسلها<sup>(١٨٣)</sup>! وأولى الناس بغسل المرأة الأقرب فالأقرب من نسائها؛ أمها، ثم جدتها، ثم ابنتها، ثم الأقرب فالأقرب، ثم الأجنبيات كالرجل<sup>(١٨٤)</sup>.

#### **المطلب الرابع: كم عدد الغسلات؟**

دلّ حديث أم عطية رضي الله عنها: «اغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً»، على أنه يجب ذلك العدد، والظاهر الإجماع على أجزاء الواحدة، فالأمر بذلك محمول على الندب<sup>(١٨٥)</sup>.

قال في «المغني»<sup>(١٨٦)</sup>: «الواجب في غسل الميت مرة واحدة؛ لأنه غسل واجب عن غير نجاسة أصابته فكان مرة واحدة كغسل الجنابة والحيض». والمستحب أن يُغسل الميت ثلاثاً، فإن لم تحصل النظافة والإنقاء زاد حتى تحصل ويحصل الإنقاء، فإن حصل بشفع استُحبَّ الإيتار<sup>(١٨٧)</sup>، على أن يُجعل في الغسلة الأخيرة الكافور، «والحكمة فيه أنه يطيب رائحة الموضع لأجل من حضر من الملائكة وغيرهم، مع أن فيه تجفيفاً وتبريداً، وقوة نفوذ، وخاصة في تصليب جسد الميت، وصرف الهوام عنه، ومنع ما يتحلل من الفضلات، ومنع إسراع الفساد إليه، وهو أقوى الروائح الطيبة في ذلك، وهذا هو السر في جعله في الآخرة؛ إذ لو كان في الأولى مثلاً لأذهب الماء»<sup>(١٨٨)</sup>. وقوله: «... أو أكثر من ذلك»، هو بحسب الحاجة للنظافة إلى الزيادة على الثلاث مع رعاية الوتر، وليس ذلك للتخيير<sup>(١٨٩)</sup>.

قال النووي: «والمراد اغسلنها وترأ، وليكن ثلاثاً، فإن احتجتن إلى زيادة عليها للإنقاء فليكن خمساً، فإن احتجتن إلى زيادة الإنقاء فليكن سبعاً، وهكذا أبداً. وحاصله أن الإيتار مأمور به، والثلاث مأمور بها ندباً، فإن حصل الإنقاء بثلاث لم تشرع الرابعة، وإلا زيد حتى يحصل الإنقاء، ويندب كونها وترأ»<sup>(١٩٠)</sup>.

والصحيح من مذهب الحنابلة الزيادة على سبع غسلات إلى أن يُنقي ويقطع على وتر؛ لأن الزيادة على الثلاث من أجل الإنقاء فكذا ما بعد السبع<sup>(١٩١)</sup>.

#### المطلب الخامس: السنة البداءة بالميامن ومواضع الوضوء.

جماهير الفقهاء على أن السنة في غسل الميت البداءة بالميامن ومواضع الوضوء، بحيث يُوضأ في البداية وضوءه للصلاة، ثم يغسل شقه الأيمن، ثم شقه الأيسر<sup>(١٩٢)</sup>؛ لورود ذلك في حديث أمّ عطية رضي الله عنها: «ابدأوا بميامنها ومواضع الوضوء منها». ولأن هذا سنة الاغتسال في الحياة فكذلك بعد الممات؛ لأن الغسل في

الموضوعين لأجل الصلاة، إلا أنه لا يُمضمض الميت ولا يُستنشق لتعدُّ ذلك<sup>(١٩٣)</sup>.  
والحكمة في الأمر بالوضوء تجديد أثر سمة المؤمن في ظهور أثر الغرة والتحجيل<sup>(١٩٤)</sup>.

### المطلب السادس: نقض شعر المرأة وجعله ثلاثة قرون<sup>(١٩٥)</sup> وإلقاؤه خلفها.

من الأحكام التي دلَّ عليها حديث أم عطية رضي الله عنها أن المرأة يُنقض شعرها قبل الغسل، ثم يُجعل ثلاثة ضفائر ويُلقى خلفها. ولذا بَوَّب الإمام البخاري عليه بقوله: (باب نقض شعر المرأة)<sup>(١٩٦)</sup>. وباب آخر قال: (باب يُجعل شعر المرأة ثلاثة قرون)<sup>(١٩٧)</sup>. وعلى الجزئية الأخيرة بَوَّب: باب يُلقى شعر المرأة خلفها<sup>(١٩٨)</sup>.

وقد اختلف الفقهاء فيما دلَّ عليه حديثها على قولين:

**القول الأول:** استحباب نقض شعر الميتة وجعله ثلاثة قرون وإلقاؤه خلفها.

وهو مذهب الشافعية<sup>(١٩٩)</sup>، والحنابلة<sup>(٢٠٠)</sup>، لقول أم عطية رضي الله عنها:  
«ومشطناها ثلاثة قرون».

وجه الدلالة منه: أن أم عطية صرَّحت بأنهن مَسَطْنَ شعر زينب رضي الله عنها - وهذا يقتضي نقضه -، وجعلنه ثلاث ضفائر، أو برأيهن؛ لكن علمه النبي ﷺ وأقرهن عليه.

\* ونوقش هذا الدليل من ثلاثة وجوه<sup>(٢٠١)</sup>:

**الأول:** أن الحديث ليس فيه إشارة من رسول الله ﷺ إلى ما قلت به، وإنما المذكور فيه الإخبار من أم عطية أنها مشطت شعرها ثلاثة قرون، وأنها فعلت ذلك بأمر النبي ﷺ احتمال؛ والحكم لا يثبت بالاحتمال.

**وأجيب عنه:** بأنه جاء التصريح بأمر النبي ﷺ لهن بصفن شعرها في رواية ابن حبان: «... واجعلن لها ثلاثة قرون»<sup>(٢٠٢)</sup>.

**الوجه الثاني:** أن ما ذكرتموه من جعل الشعر خلف الميتة يعتبر من الزينة، والميت مستغن عنها وممنوع منها.

**الوجه الثالث:** أن ضفر شعر الميتة يحتاج إلى تسريح، وبه ينقطع شعرها ويُتشف<sup>(٢٠٣)</sup>، فلا يشرع والحالة هذه.

**القول الثاني:** عدم استحباب ضفر شعر الميتة، وإنما يُرسل مع خديها من بين يديها من الجانبين.

وبه يقول الحنفية<sup>(٢٠٤)</sup>، والمالكية<sup>(٢٠٥)</sup>.

واستدلوا بقول عائشة رضي الله عنها وقد رأت امرأة يكدئون رأسها فقالت: «**علام تُنصون<sup>(٢٠٦)</sup> ميتكم؟!<sup>(٢٠٧)</sup>**».

**وجه الدلالة منه:** أن عائشة رضي الله عنها أرادت من قولها أن الميت لا يحتاج إلى التسريح ونحوه؛ لأنه لليلى والتراب<sup>(٢٠٨)</sup>.

**ونوقش الدليل** بأن الأثر ضعيف، فيه انقطاع بين إبراهيم النخعي وعائشة رضي الله عنها، فلا تقوم به الحجّة.

**وبالمعقول:** وذلك أن ضفر شعرها وإرساله خلفها من الزينة، وقد استغنى عنها الميت، وحكم المرأة في الغسل كحكم الرجل، فلا يرسل شعرها<sup>(٢٠٩)</sup>.

**الترجيح:** والراجح عندي القول الأول، لدلالة حديث أم عطية رضي الله عنها عليه، وهو كما مضى إما بأمر النبي ﷺ الغاسلات بذلك كما في رواية ابن حبان، وإما برأيهن؛ وإقرار الرسول ﷺ هن بذلك. والله تعالى أعلم.

### المبحث الرابع: حديثها في النهي عن اتباع الجنائز

روت أم عطية رضي الله عنها أن النبي ﷺ نهى النساء المؤمنات عن اتباع الجنائز، وحديثها هذا أخذ به جمهور العلماء - رحمهم الله تعالى -، فهو صريح في النهي - كما سيأتي -، وعليه عمل الفقهاء قديماً وحديثاً.

نص الحديث: عن أم الهذيل<sup>(٢١٠)</sup>، عن أم عطية رضي الله عنها قالت: «نُهينا عن اتباع الجنائز، ولم يُعزم علينا»<sup>(٢١١)</sup>. ولفظ رواية أخيها محمد، عن أم عطية: «كنا نُنهى عن اتباع الجنائز...» إلى آخره<sup>(٢١٢)</sup>.

#### مطالب الحديث:

##### المطلب الأول: الحديث له حكم الرفع.

مضى الكلام عند حديثها في الحيض أن قول الراوي: (كنا لا نعدُّ...) له حكم الرفع. وأنقل هاهنا كلام العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله تعالى -، فإنه يقول: «قوله في حديث أم عطية: (نُهينا عن اتباع الجنائز، ولم يُعزم علينا): أي نهانا رسول الله ﷺ؛ لأن القاعدة الأصولية: (إذا قال الصحابي: أمرنا، أو نُهينا، أو من السنة؛ فالحديث مرفوع)» اهـ<sup>(٢١٣)</sup>.

قلت: وقد جاء عن أم عطية رضي الله عنها التصريح بنهي النبي ﷺ عن اتباع الجنائز، من طريق إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية، عن جدته أم عطية قالت: «لما دخل رسول الله ﷺ المدينة جمع النساء في بيت، ثم بعث إلينا عمر بن الخطاب فقام على الباب، فسلم ثم قال: إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكن لأبايعكن على أن لا تسرقن، ولا تزينن، ولا تقتلن أولادكن، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن، ولا تعصينه في معروف. قالت: فأخرجنا أيدينا من خارج الباب وأخرج

يده، فبايعناه. قالت: وأمرنا أن نخرج في العيدين العواتقَ والحَيَّضَ، ونهانا أن نخرجَ في جنازة، أو نأتي جمعة»<sup>(٢١٤)</sup>.

والظاهر - والله أعلم - أن قولها: (ولم يعزم علينا)، رأيٌ لها رضي الله عنها، ظنَّت أنه ليس نهى تحريم، والحجَّة في قول الشارع لا ظنَّ غيره؛ قاله العلامة عبد الرحمن بن قاسم<sup>(٢١٥)</sup>. وقال الشيخ العُثميين: «هذا تفقُّهٌ منها رضي الله عنها، ولا ندري هل الرسول ﷺ هو الذي نهاهن ولم يعزم عليهن، أم هي التي فهمت أنه لم يعزم على النساء بترك اتباع الجنائز»<sup>(٢١٦)</sup>.

#### المطلب الثاني: حكم اتباع النساء للجنائز.

اختلف أهل العلم في حكم اتباع النساء للجنائز على ثلاثة أقوال:

القول الأول: تحريم اتباع النساء للجنائز.

وهو مذهب الأحناف<sup>(٢١٧)</sup>، ورواية عن الإمام أحمد<sup>(٢١٨)</sup>، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(٢١٩)</sup>، وتلميذه ابن القيم<sup>(٢٢٠)</sup>، والعلامة أحمد شاکر<sup>(٢٢١)</sup>، والشيخان ابن باز<sup>(٢٢٢)</sup>، وابن عثيمين<sup>(٢٢٣)</sup>.

قال القاضي عياض: «قال جمهور العلماء بمنعهم من اتباعها»<sup>(٢٢٤)</sup>. وقال بدر الدين العيني: «وأحسن حالات المرأة مع الجنازة أنها لا توجد في حضورها. وقال الحازمي: أما باتباع الجنازة فلا رخصة لهن فيه»<sup>(٢٢٥)</sup>.

واستدلوا على التحريم بالسنة والمعقول:

١ - حديث أم عطية رضي الله عنها.

ووجه الدلالة منه: أن قولها: «نُهينا عن اتباع الجنائز» دالٌّ على التحريم؛ فإن

الأصل في النهي التحريم كما تقدّم مراراً.

٢ - وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ إذ بَصُرَ بامرأة لا تظنُّ أنه عرفها، فلَمَّا توسَّط الطريق وقف حتى انتهت إليه، فإذا فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قال لها: «ما أخرجك من بيتك يا فاطمة؟». قالت: أتيت أهل هذا الميت، فترحمتُ إليهم، وعزيتهم بميتهم، قال: «لعلك بلغتِ معهم الكُدَى<sup>(٢٢٦)</sup>؟»، قالت: معاذ الله، أن أكون بلغتُها وقد سمعتك تذكر في ذلك ما تذكر، فقال لها: «لو بلغتِها معهم ما رأيتِ الجنةَ حتى يراها جدُّ أبيك»<sup>(٢٢٧)</sup>.

وجه الدلالة: دلَّ الحديث على التشديد في زيارة النساء للقبور، فإن النبي ﷺ أنكر على فاطمة الوصول للمقابر ولم يُنكر عليها التعزية<sup>(٢٢٨)</sup>.

٣ - وعن علي بن أبي طالب ؓ أن النبي ﷺ خرج في جنازة فرأى نسوةً جليوساً فقال: «ما يجلسكن؟!». فقلن: الجنازة. فقال: «أتحملنَ فيمن يحمل؟!». قلن: لا. قال: «أفتدلينَ فيمن يُدلي؟!». قلن: لا. قال: «أفتغسلنَ فيمن يغسل؟!». قلن: لا. قال: «فارجعنَ مأزوراتٍ غير مأجورات»<sup>(٢٢٩)</sup>.

وجه الدلالة منه: أن الحديث «يدل على أن اتباعهن الجنازة وزرٌّ لا أجرهن فيه، إذ لا مصلحة لهن ولا للميت في اتباعهن لها، بل فيه مفسدة للحي والميت»؛ قاله ابن القيم<sup>(٢٣٠)</sup>.

٤ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُّرج»<sup>(٢٣١)</sup>.

ووجه الاستدلال منه: أن هذا صريح في لعن من تزور المقابر، واللعن على الفعل من الدلائل على التحريم، ولاسيما وقد قرنه في اللعن بالمتخذين عليها المساجد والسُّرج؛ وهذا محكم غير منسوخ<sup>(٢٣٢)</sup>. «والزيارة من جنس الاتباع»<sup>(٢٣٣)</sup>.

**ونوقش:** بأن اللعن يصدق في حق من تكثر زيارة القبور؛ لأنه جاء في رواية أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوّارات القبور»<sup>(٢٣٤)</sup>، أما من لم تُكثّر من الزيارة فجائز فعلها، ولا تُنهي عن ذلك.

**وأجيب عنه:** بأن الحديث عام في مطلق الزيارة، ولا شك أن اللعن ألصق بـ (الزوّارات) للقبور، المكثرات لارتياها.

**ومن المعقول:** ما أشاروا إليه من اختلاف الزمان الذي ذكرته عائشة رضي الله عنها بقولها: «لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المساجد كما مُنعت نساء بني إسرائيل»<sup>(٢٣٥)</sup>. قال ابن عابدين: «وهذا في نساء زمانها، فما ظنك بنساء زماننا!»<sup>(٢٣٦)</sup>. وقال ابن الحاج المالكي: «واعلم أن الخلاف في نساء ذلك الزمان، وأما خروجهن في هذا الزمان فمعاذ الله أن يقول أحد من العلماء، أو من له مروءة، أو غيره في الدين بجوازه»<sup>(٢٣٧)</sup>.

**القول الثاني:** كراهة اتباع النساء للجنائز من غير تحريم.

وبه قال ابن مسعود، وابن عمر، وأبو أمامة، وعائشة من الصحابة رضي الله عنهم. ومسروق، والنخعي، والحسن، ومحمد بن سيرين من التابعين. وبه يقول الأوزاعي، وإسحاق<sup>(٢٣٨)</sup>. وهو منصوص الإمام أحمد في إحدى الروايات عنه<sup>(٢٣٩)</sup>، وعليه مذهب الحنابلة<sup>(٢٤٠)</sup>. وهو مذهب الشافعية<sup>(٢٤١)</sup>.

ودليل هذا القول حديث أمّ عطية رضي الله عنها في قولها: (ولم يُعزم علينا).

**ووجه الدلالة منه:** أنه دالٌّ على أن النهي للكرهية التنزيهية<sup>(٢٤٢)</sup>.

والجواب عنه بأن يُقال: إن هذا لا يدل على جواز اتباع الجنائز للنساء؛ لأن

صدور النهي عنه صلى الله عليه وسلم كافٍ في المنع، وقول أمّ عطية الأنصارية مبني على اجتهادها وظنها، واجتهادها لا يُعارض بها السنة؛ قاله سماحة الشيخ ابن باز<sup>(٢٤٣)</sup>.

**القول الثالث:** جواز اتباع النساء للجنائز من غير كراهة.

وبه يقول ابن عباس، والقاسم، وسالم بن عبد الله، وابن شهاب الزهري، وربيعة الرأي، وأبو الزناد، ومالك بن أنس<sup>(٢٤٤)</sup>. وهو رواية عن أحمد<sup>(٢٤٥)</sup>، وبه يقول الظاهرية<sup>(٢٤٦)</sup>.

جاء في «المدونة»<sup>(٢٤٧)</sup> من قول القاسم؛ أن مالكا كان يوسّع للنساء في الخروج مع الجنائز. قال الإمام مالك: قد كان النساء يخرجن قديماً، ولا أرى بذلك بأساً إلا في الأمر المستنكر. وخالفه غيره من أصحابه وكرهه مطلقاً لظاهر حديث أم عطية الأنصارية<sup>(٢٤٨)</sup>.

**واستدلوا على ذلك بالسنة والمعقول:**

١ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «اتقي الله واصبري». قالت: إليك عني، فإنك لم تُصَبِّ بمصيّتي، ولم تعرفه! فقيل لها: إنه النبي صلى الله عليه وسلم، فأنت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوأين، فقالت: لم أعرفك. فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»<sup>(٢٤٩)</sup>.

وجه الدلالة من الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُنكر على المرأة قعودها عند القبر، وتقديره عليه الصلاة والسلام حجة؛ قاله الحافظ<sup>(٢٥٠)</sup>.

**وأجيب عنه:** بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُقرها، بل أمرها بتقوى الله التي فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، ومن جملتها النهي عن الزيارة وقال لها: «اصبري». ومعلوم أن مجيئها إلى القبر وبكاءها منافٍ للصبر؛ هذا من وجه.

ومن وجه آخر: فإن هذه القضية لا يُعلم أنها كانت بعد لعنه زائرات القبور، فهي إما أن تكون دالة على الجواز فلا دلالة على تأخرها عن أحاديث المنع، أو تكون دالة على المنع بأمرها بتقوى الله، فلا دلالة فيها على الجواز؛ قاله ابن القيم<sup>(٢٥١)</sup>.

٢ - وعن عائشة رضي الله عنها - في حديث طويل - قالت: كيف أقول يا رسول الله؟ قال: «قولي: السَّلَامُ على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون»<sup>(٢٥٢)</sup>.

وجه الدلالة منه: أن النبي ﷺ علّمها الدعاء الذي تقوله إذا زارت المقابر بعد سؤالها عنه، فدلّ على جواز زيارة النساء لها، والزيارة من جنس الاتباع، فيكون كلاهما جائزاً.

٣ - وعن ابن أبي مليكة، أن عائشة رضي الله عنها أقبلت ذات يوم من المقابر، قال: فقلت لها: يا أمّ المؤمنين! من أين أقبلت؟ قلت: من قبر أخي عبد الرحمن بن أبي بكر. فقلت لها: أليس كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور؟ قالت: نعم، كان قد نهى ثم أمر بزيارتها<sup>(٢٥٣)</sup>.

وجه الدلالة منه: أن عائشة زارت قبر أخيها؛ لأنها ترى أن النساء داخلات في عموم الإذن بالزيارة، وهي من جنس الاتباع، فدلّ على الجواز. وأجيب عنه من وجهين<sup>(٢٥٤)</sup>:

أولهما: أن عائشة رضي الله عنها لم تقصد زيارة قبر أخيها عبد الرحمن، وإنما قدمت مكة للحج فمرّت على قبر أخيها في طريقها فوقفت عليه. وهذا لا بأس به، إنما الكلام في قصدهنّ الخروج لزيارة القبور.

ثانيهما: لو افترضنا أنها قصدت زيارته، فإنها قالت في بعض روايات الحديث: «لو شهدتك لما زرّتك». وهذا يدل على أنه من المستقرّ المعلوم عندها أن النساء لا يشرع لهنّ زيارة القبور، وإلا لم يكن لقولها ذلك معنىً.

٤ - وعن بريدة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»<sup>(٢٥٥)</sup>.

**وجه الدلالة:** أن هذا الخطاب عام، يتناول النساء بعمومه، وهو صريح في النسخ، والنساء كالرجال تُهينَ عن زيارة القبور فيتناولهن الإذن بالزيارة، وهي كما سبق من جنس الاتباع.

وأجيب عنه من وجهين<sup>(٢٥٦)</sup>:

**الأول:** أن قوله: «فزوروا» صيغة تذكير، فهي تتناول الرجال بالوضع.

**الثاني:** أن النساء لو كن داخلات في الخطاب لكان مستحباً لهن زيارة القبور، كما هو الحال بالنسبة للرجال؛ لأن النبي ﷺ علّل بعلّة تقتضي الاستحباب، وهي قوله: «فإنها تذكركم الآخرة»<sup>(٢٥٧)</sup>.

٥ - وعن فاطمة رضي الله عنها، «أنها كانت تزور قبر عمّها حمزة كل جمعة، فتصلي وتبكي»<sup>(٢٥٨)</sup>.

**وجه الدلالة منه:** أن زيارة القبور واتباع الجنائز للنساء جائز، فهاهي فاطمة بنت النبي ﷺ كانت تزور قبر عمّها حمزة بن عبد المطلب ﷺ بصورة متكررة.

ونوقش بأن الحديث ضعيف لا تقوم به حجّة، فإن علي بن الحسين لم يدرك فاطمة رضي الله عنها، فهو مرسل<sup>(٢٥٩)</sup>.

**أما المعقول فمن ثلاثة وجوه:**

**الأول:** أن الله تعالى أباح للنساء الخروج إلى المساجد، وخروجهن للجنائز واتباعها خروج إلى صلاة سنّ لهن البرازة، كالخروج إلى المساجد<sup>(٢٦٠)</sup>.

**الثاني:** أن تعليل زيارة القبور بتذكير، وهو أمر يشترك فيه الرجال والنساء<sup>(٢٦١)</sup>.

**الثالث:** أن أحاديث النهي محمولة على زيارتهن لمحرّم، كالنوح وغيره.

**الترجيح:** الذي يترجح لي - والله تعالى أعلم - هو القول الأول، وأن النساء لا يجوز لهن اتباع الجنائز مطلقاً، وذلك لدلالة حديث أمّ عطية الأنصارية رضي الله عنها على التحريم؛ لأن قولها: «نُهينا» له حكم الرفع إلى النبي ﷺ، مع ما يُخشى من حدوثه عند خروجها للجنائز من الجزع، ورفع الصوت بالبكاء والصياح، وشقّ الجيب، والنياحة!

وهذا القول عليه أئمة السلف وفقهاؤهم<sup>(٢٦٢)</sup>:

- قال ابن عمر رضي الله عنهما: «ليس للنساء في الجنائز نصيب».
  - وكان الحسن البصري يطردهن، فإذا لم يرجعن لم يرجع، ويقول: «لا ندع حقاً لباطل».
  - وكان مسروق بن الأجدع يُحثي في وجوههن التراب ويطردهن، فإن رجعن وإلا رجع.
  - وقال إبراهيم النخعي: «كانوا إذا خرجوا بالجنائز أغلقوا الأبواب على النساء».
  - وقال الشعبي: «خروج النساء على الجنائز بدعة».
  - وقال ابن جريج، قلت لعطاء: خروج النساء على الجنائز؟ قال: «يُفتن».
- ورحم الله العلامة المحقق أحمد شاكر؛ فإنه نقل كلام العيني في «عمدة القاري»<sup>(٢٦٣)</sup> ما نصّه: «وحاصل الكلام من هذا كلّهُ: أن زيارة القبور مكروهة للنساء، بل حرام في هذا الزمان، ولاسيما نساء مصر؛ لأن خروجهن على وجه فيه الفساد والفتنة، وإنما رُخصت الزيارة لتذكر أمر الآخرة، وللاعتبار بمن مضى، وللتزهد في الدنيا».

ثم عقب عليه بقوله: «هذا قول العيني في منتصف القرن التاسع، فماذا يقول لو رأى ما رأيناه في منتصف القرن الرابع عشر، وإنا لله وإنا إليه راجعون. والقول الصحيح الذي نرضاه تحريم زيارة القبور على النساء مطلقاً، فإن النهي ورد خاصاً

بهن، والإباحة ورد لفظها عام، والعام لا ينسخ الخاص، بل الخاص حاكماً عليه ومقيد له» (٢٦٤).

وعقّب عليه الشيخ محمد الخضر الشنقيطي بقوله: «قلت: يا ليت الأمر بقي على ما كان في زمنه! فالיום صار محل القبور هو محل الزنا، والشرب، وجميع الفواحش» (٢٦٥) اهـ.

ومما يُختم به الكلام في هذا المبحث، ما ذكره بعض أهل العلم من الترخيص للنساء في زيارة قبر النبي ﷺ (٢٦٦). ومع هذا يقول العلامة السعدي - رحمه الله تعالى - : «واستثنى العلماء قبر النبي ﷺ، وقبري صاحبيه، فقالوا: يباح لمن زيارته، وقد تعبنا بطلب الدليل على استثنائه، فلم نجد لذلك دليلاً!» (٢٦٧).

قلت: والأمر كما قال الشيخ ابن سعدي - رحمه الله تعالى - .

#### المطلب الثالث: الحكمة من نهي النساء عن اتباع الجنائز.

لاشك أن الشريعة الإسلامية لا تمنع من شيء أو تنهى عنه إلا وفيه شر كثير، ليس فيه أدنى مصلحة، ومن ذلك النهي عن اتباع النساء الجنائز، لما فيه من درء مفسد كثيرة تحصل بزيارتهم وخروجهم إلى المقابر.. ومن ذلك:

١- حماية جناب التوحيد: فمن المعلوم أن الشريعة مبناها على تحريم الفعل إذا كانت مفسدته أرجح من مصلحته، ورجحان مفسدة زيارة النساء للقبور لا تخفى على أحد، فيكون منع النساء من الزيارة من محاسن الشريعة. وتقرير ذلك بأن يقال: إن النبي ﷺ نهى في أول الإسلام عن زيارة القبور صيانة للتوحيد، وقطعاً للتعلق بالأموال، وسداً لذريعة الشرك التي أصلها تعظيم القبور وعبادتها، فلما تمكّن التوحيد من قلوبهم، واضمحلّ الشرك، واستقر الدين؛ أذن في زيارة تحصل بها مزيد الإيمان، وتذكير ما خلق العبد له من دار البقاء؛ فكان نهيه عنها للمصلحة،

وإذنه فيها للمصلحة. وأما النساء فإن هذه المصلحة وإن كانت مطلوبة فيهن؛ لكن ما يُقارن زيارتهن من المفسد التي يعلمها الخاص والعام من الفتنة للأحياء، وإيذاء الأموات، والفساد الذي لا سبيل لدفعه إلا بمنعهن من الزيارة<sup>(٢٦٨)</sup>.

٢ - التحرُّز مما قد تفعله المرأة عند القبر: قال علامة القصيم عبد الرحمن السعدي: «والحكمة في نهى النساء عن اتباع الجنائز؛ أنه لضعف عقولهن ورقتهن لا يؤمن من وقوع منكر من أفعال الجاهلية، كتهيج الحزن، أو التسخط من قضاء الله وقدره، ونحو ذلك»<sup>(٢٦٩)</sup>.

وقال الشيخ عبد الله البسام تبعاً لشيخه ابن سعدي: «الحكمة في منع النساء عن زيارة القبور هي ما لديهن من الضعف والرقّة، وعدم الصبر والاحتمال، فيخشى أن تجرّ زيارتهن إلى أن يأتين من الأقوال والأفعال ما يخرجهن عن الصبر الواجب»<sup>(٢٧٠)</sup> اهـ. والحمد لله رب العالمين.

### المبحث الخامس: حديثها في الإحداد

من أحاديث أم عطية رضي الله عنها التي عليها عمل الفقهاء قديماً وحديثاً؛ حديثها في الإحداد وأحكام المحاذة، وفيه دلالة ظاهرة على وجوبه على من مات عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً، وعلى جوازه على أب أو ابن أو أخ أو قريب ثلاثة أيام فأقل.

نص الحديث: عن حفصة بنت سيرين، عن أم عطية رضي الله عنها قالت: «كُنَّا نُنْهَى أَنْ نُحَدَّ عَلَى مَيْتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، وَلَا نَكْتَحِلَ وَلَا نَطِيبُ، وَلَا نَلْبَسُ ثَوْبًا مَصْبُوغًا، إِلَّا ثَوْبَ عَصَبٍ. وَقَدْ رُخِّصَ لَنَا عِنْدَ الطَّهْرِ إِذَا اغْتَسَلْتَ إِحْدَانًا مِنْ مَحِيضِهَا فِي بُنْدَةٍ مِنْ كُنْتِ أَظْفَارًا»<sup>(٢٧١)</sup>. وفي رواية مرفوعة لها: «لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تَوَمَّنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تَحَدَّ فَوْقَ ثَلَاثٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ»<sup>(٢٧٢)</sup>.

## مطالب الحديث:

### المطلب الأول: بيان المفردات الغريبة في الحديث.

أن نُحَدِّدَ: الإحداد لغةً: مأخوذ من الحدِّ، وهو المنع؛ لأن المحادَّة تُمنع من الزينة، يقال: أَحَدَّتِ المرأةُ إِحْدَاداً، وَحَدَّتْ تُحَدُّ وَتُحَدُّ - بضم الحاء وكسرهما -، ولم يجوز الأَصمعي إلا (أَحَدَّتْ). وهي حادٌّ، ولا يقال: حادَّةٌ<sup>(٢٧٣)</sup>.

وفي الاصطلاح: الامتناع من الطيب والزينة بالثياب والحلي الداعية إلى الأزواج ما دُمّن في العدة<sup>(٢٧٤)</sup>. وهو في عدة الوفاة باتفاق العلماء<sup>(٢٧٥)</sup>.

- ثوب عَصْب: العَصْب - بعين مفتوحة، ثم صاد ساكنة مهملتين-، وهو المفتول من برود اليمن، يُعصب غزلها ثم يصبغ معصوباً، ثم تنسج، وهذه الثياب فيها بياض وسواد.

- بُبْدَةٌ من كُسْتِ أظفار: الببْدَةُ - بضم النون -: القطعة والشيء اليسير.

- وأما القُسْطُ - فبضم القاف -، ويقال فيه: (كُسْت) - بكاف مضمومة بدل القاف، وبتاء بدل الطاء، وهو والأظفار نوعان معروفان من البخور، القطعة منه على شكل الظفر، وليس من مقصود الطيب. وفي بعض الألفاظ: (ظْفَار) على وزن جذام: ساحل من سواحل عدن<sup>(٢٧٦)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: «وإنما رخص فيه للحادة إذا اغتسلت من الحيض لإزالة الرائحة الكريهة. قال المهلب: رخص في التبخر لدفع رائحة الدم عنها لما تستقبله من الصلاة»<sup>(٢٧٧)</sup>.

### المطلب الثاني: الحديث له حكم الرفع.

قول أم عطية الأنصارية رضي الله عنها: (كُنَّا نُنْهَى)، وقولها: (رُخِّصَ لَنَا)، له حكم الرفع إلى النبي ﷺ. وتقدّم بيانه.

### المطلب الثالث: حكم الإحداد.

الإحداد واجب على الحرة والأمة، والصغيرة والكبيرة، والمسلمة والذمية؛ لعموم الحديث فيهن<sup>(٢٧٨)</sup>، على ذلك عامة الفقهاء لم يخالف فيه إلا الحسن البصري - رحمه الله - . قال ابن رشد: «أجمع المسلمون على أن الإحداد واجب على النساء الحرائر في عدة الوفاة إلا الحسن وحده»<sup>(٢٧٩)</sup>. وقال ابن قدامة: «لا نعلم بين أهل العلم خلافاً في وجوبه على المتوفى عنها زوجها إلا الحسن؛ فإنه قال: لا يجب الإحداد، وهو قول شدّد به عن أهل العلم، وخالف به السنة فلا يعرّج عليه»<sup>(٢٨٠)</sup>. وقال ابن عبد البر: «أجمعوا أن الإحداد واجب على ما ذكرنا إلا الحسن البصري»<sup>(٢٨١)</sup>.

دلّ على وجوبه على المرأة المتوفى عنها زوجها؛ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: آية ٢٣٤].

ووجه الدلالة من الآية: أنها نصّت على أن من مات عنها زوجها وجبَ عليها أن تتربص - والتربص الانتظار - مدة أربعة أشهر وعشرة أيام.

وهذا في حق المرأة التي تحيض، والكبيرة والصغيرة، أما الحامل فإن عدتها أن تضع حملها، كما قال الله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: آية ٤].

### المطلب الرابع: الحكمة من مشروعية الإحداد<sup>(٢٨٢)</sup>:

من تمام محاسن الشريعة وحكمتها رعايتها لمصالح العباد على أكمل الوجوه، ومن ذلك ما يتعلق بالإحداد؛ فإن له حكماً عظيمةً اجتهد العلماء في استنباطها وتقريرها، وما سوف أسوقه هاهنا غيض من فيض، ونقطة من بحر من حكم هذا

التشريع، فلو اقترحت عقول العالمين لم تقترح شيئاً أحسن منه؛ كما يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى -، مع التنويه إلى أن الواجب على المسلم أن يعمل بالأحكام الشرعية علم الحكمة أو لم يعلمها! مع الإيمان بأن الله سبحانه حكيم في كل ما شرعه وقدره.

**أولها: تعظيم أمر الله تعالى ورسوله ﷺ.** فإن الله أمر به في كتابه مدة أربعة أشهر وعشرة أيام، وصحّت السنة المطهرة بالأمر به وإيجابه حتماً على المرأة. قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: آية ٣٠]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: آية ٣٦].

**ثانيها: التيقن من خلو رحم المرأة.** فإن هذه المرأة يمكنها الزواج من آخر بعد موت زوجها وبلوغ الكتاب أجله، فلا بد من التيقن من خلو رحمها حتى لا تختلط الأنساب، ويحصل بذلك الفساد.

**ثالثها: رعاية حق الزوج المتوفى وإظهار الحزن على فراقه.** فإن الرابطة الزوجية أقدس رباط، فلا يصح شرعاً ولا أدباً أن تنسى ذلك الجميل، وتتجاهل حق الزوجية التي كانت بينهما. وليس من الوفاء أن يموت زوجها من هنا، ثم تنغمس في الزينة، وترتدي الثياب الزاهية المعطرة، وتتحوّل عن منزل الزوجية، كأن لم تكن بينهما عشرة، فإن الزوج بقي وفيّاً معاشراً لزوجته ولم يفرّق بينهما إلا الموت.

**رابعها: مراعاة حق أقارب الميت.** فإنه من الصعب أن ترى والدة الميت أو أخواته - على سبيل المثال - زوجة ابنها أو أخيهم وقد تزوّجت وواضعت المساحيق على وجهها وقد تجهزت للخُطاب! فمن أجل مراعاة مشاعرهم النفسية شرع الله تعالى الإحداًد على المرأة ليزول في فترته ما كان في نفوسهم.

**خامساً: تعظيم مصيبة الموت.** فإنه بهذا الإحداد المشروع على الزوج الميت من تعظيم مصيبة الموت التي كان أهل الجاهلية يببالغون فيها أعظم مبالغة، ويُضيفون إلى ذلك شقَّ الجيوب، ولطم الخدود، وحلق الشعور، والدعاء بالويل والثبور، وتمكث المرأة سنة في أضييق بيت وأوحشه؛ لا تمسّ طيباً ولا تدهن ولا تغتسل، إلى غير ذلك مما هو تسخُّط على الله تعالى وأقداره.

**سادساً: الإحداد على الزوج تابع للعدَّة ومن مقتضياتها ومكملاتها.** بحيث إن المرأة إنما تحتاج إلى التزين والتجمل والتعطر لتتحبَّب إلى زوجها، وترد لها نفسه، ويحسن ما بينهما من العشرة؛ فإذا مات الزوج واعتدَّت منه وهي لم تصل إلى زوج آخر فاقضى تمام حق وتأكيد المنع من الثاني قبل بلوغ الكتاب أجله أن تُمنع مما تصنعه النساء لأزواجهن.

**سابعاً: سدُّ الذريعة إلى طمع المرأة في الرجال وطمعهم فيها.** فإنها إذا مُنعت من الزينة والخضاب والتطيب كان ذلك أدعى لُبُعدها عن الرغبة في الأزواج، والعكس بالعكس، فإذا بلغ الكتاب أجله صارت محتاجة إلى ما يرغَّب في نكاحها، فأبيح لها من ذلك ما يُباح لذات الزوج.

**ثامناً: موافقة الجليَّة والفترة الإنسانية.** فإن النفوس البشرية قد تتأثر تأثراً كبيراً بسبب موت القريب، وبخاصة الزوجة على فراق زوجها، فأباح الله الإحداد على الميت أياً كان أباً أو أخاً أو ابناً ثلاثة أيام فأقل موافقة للطبيعة البشرية، فقد لا يستطيع الإنسان أن يقابل الناس في بيته في هذه المدة بسبب عظم المصيبة.

#### **المطلب الخامس: ما تمتنع عنه المرأة الحادَّة.**

من المقرر عند أهل العلم أن المرأة المُحدَّة تمتنع عن كل ما يعتبر زينة شرعاً أو عرفاً، سواء كان يتصل بالبدن أو الثياب، أو يلفت الأنظار إليها، كالخروج من

مسكنها، أو التعرض للخُطاب؛ وهذا قدر مجمع عليه في الجملة<sup>(٢٨٣)</sup>. وتفصيل ذلك بما يأتي<sup>(٢٨٤)</sup>:

**أولاً: لباس الزينة.** فلا تلبس ثوباً يعد ثوب زينة، فيدخل فيه الثياب المصبوغة، أما الثياب العادية فلها أن تلبسها بأي لون كان، أصفر، أو أحمر، أو أخضر. قال ابن قدامة: «لا تُمنع من حسان الثياب غير المصبوغة، وإن كان رقيقاً؛ لأن حسنه من أصل خلقته فلا يلزم تغييره، كما أن المرأة إذا كانت حسنة الخلق لا يلزمها أن تغيّر لونها وتشوّه نفسها»<sup>(٢٨٥)</sup>.

**الثاني: الطيب بجميع أنواعه.** دهنًا، أو بخورًا، أو شمًا، أو غير ذلك، لا تطيب إطلاقًا، إلا إذا طهرت من الحيض فإنها تأخذ شيئاً يسيراً من الطيب تطيب به أي تطيب محل الخبث حتى لا يكون لها رائحة. ومما يدخل في الطيب غسل الجسم بالصابون والشمبو اللذين فيهما طيب، وشرب القهوة التي فيها زعفران؛ لأن ذلك يدخل في الاستعمال.

**الثالث: الحلّي بجميع أنواعه.** فلا تلبس الحلّي سواء كان من الذهب أو الفضة، لا في القدمين، ولا في الكفين، ولا في الرقبة، ولا في الأذنين، ولا على الصدر. أي نوع من أنواع الحلّي فإنها لا تلبسه، حتى لو كانت تلبس سنًا من ذهب فإنها تخلعه، إذا لم يكن عليها مضرة، فإن كان عليها مضرة فلتحرص على أن تخفيه بأن تقلل الضحك حتى لا تظهر السنّ ويتبين للناس.

**الرابع: ألا تخرج من البيت إلا لضرورة أو حاجة.** لضرورة في الليل، أو حاجة بالنهار، وأما بدون حاجة ولا ضرورة فلا يجوز أن تخرج من بيتها الذي مات زوجها وهي فيه، فيجب عليها أن تبقى في البيت فلا تخرج.

**الخامس: التحسين والتجميل والتكحل بالكحل.** فلا تتكحل المحادّة إلا بصيرٍ

أو شبهه مما لا لون له، تفعله بالليل وتمسحه بالنهار؛ هذا إن احتاجت وإلا فلا. ومما يدخل في الزينة: استعمال المكياج، والأصباغ التي كثر استعمال النساء لها في هذا الوقت، مما يضعنه على الخدّين والشّفاه وبقية أجزاء الجسم. ويدخل في ذلك: الخضاب، كالحناء، وتسويد الشعر، ومثلهما ما يستعمله كثير من النساء اليوم من تشقير الشعر، أو صبغه بألوان أخرى. ومثله ما يسمى بـ «المناكير» على الأظفار.

#### المطلب السادس: التنبيه على أمور مخالفة للشرع في الإحداد.

يظن بعض المغالين في الإحداد أن هناك أشياء يجب أن تجتنبها المرأة المحدّة، إما لأجل أن بعض النساء قد اعتدن على فعلها، أو على اجتنابها. جديرٌ بالذكر أن هذه الأشياء ليس لها أصلٌ في الشرع، بل هي من البدع المحرّمة<sup>(٢٨٦)</sup>:

**أولاً: لبس السّواد.** فلا يجب على المرأة أن تكتسي بالسواد زمن الإحداد، ولا بأي لون من الألوان غيره، وإنما الواجب عليها اجتناب لباس الزينة فقط، وتلبس ما شاءت من ثيابها، فإنّ «لبس السّواد عند المصائب شعار باطل لا أصل له...»<sup>(٢٨٧)</sup>، و«وهو أمر باطل ومذموم»<sup>(٢٨٨)</sup>.

**ثانياً: المنع من الخروج إلى ساحة المنزل، أو الصعود إلى سطحه، أو رؤية القمر.** وذلك بدعوى أن الواجب عليها أن تبقى في قعر دارها مطلقاً، وأن القمر (ذكر)، فلا يجوز أن تنظر إليه من كانت في عدة الوفاة، ولا تخرج في نوره مطلقاً!

**ثالثاً: منعها من أشياء لم يرد الشرع بمنعها منها:** كاعتقادهم أن لا يجوز لها تكليم الرجال مطلقاً، والاعتزال عن الناس، بحيث لا يراها أحد، ولا ترى هي أحداً، ولا ترد على سماعه الهاتف، ولا تمسك هاتفها الجوال ولا ترد عليه، وكونها لا تغتسل في الأسبوع إلا مرة واحدة، وأنها لا تمشي في بيتها حافية. والحمد لله ربّ العالمين.

## الخاتمة

حمداً لله تعالى على المنتهى، وصلاة وسلاماً على رسوله المصطفى ﷺ.

فهذه خاتمة أُلخِّص فيها أبرز نتائج البحث في نقاط عجلية:

أولاً: التأكيد على أن الصحابية الجليلة أم عطية الأنصارية - واسمها نسبية بنت الحارث -؛ كانت من فضليات الصحابيات العاملات الفقيهات، من كبار نساء الصحابة ﷺ.

ثانياً: أن الطهر عند غالب النساء له علامتان، يُعرف بهما أو بأحدهما: القصة البيضاء، والجفوف.

ثالثاً: تبين أن الكدرة والصفرة قبل الحيض لا حكم لها؛ لأنها ليست في أيام الحيض، كما هو مذهب أكثر الفقهاء.

رابعاً: أن الكدرة والصفرة التي تخرج من المرأة أثناء الحيض حيضٌ، كما هو مذهب الجمهور.

خامساً: لا يُلتفت للكدرة والصفرة بعد الطهر بحال من الأحوال.

سادساً: الصواب أن قول الصحابي: «كنا نفعل»، أو «نُهينا»، أم «رُخِّص لنا»، وما أشبه ذلك؛ أن له حكم الرفع إلى النبي ﷺ.

سابعاً: المرجح من أقوال أهل العلم أن صلاة العيد فرض كفاية.

ثامناً: استحباب خروج النساء لصلاة العيدين من أجل شهود الخير ودعوة المسلمين.

تاسعاً: غسل الميت من فروض الكفايات، كما هو مذهب جماهير الفقهاء.

عاشراً: الأصل في تغسيل الميت أن الجنس يغسّل الجنس، إلا المرأة فإنها تغسل زوجها، والزوج امرأته.

حادي عشر: السنة في غسل الميت البداءة بالميامن ومواضع الوضوء.

ثاني عشر: لا يجوز للنساء اتباع الجنائز، ولا زيارة القبور، وذلك لرقّة قلوبهن، وكثرة جزعهن، واحتمال حصول منكرات من أفعال الجاهلية.

ثالث عشر: وجوب الإحداد على من مات عنها زوجها مدة أربعة أشهر وعشرة أيام.

رابع عشر: جواز الإحداد على الأب والأخ والابن والقريب ثلاثة أيام فأقل.

خامس عشر: يجب على النساء المحدّات مراعاة ما أوجبه الشرع في الإحداد كلزوم البيت، وترك الزينة.. وترك ما لم يوجبه، كلبس السواد، والمنع من الخروج إلى ساحة المنزل، وما أشبه ذلك.

والحمد لله ربّ العالمين،،،

### الهوامش والتعليقات:

- (١) انظر: «الاستذكار» (٨/٣).
- (٢) انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٤/١٩٤٧).
- (٣) انظر: «السنن الكبرى» (٤/١٣١).
- (٤) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٨/٤٥٥)، «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٩/٤٦٥)، «التعديل والتجريح لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح» للباقي (٣/١٢٨٨)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/١٩٤٧)، «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/٧١)، «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٢/٦٢٦)، «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للمزي (٣٥/٣١٥)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢/٣١٨)، «الإصابة في تمييز الصحابة» (٨/٤٣٧)، «تهذيب التهذيب» (١٢/٤٨٢) كلاهما لابن حجر، «إسعاف المبطلين برجال الموطأ» للسيوطي (ص٣٦).
- (٥) ما بين الحاصرتين من «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٣/٢٦٢).
- (٦) انظر: «الاستيعاب» (٤/١٩٤٧).
- (٧) انظر: «الإكمال في دفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب» (٧/٢٥٩).
- (٨) انظر: «رجال صحيح البخاري» (٢/٨٥٣).
- (٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢/٧١).
- (١٠) انظر: «التعديل والتجريح» (٣/١٢٨٨).
- (١١) (٢/٦٢٧).
- (١٢) (٨/٤٣٨).
- (١٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢/٣١٨).
- (١٤) «الاستيعاب» (٤/١٩٤٧).

- (١٥) «تهذيب الأسماء واللغات» (٢٦٢/٣)، مرجع سابق.
- (١٦) انظر: «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٤٤٥/٩).
- (١٧) نقله الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٢٨/٣).
- (١٨) انظر: «صحيح مسلم بشرح النووي» (٣/٧).
- (١٩) انظر: «تهذيب الكمال» (٣١٦/٣٥)، مرجع سابق.
- (٢٠) انظر: «شرح البخاري» (٤٥٠/٩ و ٤٦٤)، مرجع سابق.
- (٢١) (١٤٤٧/٣)، رقم (١٨١٢).
- (٢٢) **الزُمْنَى**: هم المبتلون بالعاهات، يقال: رجل زَمِنٌ، أي مبتلى بَيْنَ الزَّمَانَةِ. والزَّمَانَةُ: العاهة. انظر: «لسان العرب» (١٣٤/٥)، مادة (ك.د.ر).
- (٢٣) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (١٢٧/٣).
- (٢٤) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣١٨/٢).
- (٢٥) **الحَيْضُ فِي اللُّغَةِ**: السيلان.
- في الشرع**: عبارة عن الدم الذي ينفسه رحم بالغة سليمة عن الداء والصغر. انظر: «التعريفات» (ص ١٢٧).
- وله ستة أسماء: الحيض، والطمث، والعراك، والضحك، والإكبار، والإعصار. انظر: «تحرير ألفظ التنبيه» (ص ٤٤).
- (٢٦) انظر: «المجموع شرح المهذب» (٣٩٠/٢).
- (٢٧) ما بين الحاصرتين من «المجموع» (٣٧٨/٢).
- (٢٨) المصدر السابق.
- (٢٩) انظر: «فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام» (٧٠٩/١).
- (٣٠) في كتاب الحيض، باب الصفرة والكدرية في غير أيام الحيض (٤٢٦/١ - مع الفتح)، رقم (٣٢٦).

- (٣١) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب في المرأة ترى الكدرة والصفرة بعد الطهر (٨٣/١)، رقم (٣٠٧) من رواية أم الهذيل حفصة بنت سيرين، عن أم عطية.
- (٣٢) أخرجه الدارمي في كتاب الصلاة، باب الكدرة إذا كانت بعد الحيض (١٥٥/١)، رقم (٨٧٥)، ولفظه: «كنا لا نعتدُّ بالكدرة والصفرة...» الأثر.
- (٣٣) انظر: «لسان العرب» (١٣٤/٥)، مادة (ك.د.ر).
- (٣٤) انظر: «فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام» (٧٠٨/١).
- (٣٥) انظر: «توضيح الأحكام من بلوغ المرام» للبسام (٤٠٢/١).
- (٣٦) انظر: «الشرح المتمع على زاد المستقنع» (٤٩٨/١).
- (٣٧) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٤٢٦/١).
- (٣٨) انظر: «توضيح الأحكام من بلوغ المرام» (٤٠٢/١).
- (٣٩) انظر: «التعاريف» للمناوي (ص ٤٥٧).
- (٤٠) انظر: «الشرح المتمع على زاد المستقنع» (٤٩٨/١).
- (٤١) انظر: «مواهب الجليل لشرح مختصر خليل» للحطاب (٥٣٧/١).
- (٤٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١٨٩/١)، مادة (ت.ر.ا).
- (٤٣) انظر: «لسان العرب» (١٣٤/٥)، مادة (ر.أ.ي).
- (٤٤) (٧٧٩/٢)، من طريق حماد بن زيد، عن هشام، عن حفصة، عنها.
- (٤٥) انظر: «لسان العرب» (٥٠٤-٥٠٥)، مادة (ط.ه.ر).
- (٤٦) انظر: «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٢٩٢/١٨).
- (٤٧) انظر: «الاستذكار» (٣٢٥/١).
- (٤٨) انظر: «عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة» (٩٦/١).
- (٤٩) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٧١/٤)، مادة (ق.ص.ص). وضبطها شيخ الإسلام ابن تيمية بضم القاف (القصة البيضاء)، كما في «شرح العمدة» (٥٠٧/١).

- (٥٠) جف الشيء يجف ويجف - بالفتح - جُفُوفاً وجفافاً: يبس، وتجفف وفيه بعض النداءة. انظر: «لسان العرب» (٢٨/٩)، مادة (ج.ف.ف).
- (٥١) انظر: «عقد الجواهر الثمينة» (٩٦/١).
- (٥٢) انظر: «الشرح المتع على زاد المستقنع» (٤٩٨/١).
- (٥٣) انظر: «فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام» (٧٠٩/١).
- (٥٤) انظر: «فتح الباري» (٤٢٦/١)، و«سبل السلام» (٢١٣/١)، و«نيل الأوطار» (٢٧٤/١).
- (٥٥) انظر: «توضيح الأحكام من بلوغ المرام» (٤٠٣/١).
- (٥٦) انظر: «المجموع» (٣٩٦/٢).
- (٥٧) انظر: «المحلى بالآثار» (٣٨٣/١).
- (٥٨) أخرجه البخاري في كتاب الحيض، باب الاعتكاف للمستحاضة (١/٤١١ - مع الفتح)، برقم (٣١٠).
- (٥٩) انظر: «المحلى بالآثار» (٣٨٠/١).
- (٦٠) انظر: «الإنصاف» (٣٧٦/١).
- (٦١) انظر: «فتح ذي الجلال والإكرام» (٧١٠/١).
- (٦٢) انظر: «الجوهرة النيرة» (٢٩/١).
- (٦٣) المنطوق: ما دلّ عليه اللفظ في محل النطق. وهو قسمان:  
الأول: ما لا يتحمل التأويل (وهو النص). الثاني: ما يتحمل التأويل، (وهو الظاهر).  
انظر: «إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول» (ص ٢٠٣).
- (٦٤) المفهوم: ما دلّ عليه اللفظ لا في محل النطق. وهو قسمان:  
الأول: مفهوم موافقة. الثاني: مفهوم مخالفة.  
انظر: «إرشاد الفحول» (ص ٢٠٣).

- (٦٥) انظر للحنفية: «بدائع الصنائع» (٣٩/١)، و«تبيين الحقائق» (٥٥/١). وللمالكية: «القوانين الفقهية» (ص ٣٨)، و«مواهب الجليل» (٥٣٦/١). وللشافعية: «روضة الطالبين» (٢٦٣/١). قال: «بلا خلاف». و«مغني المحتاج» (١١٣/١). وللحنابلة: «زاد المستقنع» (ص ٥٢)، و«الإنصاف» (٣٧٦/١).
- (٦٦) انظر: «البيان في مذهب الإمام الشافعي» للعمري (٣٥٠/١).
- (٦٧) انظر: «بدائع الصنائع» (٣٩/١).
- (٦٨) الدرّجة - بكسر الدال وفتح الراء -: جمع دُرْج، هو كالسَّفْط الصغير تضع فيه المرأة خِفّاً متاعها وطيبها. وقيل الدرّجة - بضم الدال وسكون الراء -: وأصله شيء يُدرج، أي يلفُّ فيدخل في حياء الناقة، ثم يُخرج ويُترك على حوار فتشمه فتظنه ولدها فتأمله. انظر: «النهاية» (١١١/٢)، مادة (د.ر.ج). قال الشربيني في «مغني المحتاج» (١١٣/١): «هي نحو خرقة كقطنة تدخلها المرأة فرجها ثم تخرجها لتنظر هل بقي شيء من أثر الدم أو لا؟».
- (٦٩) الكرْسُف: القطن. انظر: «النهاية» (١٦٣/٤)، مادة (ك.ر.س.ف).
- (٧٠) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (٥٩/١)، رقم (١٢٨) بالإسناد المتقدم.
- (٧١) انظر: «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع» (٣٩/١).
- (٧٢) انظر: «مغني المحتاج» (١١٣/١).
- (٧٣) انظر: «الكافي في فقه الإمام أحمد» (٦٤/١).
- (٧٤) انظر: «الشرح المتع» (٤٩٨/١).
- (٧٥) انظر: «توضيح الأحكام من بلوغ المرام» (٤٠٢/١).
- (٧٦) انظر: «الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف» (٢٣٧/٢). وراجع: «مصنف عبدالرزاق» (١١٦/١)، باب في المرأة تطهر ثم ترى الصفرة بعد الطهر.
- (٧٧) انظر: «بدائع الصنائع» (٣٩/١).
- (٧٨) انظر: «مواهب الجليل» (٥٣٦/١).

(٧٩) انظر: «الحاوي الكبير» (١/٤٩١).

(٨٠) انظر: «الإنصاف» (١/٣٧٦).

(٨١) انظر: «المغني» (١/٢٤١).

(٨٢) المصدر السابق.

(٨٣) تقدم تخريجهما أول المطلب.

(٨٤) انظر: «شرح العمدة» (١/٥٠٤).

(٨٥) «مسند أحمد» (٦/٧١ و ١٦٠ و ٢١٥)، رقم (٢٤٤٧٢ و ٢٥٣٠٨ و ٢٥٨٤٥)، من طريق يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أم بكر أنها أخبرتها عائشة رضي الله عنها... فذكرته.

(٨٦) (١/٧٨)، رقم (٢٩٣)، في كتاب الطهارة - باب من روى أن المستحاضة تغتسل لكل صلاة، بنحو إسناد أحمد. وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١/٥٨)، برقم (٢٧٨).

(٨٧) (١/٢١٢)، رقم (٦٤٦)، في كتاب الطهارة وسننها - باب ما جاء في الحائض ترى بعد الطهر الصفرة والكدر، بالإسناد المتقدم. قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/٨٣): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وله شاهد من حديث أم عطية؛ رواه أبو داود والنسائي والبخاري». وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١/١٠٧)، برقم (٥٢٨).

(٨٨) انظر: «نيل الأوطار» (١/٣٤٦).

(٨٩) انظر: «القواعد الفقهية» (ص ٣٦٣). قاعدة رقم (١٣٣).

#### ومن فروع هذه القاعدة على سبيل التمثيل:

- ثبوت النسب بشهادة النساء بالولادة، ولا يثبت بشهادتهن استقلالاً.
- ومن ذلك: قبول شهادة المرأة بالرضاع، ويتفرع عليه انفساح النكاح.
- ومن ذلك: عدم جواز بيع المجهول استقلالاً، ويجوز إذا كان تبعاً لغيره والجهالة يسيرة كأساسيات الحيطان.
- ومن ذلك: عدم جواز بيع الحمل في البطن استقلالاً، لكن يجوز تبعاً لأُمّه.

- ومن ذلك: عدم جواز أكل الحشرات منفردة، ويجوز أكل الدود ونحوه تبعاً للثمرة ونحوها.
- (٩٠) انظر: «المجموع شرح المهذب» (٤١٥/٢).
- (٩١) انظر: «شرح العمدة» لابن تيمية (٥٠٤/١).
- (٩٢) ما بين الحاصرتين من «فتح ذي الجلال والإكرام» للعثيمين (٧١٠/١).
- (٩٣) العيد مشتق من العود، وهو الرجوع والمعاودة؛ لأنه يتكرر. وقيل: لأنه يعود بالفرح والسرور. وقيل: سمي به تفاعلاً ليعود ثانية، كالقافلة. وقيل: لكثرة عوائد الله تعالى فيه على عباده. وهو من عاد يعود، فهو الاسم منه، كالقيل من القول، وصار علماً على اليوم المخصوص. انظر: «المبدع» (١٧٨/٢)، «مغني المحتاج» (٣١٠/١)، «كشاف القناع» (٤٩-٥٠).
- (٩٤) العواتق: جمع عاتق، وهي الجارية البالغة. وقيل هي التي قاربت البلوغ، قالوا: سميت عاتقاً لأنها عتقت من امتهاتها في الخدمة والخروج إلى الحوائج. وقيل قاربت أن تتزوج فتعتق من قهر أبيها وأهلها وتستقل في بيت زوجها. انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٧٨/٦).
- (٩٥) الخُدُور: البيوت. وقيل: الخدر ستر يكون في ناحية البيت. المرجع السابق.
- (٩٦) الجلباب: هو الملاءة المغطية للبدن كله، تُلبس فوق الثياب، وتسميها العامة (الإزار). انظر: «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» (٥٠٧/١).
- (٩٧) أخرجه البخاري (٤٧٠/٢ – مع الفتح)، رقم (٩٨١)، كتاب العيدين، باب اعتزال الحيض المصلى. ومسلم (٦٠٦/٢)، رقم (٨٩٠)، كتاب صلاة العيدين، باب ذكر إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى وشهود الخطبة مفارقات للرجال.
- (٩٨) انظر: «المغني» (١١١/٢).
- (٩٩) انظر: «المجموع» (١/٥)، و«المغني» (١١١/٢)، و«المبدع» (١٧٨/٢).
- (١٠٠) انظر: «الإنصاف» (٤٢٠/٢)، «الفروع» (١٠٩/٢).
- (١٠١) انظر: «المجموع» (١/٥)، «مغني المحتاج» (٣١٠/١).
- (١٠٢) انظر: «روضة الناظر وجنة المناظر» (ص ١٧٠).

- (١٠٣) ما بين الحاصرتين من كلام العلامة محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١ هـ) من كتابه «الشرح الممتع» (١٤٩/٥).
- (١٠٤) انظر: «تبيين الحقائق» (٢٢٣/١)، و«الدر المختار» (١٦٥/٢).
- (١٠٥) انظر: «الإنصاف» (٤٢٠/٢). وقال ابن تيمية: «قد يقال بوجوبها على النساء وغيرهن».
- (١٠٦) انظر: «المغني» (١١١/٢).
- (١٠٧) انظر: «الكافي» لابن عبد البر (ص ٧٧)، و«حاشية العدوي» (٤٨٩/١).
- (١٠٨) انظر: «التنبيه» للشيرازي (ص ٤٥)، و«المهذب» له (١١٨/١).
- (١٠٩) انظر: «الإنصاف» (٤٢٠/٢).
- (١١٠) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٠٦/١ - مع الفتح)، برقم (٤٦)، وغيره من المواضع. ومسلم (٤٠/١)، برقم (١١).
- (١١١) انظر: «الشرح الممتع» (١٥١/٥).
- (١١٢) انظر: «معني المحتاج» (٣١٠/١).
- (١١٣) انظر: «فتح الباري» (٤٧٠/٢).
- (١١٤) انظر أقوالهم في «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/٢)، برقم ٥٧٨٤ و ٥٧٨٥ و ٥٧٨٦ و ٥٧٨٩.
- (١١٥) أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في خروج النساء في العيدين (٤١٥/١)، برقم (١٣٠٨). قال البوصيري: «هذا إسناد ضعيف لتدليس حجّاج بن أرطاة». انظر: «مصباح الزجاجة» (٤٢٨/١).
- (١١٦) أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في خروج النساء في العيدين (٤١٥/١)، برقم (١٣٠٩). وابن أبي شيبة (٣/٢) باب من رخص في خروج النساء إلى العيدين، برقم (٥٧٨٣)، من طريق حجّاج بن أرطاة، عن عبد الرحمن بن عباس، عن ابن عباس.
- (١١٧) انظر: «سبل السلام» (٦٥/٢).

- (١١٨) انظر: «المغني» (١١٥/٢)، و«الكافي» (٢٣٢/١).
- (١١٩) انظر: «سبل السلام» (٦٥/٢).
- (١٢٠) انظر: «المجموع» (١٢/٥).
- (١٢١) انظر أقوالهم في «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/٢)، برقم ٥٧٩٣ و ٥٧٩٥ و ٥٧٩٦.
- (١٢٢) انظر: «المجموع» (١٢/٥).
- (١٢٣) «المصدر السابق» (١٣/٥).
- (١٢٤) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب انتظار الناس قيام الإمام العالم (٢/٣٤٩) - مع الفتح، برقم (٨٦٩).
- (١٢٥) انظر: «مسائل الإمام أحمد - رواية ابنه أبي الفضل صالح» (مسألة رقم ٤٠٢).
- (١٢٦) انظر: «مسائل الإمام أحمد - رواية ابنه عبد الله» (مسألة رقم ٤٨٠).
- (١٢٧) انظر: «الفتاوى التاتارخانية» (١/٥٦٠).
- (١٢٨) انظر: «سبل السلام» (٦٦/٢).
- (١٢٩) انظر: «المرجع السابق» (٢/٦٥-٦٦).
- (١٣٠) «المرجع السابق».
- (١٣١) انظر: «فتح الباري» (٢/٣٥٠).
- (١٣٢) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب ما جاء في خروج النساء إلى المسجد (١/١٥٥)، برقم (٥٦٥). قال الألباني: «حسن صحيح»، كما في «صحيح سنن أبي داود» برقم (٥٢٩). وأخرجه ابن خزيمة (٣/٩٠)، برقم (١٦٧٩)، وابن حبان (٥/٥٩٢)، برقم (٢٢١٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
- ومعنى (تَفَلَات) - بفتح المثناة وكسر الفاء -: أي غير متطيبات، ويقال: امرأة تَفَلَةٌ إذا كانت متغيرة الريح؛ قاله الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٢/٣٤٩).
- (١٣٣) انظر: «المغني» (١١٦/٢).

- (١٣٤) انظر: «شرح مسلم» (١٧٩/٦).
- (١٣٥) انظر: «فتح الباري» (٤٢٤/١).
- (١٣٦) انظر: «فتح الباري» لابن رجب (٥٠٨/١).
- (١٣٧) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤٢٠/٦).
- (١٣٨) الجنائز - بفتح الجيم -: جمع جِنَازة - بكسر الجيم وفتحها - مشتقة من جَنَزَ يَجْنِزُ، إذا سَتَرَ. وقيل بالفتح للميت، وبالكسر للتعش. وقيل عكسه. انظر: «تحرير ألفظ التنبيه» (ص ٩٤).
- (١٣٩) جمهور شَرَّاح الحديث على أن بنت النبي ﷺ التي غسلتها أم عطية وصواحباتها هي زينب رضي الله عنها. وقد صرَّحت أم عطية رضي الله عنها في رواية عند مسلم في «الصحيح» (٦٤٨/٢)، رقم (٩٣٩) بأنها زينب؛ ونصه: «لَمَّا ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ، قال لنا رسول الله: اغسلنها وتراً، ثلاثاً أو خمساً...» الحديث.
- (١٤٠) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٦٢٧/٢).
- (١٤١) انظر: «الاستذكار» (٨/٣).
- (١٤٢) نقله الحافظ في «فتح الباري» (١٢٧/٣)، مرجع سابق.
- (١٤٣) «الاستيعاب» (١٩٤٧/٤)، مرجع سابق.
- (١٤٤) انظر: «السييل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار» (٣٤٥/١).
- (١٤٥) الحِقْفُو: الإزار، والأصل فيه معقد الإزار، وجمعه: أحقّ، وأحقاء، ثم سمي به الإزار للمجاورة. انظر: «النهاية» (٤١٧/١)، مادة (ح.ق.ا).
- (١٤٦) هو أيوب السُّخْتِيَانِي الراوي عن ابن سيرين.
- (١٤٧) هي حفصة بنت سيرين الراوية عن أم عطية.
- (١٤٨) متفق عليه. أخرجه البخاري (٣/١٣٠ - مع الفتح)، رقم (١٢٥٤)، في كتاب الجنائز - باب ما يستحب أن يغسل وتراً. وفي باب غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر، رقم (١٢٥٣). وفي باب يُبدَأُ بميامن الميت، رقم (١٢٥٥). وفي باب مواضع الوضوء، رقم (١٢٥٦). وفي باب

- هل تكفن المرأة في إزار الرجل، رقم (١٢٥٧). وفي باب يجعل الكافور في آخره، رقم (١٢٥٨). وفي باب نقض شعر المرأة، رقم (١٢٦٠). وفي باب كيف الإشعار للميت، رقم (١٢٦١). وفي باب هل يُجعل شعر المرأة ثلاثة قرون، رقم (١٢٦٢). وفي باب يُلقى شعر المرأة خلفها، رقم (١٢٦٣).
- وأخرجه مسلم في الجنائز - باب في غسل الميت (٦٤٦/٢)، رقم (٩٣٩).
- (١٤٩) انظر: «النهر الفائق شرح كنز الدقائق» (٣٨٢/١).
- (١٥٠) انظر: «منار السالك على أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك» (ص ٥٣).
- (١٥١) انظر: «معني المحتاج» (٣٣٢/١).
- (١٥٢) انظر: «شرح منتهى الإرادات» (٣٤٤/١).
- (١٥٣) انظر: «الفروع» (٢١٨/٢)، «الإنصاف» (٤٧٠/٢)، «كشف القناع» (٨٦/٢ و ١٤٣).
- (١٥٤) انظر: «المحلى» (٣٣٣/٣).
- (١٥٥) انظر: «منار السالك» (ص ٥٣).
- (١٥٦) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٢٥/٣).
- (١٥٧) انظر: «روضة الناظر وجنة المناظر» (ص ١٧٠).
- (١٥٨) **القَعَصُ**: أن يُضرب الإنسان فيموت مكانه، يقال: قعصته وأقعصته، إذا قتلته قتلاً سريعاً. انظر: ابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦هـ)، «النهاية» (٨٨/٤)، مادة (ق.ع.ص).
- (١٥٩) أخرجه البخاري في الجنائز، باب الكفن في ثوبين (٣/١٣٥ - مع الفتح)، رقم (١٢٦٥)، وفي باب الحنوط للميت (٣/١٣٦ - مع الفتح)، رقم (١٢٦٦)، وفي باب كيف يكفن الميت؟ (٣/١٣٧ - مع الفتح)، رقم (١٢٦٧). ومسلم في الحج، باب ما يفعل بالمحرم إذا مات (٢/٨٦٥)، رقم (١٢٠٦).
- (١٦٠) انظر: «الشرح الممتع» (٢٦٣/٥).
- (١٦١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٢٦/٣).

- (١٦٢) انظر: «عارضه الأحوذى بشرح صحيح الترمذي» (١٦٧/٢).
- (١٦٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٢٦/٣).
- (١٦٤) انظر: «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» (٥٣/١).
- (١٦٥) انظر: «المجموع» (٥١٨/٢).
- (١٦٦) انظر: «شرح منتهى الإرادات» (١٠٧/١).
- (١٦٧) انظر: «النهر الفائق» (٣٨٢/١)، «حاشية ابن عابدين» (١٩٤/٢).
- (١٦٨) انظر: «حاشية الدسوقي» (٥٣/١).
- (١٦٩) انظر: «عقد الجواهر الثمينة» (٢٥٤/١).
- (١٧٠) انظر: «مواهب الجليل»، (٤/٣).
- (١٧١) انظر: «المجموع» (٥١٨/٢).
- (١٧٢) أخرجه البخاري في كتاب الغسل، باب عرق الجنب وأن المسلم لا ينجس (١/٣٩٠- مع الفتح)، رقم (٢٧٩). ومسلم في الحيض، باب الدليل على أن المسلم لا ينجس (١/٢٨٢)، رقم (٣٧١)، واللفظ له.
- (١٧٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٢٧/٣).
- (١٧٤) انظر: «شرح المنتهى» (١٠٧/١).
- (١٧٥) انظر: «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» (٥٣/١).
- (١٧٦) نسبه محمد التهامي كَتون (ت ١٣٣١ هـ) في «أقرب المسالك» (ص ١٩٥) للنيسابوري، ولم أقف عليه، وعلامات الوضع بادية عليه، والله أعلم.
- (١٧٧) انظر: «أقرب المسالك» (ص ١٩٥).
- (١٧٨) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٢٦/٣).
- (١٧٩) انظر: «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» (١/٢٤٠).
- (١٨٠) انظر: «بدائع الصنائع» (١/٣٠١).

- (١٨١) انظر: «بداية المجتهد» (١/٢٤٠)، و«سبل السلام» (٢/١٩٢).
- (١٨٢) انظر: «حاشية البجيرمي» (١/٤٥٧).
- (١٨٣) انظر: «بدائع الصنائع» (١/٣٠٤).
- (١٨٤) انظر: «العدة شرح العمدة» (١/١٢٨).
- (١٨٥) انظر: «سبل السلام» (٢/١٩٢).
- (١٨٦) انظر: «المعني» (٢/١٦٧).
- (١٨٧) انظر: «روضة الطالبين» (١/١٦١).
- (١٨٨) ما بين القوسين من كلام الأمير الصنعاني (ت ١١٨٢هـ) في «سبل السلام» (٣/١٩٢).
- (١٨٩) انظر: «مغني المحتاج» (١/٣٣٤).
- (١٩٠) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٢/٢-٣).
- (١٩١) انظر: «الإنصاف» (٢/٤٩٢).
- (١٩٢) انظر للحنفية: «فتح القدير» (٢/١٠٩). وللمالكية: «شرح الزرقاني» (٢/٧٤). وللشافعية: «مغني المحتاج» (١/٣٣٤). وللحنابلة: «شرح المنتهى» (١/٣٤٩).
- (١٩٣) انظر: «بدائع الصنائع» (١/٣٠١).
- (١٩٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٣/١٣١).
- (١٩٥) يعني ثلاث صفائر، فكل صغيرة من صفائر الشعر قرن. انظر: «النهاية» (٤/٥١)، مادة (ق.ر.ن).
- (١٩٦) «صحيح البخاري» (٣/١٣٢ - مع الفتح)، رقم (١٢٦٠).
- (١٩٧) «صحيح البخاري» (٣/١٣٣ - مع الفتح)، رقم (١٢٦٢).
- (١٩٨) «صحيح البخاري» (٣/١٣٤ - مع الفتح)، رقم (١٢٦٣).
- (١٩٩) انظر: «مغني المحتاج» (١/٣٣٤).

- (٢٠٠) انظر: «شرح منتهى الإرادات» (١/٣٥٠).
- (٢٠١) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٨/٤٣).
- (٢٠٢) انظر: «صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان» (٧/٣٠٤)، رقم (٣٠٣٣)، كتاب الجنائز، باب ذكر البيان بأن أم عطية إنما مشطت قرونها بأمر المصطفى ﷺ لا من تلقاء نفسها.
- (٢٠٣) انظر: «المغني» (٢/١٧٣).
- (٢٠٤) انظر: «الهداية شرح بداية المبتدي» (١/٩٧).
- (٢٠٥) انظر: «الشرح الكبير» (١/٤١٠).
- (٢٠٦) يقال: نَصَوْتُ الرجل أَنْصُوهُ نَصْوًا؛ إذا مددت ناصيته، ونَصَّتْ الماشطة المرأة ونَصَّتْها تنصت. انظر: أبو السعادات ابن الجزري (ت ٦٠٦ هـ)، «النهاية» (٥/٦٧)، مادة (ن.ص.ا).
- (٢٠٧) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٣/٤٣٧)، رقم (٦٢٣٢)، من طريق الثوري، عن حماد بن أبي سليمان، عن إبراهيم، عن عائشة رضي الله عنها به. وإسناده رجاله أئمة مشهورون، إلا أنه منقطع. قال أبو حاتم: (لم يلق إبراهيم النخعي أحداً من أصحاب النبي ﷺ إلا عائشة ولم يسمع منها شيئاً). انظر: «المراسيل» (ص ٩).
- (٢٠٨) انظر: «عمدة القاري» (٨/٤٣).
- (٢٠٩) انظر: «الفتاوى الهندية» (١/١٥٨)، و«الفتاوى التاتارخانية» (١/٥٩٠).
- (٢١٠) هي حفصة بنت سيرين أخت محمد بن سيرين. انظر: «فتح الباري» (٣/١٤٥).
- (٢١١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب اتباع النساء الجنائز (٣/١٤٤) - مع الفتح، رقم (١٢٧٨). ومسلم في كتاب الحيض، باب نهي النساء عن اتباع الجنائز (٢/٤٦٤)، برقم (٩٣٨).
- (٢١٢) «صحيح مسلم» (٢/٤٦٤)، برقم (٩٣٨).
- (٢١٣) انظر: «شرح عمدة الأحكام» (ص ١٩٤).
- (٢١٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥/٤٥)، برقم (٨٥)، والضياء في «المختارة»

- (٤٠٢/١)، برقم (٢٨٥). قال في «مجمع الزوائد» (٣٨/٦): «رجاله ثقات». وأشار الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٤٥/٣) إلى رواية للحافظ الإسماعيلي من طريق يزيد بن أبي حكيم، عن الثوري، عن خالد، عن أم الهذيل، عن أم عطية - بنفس إسناد البخاري - بلفظ: «نهانا رسول الله ﷺ عن اتباع الجنائز...» الحديث.
- (٢١٥) انظر: «حاشية الروض المربع» (١١٥/٣).
- (٢١٦) انظر: «شرح رياض الصالحين» (٣٤٥/٤).
- (٢١٧) انظر: «النهر الفائق» (٤٠٤/١).
- (٢١٨) انظر: «الإنصاف» (٢٦١/٢).
- (٢١٩) انظر: «الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (ص ٩٠).
- (٢٢٠) انظر: «تهذيب السنن» مطبوع بهامش «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (٤٣/٩).
- (٢٢١) انظر: التعليق على «جامع الترمذي» (١٣٨/٢).
- (٢٢٢) انظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٨٥/١٣).
- (٢٢٣) انظر: «شرح رياض الصالحين» (٥٣٤/٤).
- (٢٢٤) انظر: «صحيح مسلم بشرح النووي» (٢/٧).
- (٢٢٥) انظر: «عمدة القاري» (٦٤/٨).
- (٢٢٦) الكُدَى - بالضم وتخفيف الدال المقصورة - : المقابر. انظر: «فتح الباري» (١٤٥/٣) لابن حجر.

(٢٢٧) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٤٠٣/٢)، برقم (٢٠١٩)، وضعفه. وأحمد (١٣٧/١١)، برقم (٦٥٧٤)، وأبو يعلى (١١٣/١٢)، برقم (٦٧٤٦)، وابن حبان (٤٥١/٧)، برقم (٣١٧٧)، والحاكم (٥٢٩/١)، برقمي (١٣٨٢) و(١٣٨٣) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». جميعهم من طريق ربيعة بن سيف المعافري، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن ابن عمرو به. قال البوصيري في (٥٠٨/٢)،

برقم (١٩٩٨): «رواه أبو يعلى بإسناد حسن». وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (١٤/١٣١).

(٢٢٨) انظر: «فتح الباري» (٣/١٤٥).

(٢٢٩) أخرجه ابن ماجه (١/٥٠٢)، برقم (١٥٧٨)، في كتاب الجنائز، باب ما جاء في اتباع الجنائز. والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/١٢٩)، برقم (٧٢٠١)، كلاهما من طريق إسرائيل، عن إسماعيل بن سلمان، عن دينار أبي عمر، عن محمد بن الحنفية، عن علي رضي الله عنه. والإسناد مداره على إسماعيل بن سلمان، ودينار أبي عمر؛ ضعيفان. وضعفه النووي، والألباني. انظر: «خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام» (٢/١٠٠٤)، برقم (٣٥٩٤)، و«السلسلة الضعيفة» (٦/٢٦٢). وله شاهد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه؛ رواه أبو يعلى من طريقين في (٧/١٠٩)، برقم (٤٠٥٦)، وفي (٧/٢٦٨)، برقم (٤٢٨٤). قال في «مجمع الزوائد» (٣/٢٨): «فيه الحارث بن زياد. قال الذهبي: ضعيف».

(٢٣٠) انظر: «تهذيب السنن» (٩/٤٢).

(٢٣١) أخرجه أبو داود (٣/٢١٨)، برقم (٣٢٣٤)، في كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور. والترمذي (٢/١٣٦)، برقم (٣٢٠)، في أبواب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً. والنسائي في «الكبرى» (٢/٤٦٩)، برقم (٢١٨١)؛ ثلاثتهم من طريق محمد بن جُحادة، عن أبي صالح، عن ابن عباس. قال الترمذي عقبه: «حديث ابن عباس حديث حسن». وقوى إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على «جامع الترمذي» (٢/١٣٧).

(٢٣٢) انظر: «تهذيب السنن» (٩/٤٣).

(٢٣٣) ما بين الحاصرتين من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٤/٣٥٤).

(٢٣٤) أخرجه الترمذي (٣/٣٦٢)، برقم (١٠٥٦)، في الجنائز، باب ما جاء في كراهية زيارة القبور، من طريق أبي عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

- (٢٣٥) أخرجه البخاري برقم (٨٦٩)، ومضى تخريجه في حديثها في العيدين.
- (٢٣٦) انظر: «حاشية ابن عابدين» (٢/٢٣٢).
- (٢٣٧) انظر: «مواهب الجليل لشرح مختصر خليل» (٣/٥٠). وهذا من العبارات الشديدة التي تصدر عن ابن الحاج في كتابه «المدخل»، مما يُنكره بعض العلماء عليه!!
- (٢٣٨) انظر: «شرح صحيح البخاري» (٣/٢٦٧-٢٦٨).
- (٢٣٩) انظر: «تهذيب السنن» (٩/٤٢).
- (٢٤٠) انظر: «كشاف القناع» (٢/١٢٩).
- (٢٤١) انظر: «مغني المحتاج» (١/٣٦٥).
- (٢٤٢) انظر: «كشاف القناع» (٢/١٢٩).
- (٢٤٣) انظر: «مجموع فتاوى ابن باز» (١٣/٢٨٦).
- (٢٤٤) انظر: «المنتقى شرح الموطأ» للباقي (٢/١٨).
- (٢٤٥) انظر: «الإنصاف» (٢/٢٦٢).
- (٢٤٦) قال ابن حزم الظاهري: «لا يمنع من اتباعها، وأثار النهي عن ذلك لا تصح؛ لأنها إما عن مجهول، أو مرسل، أو عمن لا يُحتج به». نقله العيني في «عمدة القاري» (٨/٤٣).
- (٢٤٧) انظر: «المدونة الكبرى» (١٨٨-١٨٩).
- (٢٤٨) انظر: «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام» لابن دقيق العيد (١/١٦٣). قال ابن الحاج المالكي: «وينبغي له - أي للعالم - أن يمنعهن - أي النساء - من الخروج إلى القبور، وإن كان هن ميث؛ لأن السنة حكمت بعدم خروجهن». انظر: «مواهب الجليل» (٣/٥٠).
- (٢٤٩) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب زيارة القبور (٣/١٤٨ - مع الفتح)، رقم (١٢٨٣). ومسلم في كتاب الجنائز أيضاً، باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى (٢/٦٣٧)، برقم (٩٢٦).
- (٢٥٠) انظر: «فتح الباري» (٣/١٤٨).

(٢٥١) انظر: «تهذيب السنن» (٤٥/٩).

(٢٥٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٦٦٩/٢)، برقم (٩٧٤)، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبر والدعاء لأهلها.

(٢٥٣) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٥٣٢/١)، برقم (١٣٩٢) وسكت عنه، والبيهقي في «الكبرى» (١٣١/٤)، برقم (٧٢٠٧)، كلاهما من طريق يزيد بن زريع، ثنا بسطام بن مسلم، عن أبي التياح يزيد بن حميد، عن عبد الله بن أبي مليكة به عنها. قال الألباني: قال الذهبي: «صحيح». وقال البوصيري: «إسناده صحيح رجاله ثقات». قال: «وهو كما قال». انظر: «أحكام الجنائز وبدعها» (ص ١٨١).

(٢٥٤) انظر: «تهذيب السنن» (٤٤/٩).

(٢٥٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٦٧٢/٢)، برقم (٩٧٧)، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه في زيارة قبر أمه.

(٢٥٦) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣٤٤/٢٤).

(٢٥٧) هذا لفظ ابن ماجه في «سننه» (٥٠٠/١)، برقم (١٥٦٩)، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور، من طريق محمد بن عبيد، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة ؓ.

(٢٥٨) أخرجه الحاكم في «مستدرکه» (٥٣٣/١) و(٣٠/٣)، برقم (١٣٩٦ و ٤٣١٩)؛ ومن طريقه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣١٣/٤)، برقم (٧٢٠٨)، من طريق سليمان بن داود، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن فاطمة. قال الحاكم عقب أحد الإسنادين: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وتعقبه الحافظ الذهبي بقوله: «سليمان بن داود متكلم فيه».

(٢٥٩) انظر: «سبل السلام» (٥٠٣/١).

(٢٦٠) انظر: «المنتقى شرح الموطأ» (١٨/٢).

(٢٦١) انظر: «تهذيب السنن» (٤٣/٩).

(٢٦٢) راجع: «مصنف عبد الرزاق» (٤٥٦/٣ و ٤٥٧)، «مصنف ابن أبي شيبة» (٢٨٤/٣ و ٢٨٥).

- (٢٦٣) (٧٠ / ٨).
- (٢٦٤) «التعليق على سنن الترمذي» (١٣٨ / ٢).
- (٢٦٥) انظر: «كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري» (٣٧٩ / ١١).
- (٢٦٦) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» للقسطلاني (٣٩٩ / ٢)، «عون الباري بحل أدلة البخاري» لصديق خان (٥٦٧ / ٣).
- (٢٦٧) انظر: «شرح عمدة الأحكام» (ص ١٩٥).
- (٢٦٨) انظر: «تهذيب السنن» (٤٤ / ٩).
- (٢٦٩) انظر: «شرح عمدة الأحكام» (ص ١٩٥).
- (٢٧٠) انظر: «توضيح الأحكام» (٥٧٨ / ٢).
- (٢٧١) متفق عليه. أخرجه البخاري في الحيض، باب الطيب للمرأة عند غسلها من الحيض (٤١٣ / ١ - مع الفتح)، برقم (٣١٣)، وفي مواضع من «الصحيح». ومسلم في الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام (١١٢٨ / ٢)، برقم (٩٣٨).
- (٢٧٢) أخرجه البخاري (٤٩٢ / ٩ - مع الفتح)، برقم (٥٣٤٢).
- (٢٧٣) انظر: «تحرير ألفظ التنبيه» (ص ٢٨٥).
- (٢٧٤) انظر: «التمهيد» (٣١٥ / ١٧).
- (٢٧٥) انظر: «القوانين الفقهية» (ص ١٥٨).
- (٢٧٦) انظر: «شرح مسلم» (١١٨ / ١٠)، «فتح الباري» لابن رجب (٩١-٩٢ / ٢)، والحافظ ابن حجر (٤٢٦ / ١).
- (٢٧٧) انظر: «فتح الباري» (٤١٤ / ١).
- (٢٧٨) انظر: «الكافي في فقه الإمام أحمد» (٣٢٦ / ٣).
- (٢٧٩) انظر: «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» (٩٢ / ٢).

(٢٨٠) انظر: «المغني» (١٢٤/٨).

(٢٨١) انظر: «التمهيد» (٣٢١/١٧).

(٢٨٢) يُنظر في الحكمة من مشروعية الإحداد: «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (١٤٦/٢-١٤٨)، و«شرح رياض الصالحين»، (٥٤٠-٥٤١/٦)، و«الشرح الممتع» (٤٠٩/١٣)، و«فتح ذي الجلال والإكرام» (٢٦٣/١٢ و٢٦٤ و٢٦٦)، و«توضيح الأحكام» (٨٤-٨٢/٥)، و«شرح عمدة الفقه» (١٤٣٧/٣)، «فتاوى المرأة» (ص ١٤٠-١٤١)، «الموسوعة الفقهية الكويتية» (١٠٧/٢).

(٢٨٣) انظر: «الموسوعة الفقهية الكويتية» (١٠٧/٢).

(٢٨٤) يُنظر فيما تمتنع عنه المرأة المحدّة: «المبدع» (١٤١-١٤٣/٨)، «شرح رياض الصالحين» (٥٤٣-٥٤٢/٦)، و«فتح ذي الجلال والإكرام» (٢٦٨/١٢)، و«الشرح الممتع» (٤٠٦-٤٠٤/١٣)، و«شرح عمدة الفقه» (١٤٥٤-١٤٥٦/٣)، و«فتاوى المرأة» (ص ١٣٨-١٣٩).

(٢٨٥) انظر: «المغني» (٢٨٩/١١).

(٢٨٦) يُنظر في ذلك: «مجموع الفتاوى» (٢٧-٢٨/٣٤). و«شرح رياض الصالحين» (٥٤٣/٦)، و«الشرح الممتع» (٤٠٩/١٣)، «شرح عمدة الفقه» (١٤٥٧/٣)، «فتاوى المرأة» (ص ١٣٨-١٣٩).

(٢٨٧) ما بين الحاصرتين من جواب للشيخ العثيمين من كتاب «فتاوى المرأة» (ص ١٤٣).

(٢٨٨) «المرجع السابق» (ص ١٤٤).

### المراجع والمصادر

- \* القرآن الكريم.
- \* «أحكام الجنائز وبدعها» للألباني (ت ١٤٢٠هـ)، ط: الرابعة، (١٤٠٦هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت.
- \* «الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» للبعلي (ت ٨٠٣هـ)، تحقيق محمد الفقي، ط: (بدون)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
- \* «الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار» لابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق سالم محمد عطا وزميله، ط: الأولى (١٤١٩هـ - ٢٠٠٠م)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- \* «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» للقسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، ط: السابعة، (١٣٢٣هـ)، المطبعة الأميرية - القاهرة.
- \* «أقرب المسالك إلى موطأ الإمام مالك» للتهامي كتون (ت ١٣٣١هـ)، طبع بأمر ملك المغرب الحسن الثاني، ونشرته وزارة الأوقاف عام ١٩٨٨م، المغرب.
- \* «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل» للمرداوي (ت ٨٨٥هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، ط: الثانية (بدون)، دار إحياء التراث العربي - مؤسسة التاريخ العربي - بيروت.
- \* «البحر الرائق شرح كنز الدقائق» لابن نجيم الحنفي (ت ١٠٠٥هـ)، ط: (بدون)، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.
- \* «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع» للكاساني (ت ٥٨٧هـ)، ط: (بدون)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- \* «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» لابن رشد الحفيد (ت ٥٩٥هـ)، ط: الرابعة (٢٠٠٤م)، دار الحديث - القاهرة.
- \* «التعديل والتجريح لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح» لأبي الوليد الباجي (ت ٤٧٤هـ)،

- تحقيق أبي لبابة حسين، ط: الأولى (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، دار اللواء للنشر والتوزيع، السعودية - الرياض.
- \* «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي وزميله، طبع وزارة الشؤون الإسلامية بالمغرب سنة (١٣٨٧ هـ).
- \* «التنبيه» للشيرازي (ت ٤٧٦ هـ)، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، ط: الأولى (١٤٠٣ هـ)، عالم الكتب، بيروت.
- \* «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط: الأولى (١٤١٥ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- \* «تهذيب السنن» لابن القيم (ت ٧٥١ هـ)، مطبوع بهامش «عون المعبود شرح سنن أبي داود»، ط: الأولى، (١٤١٠ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- \* «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» لابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ)، تحقيق دار الفلاح بإشراف خالد الرباط وزميله، ط: الأولى (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)، من إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.
- \* «الجامع الصحيح (سنن الترمذي)» للترمذي (ت ٢٩٧ هـ)، تحقيق أحمد شاكر، ط: (بدون)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- \* «الجوهرة النيرة»، لأبي بكر العبادي (ت ٨٠٠ هـ)، ط: الأولى (١٣٢٢ هـ)، المطبعة الخيرية.
- \* «حاشية ابن عابدين» لابن عابدين (ت ١٢٥٢ هـ)، ط: سنة (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م)، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- \* «حاشية البجيرمي» للبجيرمي (ت ١٢٢١ هـ)، ط: (بدون)، المكتبة الإسلامية، ديار بكر - تركيا.
- \* «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» للدسوقي (ت ١٢٣٠ هـ)، تحقيق محمد عليش، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- \* «حاشية العدوي» لعلي الصعيدي المالكي (ت ١١٨٩ هـ)، تحقيق يوسف البقاعي، ط: سنة (١٤١٢ هـ)، دار الفكر - بيروت

- \* «الحاوي الكبير» للماوردي (ت ٤٥٠هـ)، ط: سنة ٢٠٠٣م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- \* «خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام» للنووي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق حسين الجمل، ط: الأولى (١٤٢٨هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- \* «رجال صحيح البخاري» للكلاباذي (ت ٣٩٨هـ)، تحقيق عبد الله الليثي، ط: الأولى، (١٤٠٧هـ)، دار المعرفة، لبنان.
- \* «روضة الطالبين» للنووي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وزميله، ط: (بدون)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- \* «روضة الناظر وجنة المناظر» للموفق ابن قدامة (ت ٦٢٠هـ)، ط: (٢٠٠٦م)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- \* «السلسلة الضعيفة والموضوعة» للألباني (ت ١٤٢٠هـ)، ط: الثانية (١٤١٢هـ)، دار المعارف، الرياض.
- \* «سنن أبي داود» (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق عبيد الدغاس وزميله، ط: الأولى (١٣٨٨هـ)، دار الحديث - بيروت - لبنان.
- \* «سنن الدارمي» (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق فؤاد أحمد زمزلي وزميله، ط: الأولى (١٤٠٧هـ)، دار الريان للتراث - مصر.
- \* «السُّنن الكبرى» للبيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط: الأولى (١٤١٤هـ) - ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- \* «السُّنن الكبرى» للنسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق د. عبد الغفار البنداري وزميله، ط: الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩١م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- \* «السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار» للشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، ط: الأولى، ط: (بدون)، دار الكتب العلمية - لبنان.
- \* «شرح رياض الصالحين» للعثيمين (ت ١٤٢١هـ)، ط: الثانية، (١٤٢٧هـ)، دار الوطن للنشر - الرياض.

- \* «شرح الزرقاني» للزرقاني (ت ١١٢٢هـ)، ط: الأولى، (١٤١١هـ)، دار الكتب العلمية - لبنان.
- \* «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق ياسر بن إبراهيم، ط: الثانية (١٤٢٣هـ)، مكتبة الرشد، السعودية.
- \* «شرح العمدة» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق د. سعود العتيشان، ط: الأولى (١٤١٣هـ)، مكتبة العبيكان، الرياض - السعودية.
- \* «شرح عمدة الأحكام» للسعدي (ت ١٣٧٦هـ)، جمعها عبد الله العوهلي (ت ١٤٠٨هـ)، ط: الأولى، (١٤٣٠هـ)، دار ابن الهيثم، جمهورية مصر العربية - القاهرة
- \* «شرح عمدة الفقه للموفق ابن قدامة» لعبد الله الجبرين (معاصر)، ط: السادسة (١٤٣١هـ)، مكتبة الرشد، الرياض.
- \* «الشرح الكبير» للدردير (ت ١٢٠١هـ)، تحقيق محمد عليش، ط: (بدون)، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- \* «الشرح الممتع على زاد المستقنع» للعثيمين (ت ١٤٢١هـ)، تحقيق د. سليمان أبا الخيل وزميله، ط: الأولى (١٤١٥هـ)، مؤسسة أسام للنشر، الرياض - السعودية.
- \* «شرح منتهى الإرادات المسمى (دقائق أولي النهى لشرح المنتهى)» للبهوتي (ت ١٠٥١هـ)، ط: الأولى (١٤١٤هـ)، عالم الكتب، بيروت - لبنان.
- \* «صحيح ابن خزيمة» (ت ٣١١هـ)، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، ط: الثانية (١٤١٢هـ)، المكتب الإسلامي - لبنان.
- \* «صحيح سنن أبي داود» للألباني (ت ١٤٢١هـ)، ط: الأولى (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م)، طبع المكتب الإسلامي في بيروت - نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- \* «صحيح مسلم» (ت ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط: (بدون)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- \* «صحيح مسلم بشرح النووي» للنووي (ت ٦٧٦هـ)، ط: الثالثة (١٤٠٤هـ)، دار إحياء التراث العربي، لبنان.

- » \*صفة الصفوة\*، لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، ط: الأولى سنة (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- \* «عارضه الأحوذى بشرح صحيح الترمذي» أبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ)، تحقيق جمال مرعشلي، ط: الأولى (١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- \* «العدة شرح العمدة» بهاء الدين المقدسي (ت ٦٢٤هـ)، ط: (٢٠٠٣م)، دار الحديث - القاهرة.
- \* «عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة» لجلال الدين ابن شاش، تحقيق د. محمد أبو الأجنان و زميله، ط: الأولى (١٤١٥هـ)، دار الغرب الإسلامي.
- \* «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» لبدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ)، ط: (بدون)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- \* «عون الباري محل أدلة البخاري» لصديق خان (ت ١٣٠٨هـ)، تحقيق نور الدين طالب، ط: الثانية (١٤٣١هـ)، دار النوادر، سوريا.
- \* «الفتاوى التاتارخانية» لعالم الأندلسي (ت ٧٨٦هـ)، تحقيق عبد اللطيف حسن، ط: الأولى (١٤٢٦هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- \* «فتاوى المرأة» جمع محمد المسند (معاصر)، ط: الأولى، (١٤١٤هـ)، مدار الوطن للنشر - الرياض.
- \* «الفتاوى الهندية» للشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، ط: (١٩٩١م)، دار الفكر - بيروت.
- \* «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة السلفية، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- \* «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» لابن رجب الحنبلي (ت ٧٣٦هـ)، تحقيق طارق عوض الله، ط: الثالثة (١٤٢٥هـ)، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام - السعودية.
- \* «فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام» للعثيمين (ت ١٤٢١هـ)، ط: الأولى (١٤٢٩هـ) - (٢٠٠٨م)، مدار الوطن للنشر - الرياض.
- \* «فتح القدير» لابن الهمام (ت ٦٨١هـ)، ط: الثانية (بدون)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

- \* «القواعد الفقهية» لابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، تعليق د. محمد البناء، ط: الأولى (٢٠٠٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت
- \* «كتاب الفروع» لابن مفلح المقدسي (ت ٧٦٣هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط: الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- \* «كتاب طرح الشرب في شرح التقريب» للحافظ العراقي (ت ٧٢٥هـ)، ط: سنة (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
- \* «الكتاب المصنّف في الأحاديث والآثار» لابن أبي شيبه (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق محمد عبدالسلام شاهين، ط: الأولى (١٤١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- \* «كشاف القناع» للبهوتي (ت ١٠٥١هـ)، تحقيق هلال مصلحي مصطفى، ط: سنة (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
- \* «كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري» لمحمد الخضر الشنقيطي (ت ١٣٥٤هـ)، ط: (١٤١٥هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- \* «لسان العرب» لابن منظور (ت ٧١١هـ)، ط: الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، دار صادر - بيروت.
- \* «المجموع شرح المهذب» للتّووي (ت ٦٧٦هـ)، ط: (بدون)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
- \* «المحلى بالآثار»، لابن حزم (ت ٤٥٦هـ)، باعثناء لجنة إحياء التراث العربي، ط: (بدون)، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- \* «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لابن باز (ت ١٤٢٠هـ)، جمع وإشراف محمد بن سعد الشويعر، ط: الأولى (١٤١٣هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- \* «المدونة الكبرى» للإمام مالك (ت ١٧٩هـ)، ط: الأولى (١٤١٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- \* «المراسيل» لعبد الرحمن الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق شكر الله قوجاني، ط: الأولى (١٣٩٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- \* «مسائل الإمام أحمد - رواية ابنه أبي الفضل صالح»، تحقيق طارق عوض الله، ط: ١، ١٤٢٠هـ، دار الوطن، السعودية.
- \* «مسائل الإمام أحمد - رواية ابنه عبد الله»، تحقيق زهير الشاويش، ط: ٣، ١٤٠٨هـ، دار الوطن، السعودية.
- \* «المستدرك على الصّحّاحين» للحاكم (ت ٤٠٥هـ)، اعتنى به مصطفى عبد القادر عطا، ط: الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- \* «مسند الإمام أحمد بن حنبل» لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، ط: الميمنية القديمة، تصوير دار صادر - بيروت.
- \* «مصباح الزجاجة في زوائد سنن ابن ماجه» للبوصيري (ت ٨٤٠هـ)، تحقيق دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف ياسر بن إبراهيم، ط: الأولى (١٤٢٠هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض.
- \* «المصنّف» لعبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، من منشورات المجلس العلمي، بدون طبعة وتاريخ.
- \* «المغني» لابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)، ط: الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- \* «مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج» للشربيني (ت ٩٧٧هـ)، علّق عليه جولي بن إبراهيم الشافعي، ط: (بدون)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- \* «منار السالك على أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك» للدردير (ت ١٢٠١هـ)، تعليق د. سيد الصباغ، ط: الأولى (٢٠٠٩م)، دار الفضيلة، القاهرة.
- \* «المنتقى شرح الموطأ» للباقي (ت ٤٧٤هـ)، ط: الأولى (١٣٣٢هـ)، مطبعة السعادة بمصر.
- \* «المهذب» للشيرازي (ت ٤٧٦هـ)، ط: (بدون)، دار الفكر - بيروت.
- \* «مواهب الجليل لشرح مختصر خليل» للحطّاب (ت ٩٥٤هـ)، ط: (١٤١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

- \* «الموسوعة الفقهية» ألفها جماعة من العلماء، وطبعت بمطابع دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع بمصر، ودار ذات السلاسل بالكويت - نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.
- \* «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر الزاوي وزميله، ط: (بدون)، المكتبة العلمية، بيروت.
- \* «النهر الفائق شرح كنز الدقائق» لابن نجيم الحنفي (ت ١٠٠٥هـ)، تحقيق أحمد عزو عناية، ط: الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- \* «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار» للشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، ط: سنة (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)، نشر دار الجليل، بيروت.
- \* «الهداية شرح بداية المبتدي» للمرغيناني (ت ٥٩٣هـ)، ط: الأولى (١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، لبنان.

ثانياً: التفسير



عزوة نشأة القراءات القرآنية  
إلى اختلاف مرسوم المصاحف العثمانية  
عرض ونقد

إعداد

د. حبيب الله بن صالح بن حبيب الله السلمي

أستاذ مساعد بقسم القراءات بجامعة أم القرى.



## عزو نشأة القراءات القرآنية إلى اختلاف مرسوم المصاحف العثمانية

### عرض ونقد

د. حبيب الله بن صالح بن حبيب الله السلمي

#### ملخص البحث:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه،

وبعد:

فهذا بحث موسوم بـ (عزو نشأة القراءات القرآنية إلى اختلاف مرسوم المصاحف العثمانية، عرض ونقد) ، ناقش فيه الباحث شبهة من أشهر شبهات المستشرقين حول القراءات، وأكثرها أثراً، وأعمقها بحثاً ودليلاً، وهي القول بأن القراءات نشأت وتكوّنت نتيجة لتجرد المصاحف العثمانية من النقط والشكل واختلافها.

ولما تستحقه هذا المسألة من البحث والبيان ومزيد البسط والاستدلال رأيت أن أفرد بها بهذا البحث، والذي انتظمت خطته في مقدمة تضمنت أهمية الموضوع و أسباب اختياره إجمالاً وخطة البحث. وأتبعها بأربعة مباحث: اشتملت على عرض الشبهة وتوثيقها وبيان أهدافها. وأسباب إثارة الشبهة. ثم الرد على الشبهة إجمالاً وتفصيلاً، ثم أتبعته بأشهر المؤلفات في الدفاع عن القرآن. ثم ختمت البحث بأبرز النتائج والتوصيات. وكان من أهمها:

١- أن هذا القرآن كتاب محفوظ، لم يتغير ولم يتبدل على مر القرون، مصداقاً لقول

الله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾، وكل ما يثار حول ذلك فإنه من الهوى

الذي لا دليل عليه.

- ٢- أن منشأ القراءات هو الرواية، وإنما كتبت المصاحف لأجل حفظ تلك الرواية.
- ٣- أن تعدد القراءات سابق للكتابة، وعليه فلا يمكن نسبة نشأتها إلى حال الكتابة. وغاية ما في الأمر أن خلو المصاحف من النقط والشكل سبب معين لاستيعاب القراءات.
- ٤- أن مجرد الاحتمالات العقلية لا ترقى لأن يستدل بها على الحقائق العلمية المسلمة.
- ٥- أن جميع الأدلة التي استدل بها المستشرقون على إثبات شبهاتهم أدلة باطلة لا يصلح الاحتجاج بها.

ثم ذيلت البحث بقائمة المصادر والمراجع.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## Abstract

Praise be to Allah alone, and peace and blessings be upon His creation of Muhammad and his companions, and after :

This search marked b (attribute the emergence of readings to differ decree Ottoman Korans, presentation and criticism) , the researcher discussed the suspicion of months suspicions orientalist about the readings, the most impact, and the deepest in search of the evidence, which is to say that the readings originated and was formed as a result of stripping the Ottoman Korans from blobs and shape and different. .

Because you deserve the matter of research and the statement further Basset inference Oferdha I saw that this research, which are arranged in the introduction to his plan included the importance of the subject and the reasons for his choice overall research plan. And then I followed by four sections: included a presentation of suspicion and documented and a statement of its objectives. The reasons for provoking suspicion. Then post compromised a whole and in detail, and then followed up the most famous compositions in the defense of the Koran. Then sealed the most prominent search results and recommendations. One of the most important :

- 1- This book Koran Mahfouz, has not changed not changed over the centuries, true to the words of God ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾، and all that excited about it, it is passion that does not guide it.
- 2- The origin of the readings is novel, but I wrote the Koran in order to save the novel .
- 3- that the multiplicity of earlier readings of the writing, and it can not be its inception in relation to the case of writing. The very thing that the absence of Korans blobs and shape to accommodate a particular reason readings .
- 4- That just does not live up rational possibilities as evidenced by the scientific facts Muslim .

5- that all the evidence that was understood by the Orientalists  
specious arguments to prove false evidence does not fit invoked .

Find and then appended a list of sources and references .

God bless our Prophet Muhammad and his family and him.

**المقدمة:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن أعظم نعم الله على هذه الأمة أن أنزل عليها كتابه المبين، وجعله هدى وموعظة للمتقين، وحفظه من تعريف الغالين وانتحال المبطلين، فقال عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر: ٩. واختار سبحانه من عباده علماء ربانيين يبينون هذا الكتاب أحسن بيان، ويقومون به خير قيام، ويدفعون عنه كل تحريف وتكذيب وأوهام منذ قديم الزمان وحتى عصرنا هذا، ومع ذلك فإنه لم يزل هناك من يثير حول هذا الكتاب العظيم الشكوك والشبهات؛ فلذلك وجب على هذه الأمة أن تنافح عن كتاب ربها وتفند كل ما يثار حوله من المزاعم والشبهات وتبني الحقيقة وتجليها وتعيد الحق إلى محله ومأزعه.

ألا وإن من أعظم تلك الشبهات التي أثارها المستشرقون حول القراءات القرآنية: قولهم إن القراءات القرآنية نشأت نتيجة لتجرد المصاحف العثمانية من النقط والشكل واختلافها. فهل قولهم هذا صحيح أم أنه مشتمل على مغالطات علمية وتاريخية؟ وما منشأ هذه الشبهة؟، ومن هو أبرز من قال بها؟ وما أدلة القائلين بها؟، وما الأثر الذي يترتب على القول بها؟، وكيف يجاب عن أدلتهم؟ تلك التساؤلات وغيرها أحاول أن أجيب عنها في ثنايا هذا البحث بإذن الله، والذي انتظم عنوانه في: (عزو نشأة القراءات القرآنية إلى اختلاف مرسُوم المصاحف العثمانية، عرض ونقد).

وقد تتبعت ما كتب حول هذا الموضوع فلم أجد -حسب اطلاعي- من أفرد هذه الشبه بالبحث على المنهج الذي سلكته هنا. وكانت الدراسات السابقة تدور حول ثلاثة أمور: الأول: ما أثاره أحد المستشرقين - كجولد تسيهر أو تيودور نولدكة أو غيرهما - من الشبهات حول القراءات مع الرد عليها، كما في كتاب (القراءات في

نظر المستشرقين لعبد الفتاح القاضي) رحمه الله، وغيره، وهو أفضل من ناقشها. الثاني: ما كان حول موضوع الدراسات القرآنية ورسم المصاحف في نظر المستشرقين عموماً ومناهجهم فيها، وهو أكثرها بحثاً. الثالث: ما خطه المحققون في مقدمات الكتب التي حققها المستشرقون ثم أعيد تحقيقها كما في فعل الدكتور محب الدين واعظ في مقدمة كتاب المصاحف لابن أبي داود.

ولا شك أن أفرادها بالبحث مع جمع شتات الموضوع، وتتبع من قال بها من المستشرقين ومن وافقهم، وذكر مؤلفاتهم، وأدلتهم على التفصيل الآتي، ثم الرد عليها بكلام المتقدمين، وذكر أبرز المصنفات التي عنيت بكتب المستشرقين؛ أنه يضيف قيمة لهذا البحث، فيما أحسب. والله المستول أن يسدد ويبارك إنه سميع مجيب.

وقد جعلت هذا البحث: في مقدمة - وتمهيد - وخمسة مباحث - وخاتمة - وقائمة المصادر والمراجع.

- أما المقدمة فتحتوي على أهمية الموضوع و أسباب اختياره إجمالاً و خطة البحث.
- وأما التمهيد فيشتمل على نبذة عن نشأة القراءات وكتابة المصاحف.
- وأما المباحث الأربعة فيندرج تحتها:
- المبحث الأول: عرض الشبهة وتوثيقها وبيان أهدافها.
- المبحث الثاني: أسباب إثارة الشبهة.
- المبحث الثالث: الرد على الشبهة، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: الرد الإجمالي.
- المطلب الثاني: الرد التفصيلي.
- المبحث الرابع: أشهر المؤلفات في الدفاع عن القرآن.
- الخاتمة: وتشتمل على أبرز النتائج والتوصيات.
- ثم قائمة المصادر والمراجع.

**تمهيد:**

يعدُّ علم القراءات من العلوم الأصيلة، والتي ترجع نشأتها إلى عهد النبوة، وذلك أن أول ما تعلمه الصحابة من علوم الدين كان حفظ القرآن بأوجهه وقراءته، وكان الصحابة يقرؤون على حروف كثيرة كل بما تعلم من في رسول الله ﷺ، ووقعت بينهم حوادث تدل على اختلاف تلقيهم من رسول الله ﷺ، من ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب أنه قال: (سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها، فكذت أن أعجل عليه، ثم أمهلته حتى انصرف، ثم لبيته بردائه، فجيئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسله، اقرأ»، فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هكذا أنزلت»، ثم قال لي: «اقرأ»، فقرأت، فقال: «هكذا أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأقرءوا ما تيسر منه»<sup>(١)</sup> فكانوا يقرؤون بما تعلموا، ولا ينكر أحد على أحد قراءته، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوجه بعضهم إلى البلدان ليعلموا الناس القرآن والدين.

ولما مات النبي صلى الله عليه وسلم، خرج جماعة من الصحابة في أيام أبي بكر وعمر إلى ما افتتح من الأمصار، ليعلموا الناس القرآن والدين فعلم كل واحد منهم أهل مصره، على ما كان يقرأ على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فاختلفت قراءة أهل الأمصار على نحو ما اختلفت قراءة الصحابة الذين علموهم.

وفي خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه كان الجمع الأول للقرآن، فتبعوا ما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللخاف والأكتاف والعسب ونحو ذلك، حتى جمعه في الصحف.

وبقيت تلك الصحف حتى خلافة عثمان رضي الله عنه، فبينما كانت فتوحات أذربيجان وأرمينية، إذ رأى حذيفة بن اليمان الناس يختلفون في ألفاظ القرآن اختلافاً شديداً، حتى كاد أن يكفر بعضها بعضاً. وكان سبب ذلك أن أهل كل مصر قرءوا على ما أقرأهم الصحابي، الذي وصل إليهم ليعلمهم القرآن والدين في زمان أبي بكر وعمر، فاختلفوا في قراءاتهم بألفاظ مختلفة، وكان ذلك قد تعارف بين الصحابة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يكن ينكر أحد ذلك على أحد لمشاهدتهم من أباح لهم ذلك، وهو النبي صلى الله عليه وسلم.

فلما انتهى ذلك الاختلاف إلى من لم يعاين صاحب الشرع، ولا علم بما أباح من ذلك، أنكر كل قوم على آخرين قراءتهم، واشتد الخصام بينهم. وقال كل فريق: قراءتنا أولى من قراءتكم، وبلغ ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ فما كان منه إلا أن جمع القرآن في المصاحف مرتب الآيات والسور، فأثبت رسم القرآن في جميع المصاحف مجرداً من النقط والحركات حاوياً ما يحتمله مما ثبت من القراءات، وفرق فيها ما لا يحتمله رسم المصحف الواحد كالزيادة في نحو: (إن الله هو) بزيادة (هو) ونقصانها ونحوها، مما علم أن جمعه في مصحف واحد على تلك الحال غير متمكن، إلا بإعادة الكلمة مرتين، وفي رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم ما لا خفاء به، ففرقها في المصاحف لذلك<sup>(٢)</sup>.

وأما ما اختلفت فيه القراءة من الإدغام، والإظهار، والمد، والقصر، والتشديد، والتخفيف، وشبه ذلك فذاك مما تجوزة العربية، واعتمد فيه على التلقي والأخذ من الشيوخ الأئمة الثقات، وكله موافق للخط كذلك.

فلما كتب عثمان المصاحف، وجهها إلى الأمصار، وحملهم على ما فيها وأمرهم بترك ما خالفها؛ فقرأ أهل كل مصر مصحفهم الذي وجه إليهم على ما كانوا يقرءون قبل وصول المصحف إليهم، مما يوافق خط المصحف، وتركوا من قراءتهم التي كانوا

عليها ما يخالف خط المصحف؛ فاختلفت قراءة أهل الأمصار لذلك بما لا يخالف الخط، وسقط من قراءتهم كلهم ما يخالف الخط.

ونقل ذلك الآخر عن الأول في كل مصر، فاختلف النقل لذلك، حتى وصل النقل إلى هؤلاء الأئمة القراء المشهورين على ذلك، فاختلفوا فيما نقلوا على حسب اختلاف في تلقيهم عن أهل الأمصار، لم يخرج واحد منهم عن خط المصحف فيما نقل، كما لم يخرج واحد من أهل الأمصار عن خط المصحف، الذي وجه إليهم.

فلهذه العلة اختلفت رواية القراء فيما نقلوا، واختلفت أيضا قراءة من نقلوا عنه لذلك، وربما قرأ القارئ على شيوخ كثير، وأخذ عن كل واحد منهم حرفا غير الذي عند الآخر، فاحتاج كل واحد من هؤلاء القراء، أن يأخذ مما قرأ ويترك، فاختار مما قرأ حروفاً نسبت فيما بعد إليه نسبة اختيار وانتقاء لا اختراع وابتكار<sup>(٣)</sup>.

### المبحث الأول: عرض الشبهة وتوثيقها وبيان أهدافها.

يقول مدعو هذه الشبهة: إنَّ جلَّ القراءات القرآنية إنما نشأت نتيجة لتجرد رسم المصحف العثماني من النقط والشكل، والرسم العربي إذا تجرد من النقط والشكل احتمل أشكالاً مختلفة بسب ما يميله عليه اجتهاده.

وتهدف هذه الشبهة إلى القول بأن القراءات ليس لها مصدر توقيفي وإنما مبناها على الاجتهاد والنظر كل بحسب ما تملي عليه لغته من الأوجه التي تحتمل الآية، ولا شك أن هدم هذا الأصل هو هدم لُجْلُ ما يتلى اليوم من القرآن والقراءات وذلك أنه لا يمكن أن يقرأ أحد في مصر من الأمصار إلا برواية معينة من الروايات وإذا كانت هذه الرواية لا أصل لها من التشريع فإنه يبطل القول بقرايتها وبأنها من عند الله وبإعجازها وبالاستدلال بها في الأحكام وهلم جرا، وهنا يكمن أثر هذه الشبهة.

وقد ينسحب ذلك على اعتقاد أن القرآن كالكتب السماوية الأخرى دخلته آراء الناس وتحريفاتهم - عياداً بالله - وبهذا فإنه يسهل لأعداء هذا الدين الطعن في القرآن، وقلب الحقائق المترسخة عند المسلمين، ولذلك رأينا من تأثر بكلامهم من أهل هذا العصر سواء من المستشرقين أو من المتأثرين بآراء الغرب وثقافتهم من المسلمين، نسأل الله العصمة والثبات.

والذي يظهر لي أن أشهر من عُرف قوله في ذلك من المستشرقين هو "جولد تسيهر" (ت ١٩٢١م)<sup>(٤)</sup>، فقد قال في أول كتابه المسمى بالمازب الإسلامية في تفسير القرآن: (والقسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب في ظهوره إلى خاصية الخط العربي، فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة، قد يقرأ بأشكال مختلفة؛ تبعا للنقط فوق الحروف أو تحتها، كما أن عدم وجود الحركات النحوية وفقدان الشكل في الخط العربي يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من

الإعراب، فهذه التكميلات للرسم الكتابي، ثم هذه الاختلافات في الحركات والشكل، كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة القراءات فيما أهمل نقطه أو شكله من القرآن، وليبان هاتين الحقيقتين نذكر هنا بعض المثل:

١. فمن أمثلة القراءات التي كان سببها عدم النقط ما جاء في سورة الأعراف آية ٤٨:

﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ بالباء الموحدة، وفي قراءة (تستكثرون) بالثاء المثلثة.

٢. وفي آية ٥٧ من هذه السورة: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ الأعراف: ٥٧ بالباء، وفي قراءة: (نشرا) بالنون.

٣. وفي آية ١١٤ من سورة التوبة: ﴿ وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتْيَاءَهُ ﴾ التوبة: ١١٤ بالياء المثناة التحتية، وفي قراءة غريبة لحماد الراوية: (أباه) بالباء الموحدة.

٤. وفي آية ٩٤ من سورة النساء تظهر -على الأخص- هذه الظاهرة في كل الحروف تقريبا: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَبُّوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَحَ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ لَسَّتْ مُؤْمِنًا ﴾ النساء: ٩٤، وفي قراءة: (فتشبتوا)، ورسم هذه الكلمة: (فتشبتوا) [يعني بدون نقط] محتمل للقراءتين.

ولا يوجد في هذه القراءات من ناحية المعنى العام أو الاستعمال الفقهي - على الحقيقة- فرق يذكر. وقد يوجد شيء من هذا في المواضع الآتية:

٥. فمثلاً آية (٥٤) من سورة البقرة -حيث يدور الحديث حول غضب موسى عند ما علم باتخاذ بني إسرائيل لعجل من ذهب-: ﴿ يَلْقَوْنَ إِيَّكُمْ ظِلْمًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ

يَاتِحَادِكُمْ الْعَجَلِ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَثَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ البقرة: ٥٤ فقله تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ معناه: اقتلوا بعضكم بعضاً، أو كما يعطيه ظاهر اللفظ: فاقتلوا أنفسكم بأنفسكم، وهو متفق مع ما وقع فعلاً، كما في المصادر اليهودية، وقد رأى بعض شيوخ المفسرين (قتادة البصري المتوفى سنة ١١٧هـ) أن الأمر بقتل النفس أو قتل العصاة من القسوة والشدة بحيث لا يتناسب مع الفعل، فقرأ: (فأقبلوا أنفسكم)، أي حققوا الرجوع والتوبة من الفعل بالندم على ما فعلتم.

وفي هذا المثال نرى وجهة نظر موضوعية كانت سبباً أدى إلى القراءة المخالفة، وذلك على الضد من القراءات السابقة التي كانت فيها القراءات لا تعدو أن يكون فيها أمراً شكلياً.

٦. وتتجلى هذه الظاهرة - أيضاً في الآيتين (٨، ٩) من سورة الفتح، حيث يخاطب الله النبي قاتلاً: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَنُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ الفتح: ٨ - ٩ فقرأ بعضهم بدلاً من: (وتعزروه) بالراء: (وتعزروه) بالزاي من العزة والتشريف، وإني أرى في الانتقال من تلك القراءة إلى هذه القراءة - وإن كنت لا أجزم بذلك - أن شيئاً من التفكير في تصور أن الله قد ينتظر مساعدة من الإنسان قد دعا إلى ذلك، حقا إنه قد جاءت في القرآن آيات بهذا المعنى: (سورة الحج: ٤٠، ومحمد: ٧، والحشر: ٨، وغيرها)، بيد أن اللفظ المستعمل في هذه الآيات وهو (نصر) يقوم على أساس أخلاقي تهديبي، وليس كالتعبير بلفظ (عزز) وهي الكلمة المتفقة مع اللفظ العبري (عزاز) والتعبير بعزز تعبير حاد، يقوم على أساس من المساعدة المادية.

وقد جاء الكثير من القراءات فيما يتصل بهذا الرسم من حيث نقطه، فيكون تاء أو ياء، وإن كان ذلك لا يؤدي إلى تغيير ذي أهمية في المعنى.

وهنا نتناول دائرة الاختلاف في الحركات في المقطع الواحد، مما نشأت عنه قراءات تتصل بالناحية الإعرابية وحدها:

٧. ففي سورة الحجر آية (٨): ﴿ مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ ﴾ الحجر: ٨ فاختلفت القراءات في (ننزل)، وتبع ذلك الاختلاف في كيفية نزول الملائكة، فبعض يقرؤها: (ننزل الملائكة)، وبعض يقرؤها: (تنزل الملائكة)، وآخر يقرؤها: (تُنزل الملائكة)؛ وذلك على معنى أننا ننزلها، أو أنها هي التي تنزل، وهذه كلها قراءات ترجع إلى أقاليم مختلفة.

٨. وقد تجيء - أحيانا - مع هذه الاختلافات في الحركات تغييرات في المعاني ذات صفة قاطعة، مثل آية ٤٣ من سورة الرعد: ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ الرعد: ٤٣ وفي قراءة أخرى: (ومن عنده علم الكتاب)، وهناك قراءة ثالثة: (ومن عنده علم الكتاب)، والمعنى مختلف اختلافا ظاهرا.

٩. وتظهر - أحيانا - اختلافات فقهية من اختلاف الحركات الذي يرتبط ببناء الجملة في الآية القرآنية، والمثال المعروف لذلك آية ٦ من سورة المائدة: ﴿ فَأَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ المائدة: ٦ فالشيعنة تُجَوِّزُ مسح الرجلين بدلا من غسلهما بناء على تعلق (وأرجلكم) بقوله تعالى: (وامسحوا)، أي: امسحوا بأرجلكم، على حين غيرهم يجعله متعلقا على طريق المفعولية تعلقا مباشرا بقوله تعالى: فأغسلوا، أي: (اغسلوا أرجلكم).<sup>(٥)</sup> انتهى كلامه.

• المتأثرون بكلام جولد تسيهر:

ومن تأثر بكلام جولد تسيهر المتقدم وأخذ يردده:

١. بيرجستراسر (١٩٣٣م)<sup>(٦)</sup>: حيث يقول ضمن حديثه عن اضطراب النص القرآني- كما يقول-: (الأمر لا يتعلق باختلافات قديمة عن مخطوطات القرآن العثمانية إنما بدخول قراءات غير عثمانية في الغالب إلى النص المكتوب)<sup>(٧)</sup>.

٢. كارل بروكلمان (١٩٥٦م)<sup>(٨)</sup>: حيث يقول في كتابه تاريخ الأدب العربي: (حقا فتحت الكتابة التي لم تكن قد وصلت بعد إلى درجة الكمال مجالا لبعض الاختلاف في القراءة، ولاسيما إذ كانت غير كاملة النقط ولا مشتملة على رسوم الحركات..)<sup>(٩)</sup> انتهى.

٣. أرثر جفري (١٩٥٩م)<sup>(١٠)</sup>: حيث ذكر في مقدمة تحقيقه على كتاب المصاحف لابن أبي داوود ما نصه: (خلو مصحف عثمان من النقط والشكل:

١) وجد القراء في المصاحف التي بعثها عثمان للأمصار اختلافا في بعض الحروف، فكان في مصحف الكوفة (عملت) وفي غيره (عملته) وكذلك في مصحف الشام (وبالزبر) وفي غيره (والزبر)، وفي مصحف المدينة ومصحف الشام (فلا) وفي غيرها (ولا) ومثل ذلك.

٢) وكانت هذه المصاحف كلها خالية من النقط والشكل، فكان على القارئ نفسه أن ينقط ويشكل هذا النص على مقتضى معاني الآيات، ومثال ذلك (يعلمه) كان يقرأها الواحد (يُعَلِّمُهُ) والآخر (تُعَلِّمُهُ) أو (تُعَلِّمُهُ) أو (يُعَلِّمُهُ) الخ على حسب تأويله للآية، فكان حينئذ لكل قارئ اختيار في الحروف وكذلك اختيار في الشكل أيضا.

٣) وفضلا عن ذلك فقد وقع اختيار بعض القراء، كما يتبين ذلك من كتب القراءات، على كثير مما كان في المصاحف التي منع عثمان استعمالها. ثم بعد ذلك ظهرت بالتدريج في كل مصر من الامصار قراءة كانت مشهورة معهودة في ذلك البلد وتبعها الناس دون غيرها. فظهرت قراءة أهل الكوفة وقراءة أهل البصرة وقراءة أهل الشام وقراءة أهل حمص وقراءة أهل مكة وقراءة أهل المدينة، وهي اختيار القراء المشهورين من هذه الامصار. انتهى<sup>(١١)</sup>.

لتيودور نولدكه (١٩٣١م)<sup>(١٢)</sup>: وهو شيخ المستشرقين الألمان، وألّف كتابه الكبير (تاريخ القرآن)، ضمنه الكثير من الشبهات حول القرآن، وزعم أن القراءات نشأة بعد عهد الصحابة، حيث يقول: (تؤكد حقائق كثيرة التحول من النقل الشفوي للقرآن الذي ساد في فجر الإسلام إلى دراسة النص القرآني المكتوب، فالنسخ التي أرسلها عثمان إلى بعض المدن تأثرت بطريقة النطق في هذه المدن، ودخلت فيها بعض أخطاء النسخ كما في قراءة الحسن البصري. الأهم من ذلك أنه برزت في تلك الفترة قراءات كثيرة تفهم معالم الرسم نفسها على أوجه مختلفة. من الممكن بالطبع أن تنشأ في المآثور الشفوي إشكال مزدوجة للنص لا تظهر اختلافاتها بوضوح في الكلمات غير المشكّلة، فيقرأ أحدهم مثلا: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ هود: ٤٦. على أنها: (إنه عمل غير صالح) أو العكس. وتوجد احتمالات لا حصر لها لقراءة الكلمات غير المشكّلة نفسها.. أو نشوء ازدواجيات في الاختلافات الشفوية تظهر في الكتابة كما هي الحال في تبديل المترادفات..)<sup>(١٣)</sup>.

هؤلاء هم أبرز من تطرق لهذه الشبهة، ولاشك أنه قد تأثر بتلك الشبهة قوم آخرون، سواء من المستشرقين أو من المستغربين<sup>(١٤)</sup> المتأثرين بدراسات الغرب<sup>(١٥)</sup>.

وقد أرجع الدكتور عبد العال سالم أساس هذا الزعم إلى الزمخشري، وقال: إن مصدر الوحي لهذا المستشرق - جولد تسيهر - إنما هو الزمخشري الذي قال بخطأ ابن عامر في قراءته للآية القرآنية.

فقد زعم الزمخشري - رحمه الله - أن الذي حمل ابن عامر على قراءته، أنه رأى في بعض المصاحف (شركائهم)، مكتوباً بالياء؛ فالسبب هو الرسم حيث يقول: وأما قراءة ابن عامر: { قتل أولادهم شركائهم } برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الضرف، فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر، لكان سمجاً مردوداً، كما سمج ورد: (زج القلوص أبي مزادة)، فكيف به في الكلام المنثور، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته. والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف { شركائهم } مكتوباً بالياء، ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء - لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم - لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب<sup>(١٦)</sup> انتهى كلامه.

ونحن إذ نضع في الاحتمال أن يكون للزمخشري أثر في قول تسيهر، إلا أننا نحزم أن مراد كل منهم يختلف عن الآخر؛ إذ يهدف تسيهر للوصول إلى قياس تعدد القراءات، على تعدد الأناجيل، وهذه خطيئة لا يمكن أن الزمخشري يقع في مثلها<sup>(١٧)</sup>. إضافة إلى أن الزمخشري كان الضابط عنده هو قياس العربية، وهذا فرق آخر جلي<sup>(١٨)</sup>.

وقد رد قول الزمخشري هذا وبيّن فساده<sup>(١٩)</sup>.

## المبحث الثاني: أسباب إثارة الشبهة.

يلحظ الباحث في أسباب إثارة الشبهات عموماً أن المستشرقين قد عُنوا عناية كبيرة بدراسة القرآن الكريم، ولا غرور في ذلك؛ فإن المستشرقين يدركون خطورة هذا الكتاب العظيم ومكانته الكبيرة بين المسلمين؛ فلذلك صرفوا قدراً كبيراً من اهتماماتهم نحوه، وحاولوا بث ما يستطيعونه من شبهاتٍ حوله، وهم في ذلك على فريقين:

فريق دافعه علمي بحثي: وهؤلاء غالباً ما يصلون إلى حقائق صحيحة عن هذا الدين ربما تهديهم إلى الإسلام.

وفريق آخر إنما يدفعه مجرد إثارة الشبهات وزعزعة مكانة هذا الكتاب عند المسلمين، ولعلّ من أبرز أسباب إثارة الشبهات عند هذا الفريق ما يلي:

**أولاً:** الحقد والحسد ومحاولة الحدّ من قناعة المسلمين بكتاب ربهم: وقد بين الله ذلك في كتابه فقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَكًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة: ١٠٩.

**ثانياً:** الجهل بتاريخ المسلمين وبالأثار والنصوص الكثيرة- والتي تدل على أن القراءات رويت قبل أن ترسم- وهذا يتجلى في هذه الشبهة؛ فإنهم لو علموا ذلك لما استطاعوا أن يبنوا مثل هذا الكلام، وسيأتي ذكر طرفاً من هذه النصوص في معرض الردود على هذه الشبهة إن شاء الله.

**ثالثاً:** أنهم أجروا القرآن مجرى ما وقع فيه التصحيف من كلام العرب شعراً أو نثراً، فقد صحف الفيض ابن حميد في حلقة يونس، إذ أنشد بيت ذي الإصبع:

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عُذْوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ

فقال الفيض: كانوا جنة الأرض بالجيم والنون. انتهى.

ولذلك أمثلة أخرى يطول ذكرها<sup>(٢٠)</sup>.

### المبحث الثالث: الرد على الشبهة.

بعد العرض السابق لهذه الشبهة وبيان أسبابها وآثارها يأتي المقصود من هذا البحث، وهو الرد على هذه الشبهة، وبيان ما اشتملت عليه من أخطاء ومغالطات دينية وتاريخية ومنهجية وقد جعلت ذلك في مطلبين:

#### المطلب الأول: الرد الإجمالي على هذه الشبهة:

يمكن إجمال الردود العامة على هذه الشبهة -خصوصا- وكثير من شبهات المستشرقين المماثلة لها- عموما- في عدة نقاط أبرزها:

أولاً: أنه من الأمور التي قررها القرآن وأصبحت معلومة من الدين بالضرورة أن هذا القرآن كتاب تأذن الله بحفظه ولم يكَلِّ حفظه إلى الناس كما حصل في الكتب السماوية الأخرى فناها النسيان والتحريف والتبديل، وسوف أورد لذلك أدلة من القرآن والسنة ومن كلام العلماء المتقدمين.

فمن أدلة ذلك من القرآن الكريم:

قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر: ٩، وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتَبُ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ

خَلْفِهِ ۗ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت: ٤١ - ٤٢.

ومن السنة النبوية: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن ربي قال لي قم في قريش فأنذرهم، فقلت له: أي رب إذن يثُلِّغُوا رأسي حتى يدعوه خُبْرَةٌ فقال: إني مبتليك ومبتل بك، ومنزل عليك كتاباً لا يُغسِلُهُ الماء، تَقْرُوهُ نَائِماً وَيَقْظَانِ، فابعث جنداً أبعث مثلهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك وأنفق ينفق عليك)<sup>(٢١)</sup>.

قال ابن الجزري: (فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل يقرأ في كل حال كما جاء في صفة أمته: 'أناجيلهم في صدورهم'. وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب، ولا يقرؤونه كله إلا نظراً، لا عن ظهر قلب)<sup>(٢٢)</sup>.

ومن مقتضى هذا الحفظ أن يبقى لفظ القرآن غصاً طرياً يُتلى كما أنزل، ولا يجتمع أن نقول أن القرآن محفوظ ثم يدعي مدع أن القرآن الموجود اليوم قد دخله التحريف، وإلا لما كان للحفظ فائدة.

**ثانياً:** أن نقلة القرآن كانوا ممن أجمعت الأمة على تصديرهم وقبولهم والشهود لهم بالحفظ والإتقان واتباع النقل مع ما اتصفوا به من الأمانة والدقة والتقوى ونقل عن عدد منهم التصريح بالثبوت في النقل، كقول حمزة رحمه الله: (ما قرأت حرفاً إلا بأثر)<sup>(٢٣)</sup>.

وفي سنن سعيد بن منصور عن زيد بن ثابت: (القراءة سنة)<sup>(٢٤)</sup>.

قال البيهقي: (أراد أن اتباع من قبلنا في الحروف سنة متبعة لا يجوز مخالفة المصحف الذي هو إمام، ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة، وإن كان غير ذلك سائغاً في اللغة أو أظهر منها)<sup>(٢٥)</sup>.

وقال الداني: (وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفضى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل وإذا ثبتت

الرواية لم يرد لها قياسٌ عربي ولا فسوٌ لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها<sup>(٢٦)</sup>

وقال ابن الجزري: (إذ من المحال أن يصح في القراءة ما لا يسوغ في العربية؛ بل قد يسوغ في العربية ما لا يصح في القراءة لأن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول<sup>(٢٧)</sup>).

**ثالثاً:** أن الله جلّ وعلا قد أخبر في كتابه أن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يستطيع أن يبدل في القرآن كلمة بكلمة أو حرفاً بآخر، وأشار إلى أن هذا التبديل معصية يترتب عليها العقاب الشديد، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٤٥)</sup> يونس: ١٥، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقْوَابِلِ﴾<sup>(٤٤)</sup> لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ<sup>(٤٥)</sup> ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ<sup>(٤٦)</sup> فَمَا يَنْكُرُونَ أَعِدَّ لَهُمْ عَذَابٌ حَرِيبٌ﴾ الحاقة: ٤٤ - ٤٧.

فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يبدل في القرآن الكريم شيئاً فهل يملك غيره، صحابياً أم تابعياً أم غيرهما أن يضع كلمة مكان كلمة أو حرفاً في موضع حرف<sup>(٢٨)</sup>.

**رابعاً:** أنه ثبت بالأدلة الصحيحة أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، وهذا مع ما فيه من التوسعة على الأمة فإنه يدل - بلا شك - على تنوع القراءات وعلى تعدد أوجه القراءة في العديد من الكلمات منذ زمن المصطفى عليه الصلاة والسلام:

ومن ذلك ما روي عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ: (سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأُهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَقْرَأْتِيهَا فَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَمَهَلْتُهُ حَتَّى أَنْصَرَفَ ثُمَّ لَبَيْتُهُ بِرِدَائِهِ فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانَ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتِيهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَكَذَا أَنْزَلْتُ ثُمَّ قَالَ لِي اقْرَأْ فَقَرَأْتُ فَقَالَ هَكَذَا أَنْزَلْتُ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) (٢٩).

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أَقْرَأْتِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى حَرْفٍ فَرَجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ) (٣٠).

وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: (كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّيُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَا فَحَسَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنَهُمَا فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَدْ غَشَيْتَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظَرُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ لِي يَا أَبُي أَرْسِلْ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوْنٌ عَلَيَّ أُمَّتِي فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ أَقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوْنٌ عَلَيَّ أُمَّتِي فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّلَاثَةَ أَقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَلَمْ يَكُلْ رَدَّةً رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةً تَسْأَلُنِيهَا فَقُلْتُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِمُتِّي وَأَخْرَجْتُ الثَّلَاثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (٣١).

عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ: (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَ أَصَاةِ بَنِي غِفَارٍ قَالَ فَاتَّاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءَهُ الثَّلَاثَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَأُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا) (٣٢).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة مشهورة. وهي تدلنا على أن منشأ اللبس عند أصحاب هذه الشبه من عدم معرفة أصل هذا الاختلاف بين القراءات وقد مرّ تقريره. ولو لم يكن في الردود غير ما مضى لكفى في دحض هذه الشبهة وبيان بطلانها.

### المطلب الثاني: الرد التفصيلي.

وسيكون الكلام في هذا المطلب مشتمل على الرد على أصل الشبهة عنده، ثم الرد على الأمثلة التي استشهد بها:

#### الأمر الأول: الرد على أصل الشبهة.

حيث يقول جولد تسيهر: (والقسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب في ظهوره إلى خاصية الخط العربي، فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة، قد يقرأ بأشكال مختلفة؛ تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها، كما أن عدم وجود الحركات النحوية وفقدان الشكل في الخط العربي يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعراب، فهذه التكميلات للرسم الكتابي، ثم

هذه الاختلافات في الحركات والشكل، كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة القراءات فيما أهمل نقطه أو شكله من القرآن..)

ووافقه بيرجشتراسر وكارل بروكلمان على مضمون هذه الشبهة وكذا أرثر جفري في النقطة الثانية عنده.

**فأقول - مستعينا بالله -:**

**أولاً:** إن ما ذكره أولئك من وصف لحالة الخط الذي رسم به المصحف العثماني لا علاقة له بسبب نشأة القراءات، وذلك أن الخط تابع للرواية لا العكس، والحروف رويت كذلك قبل أن ترسم، والقراءات نشأت قبل جمع المصاحف كما بينا في المطلب السابق، والرواية هي الأصل، وإنما كتب المصحف لحفظ الرواية ولذلك فإن أهل كل مصر من الأمصار قد التزموا بما يُقرؤهم القارئ الذي بعثه عثمان مع المصحف دون الزيادة عليه، ولم يجتهدوا في القراءة حسب ما يسمح به رسم المصحف دون رواية القارئ به وهذا أمر معلوم لا خلاف فيه<sup>(٣٣)</sup>.

وقد نص على هذا كثير من العلماء، فمن ذلك قول أبي شامة: (والقراءة نقل، فما وافق منها ظاهر الخط كان أقوى، وليس اتباع الخط بمجرد واجبا ما لم يعضده نقل فإن وافق فيها ونعمت، ذلك نور على نور)<sup>(٣٤)</sup>.

وقال الزرقاني: (ثم إن الصحابة، رضوان الله عليهم، قد اختلف أخذهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرف واحد، ومنهم من أخذه عنه بحرفين، ومنهم من زاد، ثم تفرقوا في البلاد، وهم على هذه الحال، فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم، وأخذ تابعي التابعين وهلم جرا، حتى وصل الأمر، على هذا النحو، إلى الأئمة القراء المشهورين، الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها ويعنون بها وينشرونها)<sup>(٣٥)</sup>.

وقصة استتابة ابن مقسم من أعظم الأدلة على ذلك فإنه لما كان يقول: (إن كل قراءة وافقت المصحف، ووجهها في العربية فالقراءة بها جائزة وإن لم يكن لها سند) أنكر عليه القراء والفقهاء في زمانه واستدعاه السلطان واستتابه فأذعن بالتوبة وكتب محضر توبته؛ لأن ابن مقسم جعل القراءة تابعة للرسم، وأخلاها من السند فردت قراءته<sup>(٣٦)</sup>.

وقال ابن الجزري: (ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم<sup>(٣٧)</sup> أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: 'إن ربي قال لي قم في قريش فأندرهم، فقلت له: أي رب إذن يثُلُّعُوا رَأْسِي حَتَّى يَدْعُوهُ خُبْرَةٌ فَقَالَ: إِنِّي مَبْتَلِيكَ وَمَبْتَلِيكَ، وَمَنْزَلُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَأُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانُ، فابعث جنداً أبعث مثلهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك وأنفق ينفق عليك'.

فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل يقرأ في كل حال كما جاء في صفة أمته: 'أنا جيلهم صدورهم'. وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب، ولا يقرءونه كله إلا نظراً، لا عن ظهر قلب'<sup>(٣٨)</sup>.

ثانياً: أنه جعل مجرد الاحتمالات العقلية دليلاً يستدل به على الحقائق العلمية المسلمة وهذا دأب أكثر المستشرقين، ويقيسون الماضي الذي لم يكن يوماً جزءاً من تاريخهم، وبالتالي لم يكن من مكونات ضمائرهم بمقياس حاضريهم، مع تباين المكان والزمان والعقلية والروح، وآية ذلك أنهم يغضون أبصارهم عن الطابع الرباني الذي نشأت في ظله أحداث التاريخ القرآني على عهد النبوة، وهم يرفضون مناهج المسلمين في نقد الأخبار ورواياتها. فالمبدأ عند علمائنا في جميع منابع الثقافة الإسلامية

هو إثباتها أولاً من طريق الرواية والبحث فيها إسناداً ومنتناً، ووضعوا لذلك مقاييس ليس بعدها دقة، أما المستشرقون فلا يعترفون بغير المتن - حتى وإن كان مكذوباً - ولا يقرون إثبات شيء من طريق الرواية، وإنما كل همهم امتحان النص امتحاناً لا يقوم على أصول ثقافية ولا قواعد منهجية<sup>(٣٩)</sup>.

**ثالثاً:** أن هناك قراءات يحتملها الرسم وهي صحيحة في اللغة ونطق بها العرب وجرت على ألسنتهم في نثرهم، ولكن لم يقرأ بها، والسبب في ذلك أنها لم ترد، ولم يكن لها سند صحيح يعتدُّ به من نقل أو رواية، وسأسوق لذلك عدة براهين:

١. أننا نجد حرفاً يتكرر في القرآن الكريم برسم واحد لا يختلف في السور التي ورد فيها، ومع ذلك نجد القراء يختلفون في قراءته في بعض المواضع ويتفقون فيها على البعض الآخر، فلو كان رسم المصحف سبباً من أسباب الاختلاف ما كان الخلاف ليقع بين الكلمات ولذلك عدة أمثلة أكتفي بذكر الكلمات دون الإشارة إلى تفصيل ذلك: كمثل لفظ: (مالك)، و (تبشرون)، و (السوء) فقد وقع الخلاف في مواضع معينة ووقع الاتفاق على مواضع أخرى.<sup>(٤٠)</sup>

٢. أن هناك ألفاظاً تُجوز اللغة والصناعة النحوية نطقه بأوجه مختلفة، ومع هذا لم يقرأ القراء إلا بوجه واحد من هذه الوجوه، وإليك أمثلة:

جاء في البحر المحيط عند قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ الإسراء: ١٠٦: (وَيُقَالُ مُكْثٌ بَضْمٌ الْمِيمِ وَفَتْحُهَا وَكَسْرُهَا. وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَأَجْمَعَ الْقُرَاءُ عَلَى ضَمِّ الْمِيمِ مِنْ مُكْثٍ)<sup>(٤١)</sup>، ولم يقرأ واحد من القراء الأربعة عشر إلا (مكث) بضم الميم.

ويجوز في (الرضاعة) فتح الراء وكسرها ولم يقرأ إلا بالفتح، فلو كان الأمر كما يقول جولد تسيهر ومن وافقه من أن إغفال الحركات في الخط العربي كان سبباً في الأوجه المختلفة للقراءات لرأينا القراء يقرءون أمثال هذه الكلمات بما تُجَوِّزُ فيها من مختلف الحركات، بل إن الكسائي نفسه هو الذي روى الكسر في (الرضاعة) لغةً ولكنها لم ترد عنه قراءة.

٣. لو كان الأمر راجعاً إلى الرسم لصحت كل قراءة يحتملها الرسم مادامت موافقة لوجه من وجوه العربية ولكن الأمر على غير ذلك.

٤. أننا نجد إماماً من الأئمة اشتغل بالنحو حتى صار فيه مقدماً، واشتغل بالقراءات حتى عُدَّ من القراء السبعة، ومع ذلك تجده يخالف في قراءته مذهبه النحوي، كأبي عمرو وهو من المدرسة البصرية، والكسائي وهو من المدرسة الكوفية، ومع ذلك يأتي أبو عمرو بما يخالف مذهبه في إدغام الراء في اللام وهو ضعيف عند البصريين، ويميل الكسائي لفظ (كلتا) فيخالف الكوفيين الذين يقولون إن ألفها ألف تأنيث لا تثنية<sup>(٤٢)</sup>.

٥. مما ينبغي أن الرسم وخاصة الخط العربي سبب اختلاف القراء ما نجده من اختلاف القراء في الحرف الواحد ذي الرسم المتَّحد مع اختلاف المواضع كقراءة أبي جعفر: في (يجزن) بضم الزاي في الأنبياء فقط، وفتح الياء وضم الزاي في باقي القرآن، وعكسه نافع<sup>(٤٣)</sup>.

٦. أنه ربما رجح إمام من الأئمة السبعة جانب الرواية على مرسوم المصحف، فيأخذ بالأولى؛ لأنها ثابتة عنده بالنقل والأخذ عن شيوخه الذين اتصل سندهم بقراءة الرسول صلى الله عليه وسلم، من ذلك ما روى ورش عن نافع في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ ﴾ مريم: ١٩، بالياء هكذا: (ليهب لك)، وقد

رسمت في جميع المصاحف بالألف بعد اللام كما ذكر أبو عمرو الداني<sup>(٤٤)</sup>، ولكن ورشا رجح جانب الرواية عن شيخه نافع<sup>(٤٥)</sup>.

رابعاً: أن مما دأب عليه القراء قديماً وحديثاً: أنهم يميزون تلاميذهم بالإسناد المتصل عن شيوخهم إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وذلك عقب ختمهم عليهم القرآن. وهذا أمر واضح الدلالة على أن جميع تلك الوجوه مروية بالإسناد عن الصحابة عن المصطفى عليه الصلاة والسلام<sup>(٤٦)</sup>.

#### الأمر الثاني: مناقشة الأدلة التي استدلو بها.

يُلاحظ على هؤلاء المستشرقين عند ذكرهم للأدلة التفصيلية التي استدلو بها عدة أخطاء علمية ومنهجية، متمثلة في النقاط التالية:

١. الخلط بين القراءات الصحيحة والشاذة مما يدل على الجهل في التفريق بينهما أو أنه محاولة منهم للتلبس على الباحثين، وهذا أعظم، ويظهر ذلك في الدليل المذكور في رقم: [١]، [٣]، [٦]، [٧]، [٨]، فذكر في المثال الأول قراءة: (تستكثرون) في قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، وهذه قراءة شاذة ليس لها سند ولم تذكر إلا في كتب بعض المفسرين، فليست من العشر ولا حتى من الأربع الشواذ التي وراءها<sup>(٤٧)</sup>.

وذكر في المثال الثالث أنه قرئ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا اسْتِعْفَارًا إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا أَيَّاهُ﴾ بلفظ: (أباه)، وهي قراءة شاذة كذلك<sup>(٤٨)</sup>.

وفي المثال السادس: ذكر أنه قرئ في قوله تعالى: ﴿لِيَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَعَزَّزُوهُ﴾ بلفظ: (وتعززوه) وهي قراءة شاذة منكرة مخالفة للنقل الصحيح عن قتادة<sup>(٤٩)</sup>.

وفي المثال السابع ذكر عدة قراءات في قوله تعالى: ﴿ مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ ﴾ بعدة ألفاظ، بعضها ورد في قراءة صحيحة، وبعضها لم يرد، ولأن الأمر متعلق بضبط الحركات فقد يكون من أخطاء المترجمين للنص، وإلا فإنه أتى بغرائب لم يسبق إليها، ولا يصح في الآية إلا أربع قراءات: (تُنزَّلُ)، و(تُنزَّلُ)، و(تَنْزَلُ)، وزاد البزي تشديد الزاي في وجه. ولا يصح فيها غير ما ذكرت<sup>(٥٠)</sup>.

وفي المثال الثامن ذكر في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ ﴾ قراءتين أخريين، الأولى: (ومن عنده علم) وهي قراءة شاذة من الأربع الشواذ التي فوق العشرة<sup>(٥١)</sup>، والشاذ لا يثبت به قرآن.

والثانية: (ومن عنده علم)، وهي قراءة أشد شذوذاً من التي قبلها، وليس لها سند يعرف<sup>(٥٢)</sup>.

وأما الأمثلة: [٢]، و [٤]، و [٩] من أدلة جولد، و المثال [٢] من أدلة آرثر جفري، فإن ما أوردها فيها هو من قبيل القراءات الصحيحة المقبولة، ويصح الاستدلال بها لورود السند المتصل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقراءة بها، فالسبب في اختلافها عائد إلى صحة نقلها لا على شكلها في الرسم وقد تقدم تقرير ذلك المعنى.

وأما قوله جولد بعدم وجود فرق بين القراءتين في المثالين: [٢]، و [٤] فلا علاقة له بقبول القراءة من عدمه؛ إذ ليس شرطاً في قبول القراءة الأخرى أن تأتي بمعنى جديد مغاير لمعنى الأولى.

والقاعدة عند أهل العلم أن اختلاف القراءات كله اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، ولذلك يعملون القراءتين معاً كما في المثال: [٩] عند قوله تعالى:

﴿وَأَرْجَلَكُمْ﴾ فقد ذهب ابن جرير الطبري إلى أن فرضهما أي الأرجل التخيير بين الغسل والمسح عملاً بالقراءتين<sup>(٥٣)</sup>، وأوجب النحاس المسح والغسل معاً، فقال: (ومن أحسن ما قيل فيه: إن المسح والغسل واجبان معاً، فالمسح واجب على قراءة من قرأ بالخفض والغسل واجب على قراءة من قرأ بالنصب، والقراءتان بمنزلة آيتين)<sup>(٥٤)</sup>.

وذهب بعضهم إلى أن المسح محمول على ما إذا كان عليهما خفان<sup>(٥٥)</sup>.

وليس الأخذ بقراءة الخفض مختصاً على الشيعة كما ذكر المستشرق، وهذا من الأخطاء العلمية عنده كذلك.

وأما المثال [١] عند آرثر جفري وهو ما ذكره من توزيع بعض الخلافات بين المصاحف فذلك كله مترتب على الرواية وإنما وزعت بين المصاحف لأن الرسم الواحد في مصحف واحد لا يحتمل جميع تلك الوجوه. وهذا فيه دلالة واضحة على أن الأمر رواية وليس اجتهاداً لمن تأمل.

قال أبو عمرو في وصف جمع عثمان: (... وَعَلِمَ أَن جَمْعَهَا فِي مِصْحَفٍ وَاحِدٍ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ غَيْرِ مُمْكِنٍ، إِلَّا بِإِعَادَةِ الْكَلِمَةِ مَرَّتَيْنِ، وَفِي رِسْمِ ذَلِكَ كَذَلِكَ مِنَ التَّخْلِيطِ وَالتَّغْيِيرِ لِلْمَرْسُومِ مَا لَا خِفاءَ بِهِ، فَرقَّها في المصاحف لذلك...)<sup>(٥٦)</sup>.

وأما مسألة الاختيار التي ذكرها آرثر جفري في المثال [٣] فليعلم أن هذا الأمر دائر عند القراء بين ما صح نقله من الوجوه الروائية الصحيحة المتواترة ولا يخرج عنها مجال من الأحوال.

وليس ثمة علاقة بين الاختيار ضمن الروايات الصحيحة وبين الاجتهاد المبني على طبيعة الرسم لا على الرواية.

٢. مناقشة ما ذكره في المثال الخامس من أن وجهة النظر الموضوعية عند شيخ المفسرين -قتادة البصري- كانت سببا أدى إلى القراءة المخالفة حيث يقول: (فقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَفِئْتُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ معناه: اقتلوا بعضكم بعضا، أو كما يعطيه ظاهر اللفظ: فاقتلوا أنفسكم بأنفسكم، وهو متفق مع ما وقع فعلا، كما في المصادر اليهودية، وقد رأى بعض شيوخ المفسرين -قتادة البصري المتوفى سنة ١١٧ هـ- أن الأمر بقتل النفس أو قتل العصاة من القسوة والشدة بحيث لا يتناسب مع الفعل، فقرأ: (فأقبلوا أنفسكم)، أي حققوا الرجوع والتوبة من الفعل بالندم على ما فعلتم، وفي هذا المثال نرى وجهة نظر موضوعية كانت سببا أدى إلى القراءة المخالفة، وذلك على الضد من القراءات السابقة التي كانت فيها القراءات لا تعدو أن يكون فيها أمراً شكلياً.)

وهذا زعم باطل من عدة وجوه:

**الأول:** أن قراءة (فأقبلوا) قراءة شاذة أصلاً فلا يبنى عليها قاعدة؛ كيف وقد تقدم بالحجج النواهض والبراهين الدوامغ أن مصدر القراءات المعتمدة هو النقل والرواية، والتلقي والمشاهدة ولا مجال للرأي والاجتهاد فيها، وقراءة قتادة لم ينقلها أحد من القراء الأثبات، وليس لها سند يعتمد عليه.<sup>(٥٧)</sup>

**الأمر الثاني:** أنه نقل عن قتادة نفسه أنه فسر الآية بما يخالف هذه القراءة، كما عند ابن جرير وغيره، يقول ابن كثير بعد أن ذكر تفسير قتادة: (وهذان النصان يدلان دلالة واضحة لا خفاء فيها ولا غموض على أن قتادة يرى أن المراد من القتل في الآية الكريمة القتل الحقيقي، وهذا ما يراه جمهور المفسرين خلفاً عن سلف.<sup>(٥٨)</sup>)

**الأمر الثالث:** أنه على فرض صحتها- وهو محال- فإنه لم يذكر أحد من المفسرين أن قتادة قرأ ذلك لأجل عدم ارتضائه معنى القراءة الأولى. وإنما نقلوا عنه

القراءة بذلك على معنى: أن أنفسكم قد تورطت في عذاب الله تعالى بهذا الفعل العظيم الذي تعاطيتموه، وقد هلكت فأقبلوها بالتوبة والتزام الطاعة<sup>(٥٩)</sup>.

**الأمر الرابع:** أن القراءة هي التي تحكم المعنى لا العكس، وهذا أمر جلي لمن عنده أدنى بصيرة وعلم.

٣. مناقشة ما ذكره في المثال السادس في قوله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ حيث قال: (فقراً بعضهم بدلاً من: (وتعزروه) بالراء: (وتعزروه) بالزاي من العزة والتشريف، وإني أرى في الانتقال من تلك القراءة إلى هذه القراءة - وإن كنت لا أجزم بذلك - أن شيئاً من التفكير في تصور أن الله قد ينتظر مساعدة من الإنسان قد دعا إلى ذلك، حقا إنه قد جاءت في القرآن آيات بهذا المعنى: (سورة الحج: ٤٠، ومحمد: ٧، والحشر: ٨، وغيرها)، بيد أن اللفظ المستعمل في هذه الآيات وهو (نصر) يقوم على أساس أخلاقي تهذيبي....)

وهذا الزعم كسابقه من مزاعم المستشرقين إذ هو مبني على قراءة شاذة، لم تستند إلى نقل أو رواية، وهي قراءة ابن مسيفع<sup>(٦٠)</sup>، وعلى فرض صحتها - وهو بعيد - فإن الجمهور على أن الضمير فيه يعود للنبي صلى الله عليه وسلم - كما قال الثعالبي<sup>(٦١)</sup>، وابن عطية، وغيرهما<sup>(٦٢)</sup>. وذهب فريق آخر إلى أن الضمائر الثلاثة تعود على الله تعالى، وعليه فيكون المعنى المراد من تعزيز الله تعالى تقوية دينه ونصرة شرعه<sup>(٦٣)</sup>.

### المبحث الرابع: أشهر المؤلفات في الدفاع عن القرآن.

لما كثرت الشبهات المثارة حول القرآن الكريم وتنوعت وكانت لها آثارٌ ملموسة - كما تقدم - تصدى لها كثير من العلماء بالتنفيذ في المصنفات التي صنّفوها لهذا الغرض، وهم في ذلك بين مقلِّ ومستكثر، وبين مؤلِّفٍ لكتابٍ مستقل، وآخر في جزء

من كتاب، وقد حاولت في هذا البحث أن أُلخص وأرتب ما ذكره في هذه المسألة فحسب، مع ما انضم إليه من فوائد وقواعد جمعتها من كتب أهل الفن والدراية. وتتميماً للفائدة فإني سأذكر أبرز تلك المصنفات التي اشتملت على ذلك - حسب علمي-، لتكون ضمن مراجع الباحث عند مناقشة مسائل هذا الفن بإذن الله، وهي كما يلي:

- ١- رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات، الدكتور عبد الفتاح شليبي.
- ٢- رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية للدكتور غانم قدوري الحمد.
- ٣- الرد على المستشرق اليهودي جولد تسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية، الدكتور محمد جبل.
- ٤- القراءات في نظر المستشرقين والملحدّين، الشيخ عبد الفتاح القاضي.
- ٥- مناهج التفسير، الدكتور إبراهيم خليفة.
- ٦- تاريخ القرآن، الدكتور عبد الصبور شاهين.
- ٧- أثر القراءات في الدراسات النحوية، الدكتور عبد العال مكرم.
- ٨- تاريخ القرآن، الشيخ محمد طاهر الكردي.
- ٩- القراءات واللهجات، الدكتور عبد الوهاب حمودة.
- ١٠- الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري، عبدالمحسن بن زبن المطيري.
- ١١- مقدمة كتاب المصاحف لابن أبي داوود بتحقيق الدكتور محب الدين واعظ.

### الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

بعد دراسة هذا الموضوع وجمع مادته تجلّت لي النتائج التالية:

- ١- أن هذا القرآن كتاب محفوظ، لم يتغير ولم يتبدل على مرّ القرون، مصداقاً لقول الله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾، وكل ما يثار حول ذلك من الشبهات فإنه من الهوى الذي لا دليل عليه.
  - ٢- أن منشأ القراءات هو الرواية والتلقي منذ عهد النبوة، وإنما كتبت المصاحف بعد ذلك لأجل حفظ رسم تلك الرواية.
  - ٣- أن تعدد القراءات سابق للكتابة، وعليه فلا يمكن نسبة نشأتها إلى حال الكتابة، وغاية ما في الأمر أن خلو المصاحف من النقط والشكل سبب معين لاستيعاب القراءات المختلفة في الكلمة والواحدة وليس موجباً لاختلاف القراءات أو مصدرها من مصادرها.
  - ٤- أن مجرد الاحتمالات العقلية لا ترقى لأن يستدل بها على الحقائق العلمية المسلمة.
  - ٥- أن جميع الأدلة التي استدل بها المستشرقون على إثبات شبهاتهم أدلة باطلة لا يصلح الاحتجاج بها.
- وفي الختام فإنني أوصي الباحثين بجمع الشبهات المثارة حول القرآن وقراءاته من مظانها عند المستشرقين، وبيان حقيقتها، ومن ثم ترجمة ذلك إلى اللغات التي تنتج عنها تلك الشبهات. كما أوصي بإنشاء مراكز متخصصة في الدفاع عن القرآن وعلومه تُعنى ببيان حقيقة هذا القرآن والذب عن حماه.
- هذا ما تيسر جمعه بحسب الطاقة والإمكان، والله يتولانا بعفوه ومغفرته.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلوات الله وسلامه على المبعوث رحمة للعالمين وعلى صحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

## الهوامش والتعليقات:

- (١) صحيح البخاري (باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث (٤٩٩٢): (٦ / ٢٢٨)، صحيح مسلم (باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، حديث (٢٧٠): (٢ / ٢٠٢).
- (٢) ينظر: المقنع: (ص ٦٠٥)، المصاحف لابن أبي داوود: (١ / ٢٥٣).
- (٣) الإبانة: (ص ٤٩، ٧٩)، المرشد الوجيز: (ص ١٤٩).
- (٤) اسمه: اجنتس جولد تسيهر، ولد في (٢٢ يوليو سنة ١٨٥٠) بمدينة (استولفيسنبورج) في بلاد المجر، ويعد هذا المؤلف من كبار شيوخ المستشرقين، واشتهر بكتاب المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن. ينظر: الأعلام للزركلي: (١ / ٨٤)، موسوعة المستشرقين: (ص ٢٠١).
- (٥) ينظر: كتاب المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن: (ص ٤-٧).
- (٦) مستشرق ألماني مشهور. حقق كتاب (مختصر في شواذ القرآن) لابن خالويه. وكتاب: (غاية النهاية لابن الجزري) وغيرهما. وشارك في كتاب تاريخ القرآن لنولدكة. ينظر: موسوعة المستشرقين: (ص ٨٥).
- (٧) تاريخ القرآن: (٣ / ٤٥٨). وينظر للتوسع في معرفة آرائه والرد عليها: بحث: المستشرق الألماني بيرجستراسر وآثاره لناصر المنيع. (مجلة جامعة الملك سعود، م ٢٢، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية).
- (٨) مستشرق ألماني، من تلامذة تيودور نولدكه، أتقن العربية والعبرية والسريانية، اشتهر بكتابه: تاريخ الأدب العربي. ينظر: موسوعة المستشرقين: (ص ٩٨).
- (٩) ينظر: تاريخ الأدب العربي: (١ / ١٤٠).
- (١٠) وهو مستشرق استرالي، ومشاركته في كتاب تاريخ القرآن لنولدكة، واشتهر بتحقيق كتاب المصاحف لابن أبي داوود. ينظر: المستشرقون لنجيب العقيقي (ص ١٠١٣).
- (١١) ينظر: مقدمة تحقيق كتاب المصاحف لابن أبي داوود: (ص ٧).
- (١٢) اشتهر بكتابه: تاريخ القرآن. وهو رسالته للدكتوراه. وله عدة مؤلفات أخرى. ينظر ترجمته في: موسوعة المستشرقين: (ص ٥٩٥).

- (١٣) ينظر: تاريخ القرآن لنولدكه: (ص ٥٥١، ٥٥٩).
- (١٤) مثل: د. جواد علي (مقالته لجهة القرآن الكريم)، وكذا د. عبدالله خورشيد (القرآن وعلومه في مصر وكذا د. صلاح الدين المنجد (دراسات في تاريخ الخط العربي، ود. علي عبد الواحد في بداية أمره لكنه رجع عنه فيما بعد (فقه اللغة). وأما طه حسين فإنه ينسب القراءات للغات واللهجات ولا يراها من الوحي أساسا. ينظر: رسم المصحف للدكتور غانم: (ص ٦٠٩)، رسم المصحف للدكتور عبدالفتاح شليبي: (ص ٢٠، الأدب الجاهلي لطلح حسين: (ص ٩٥).
- (١٥) ينظر رسم المصحف للدكتور غانم: (ص ٦٠٩).
- (١٦) تفسير الكشاف للزمخشري: (٢ / ٧٠). ووافقه أبو علي الفارسي في الحجة في علل القراءات السبع: (٢ / ٥٤٩).
- (١٧) ينظر: أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية لعبد العال سالم: (ص ٢٥) نقلا عن المنار في علوم القرآن للدكتور محمد علي الحسن: ١ ( / ١٢٢).
- (١٨) وقد كُتبت عدة أبحاث في منهج الزمخشري منها: (القياس النحوي عند الزمخشري وأثره في مواقفه من القراءات القرآنية) منشور بمجلة جامعة أم القرى العدد ١٧ العام ١٤٢٩هـ.
- (١٩) ردّ على هذا القول أبو حيان بقوله: (وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخبرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقا وغربا، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم ومعرفتهم وديانتهم ولا التفات أيضا لقول أبي علي الفارسي..)، البحر المحيط لأبي حيان: (٤ / ٦٥٨). وكذا أجاب السخاوي عن هذا الطعن بقوله: (وإذا ثبتت القراءة عن إمام من أئمة القراءة، فما وجه الطعن فيها؟ وأما الخط، فما اعتمدت الأمة عليه إلا مع النقل، وقد جاءت التفرقة بين المضافين في الكلام والشعر... وساق أمثلة عليه. فتح الوصل للسخاوي: (٣ / ٩١٤).
- (٢٠) ينظر: رسم المصحف العثماني للدكتور عبد الفتاح شليبي: (ص ٣٣).
- (٢١) النشر: (ص ١٢). وأصله عند مسلم باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا (حديث: ٦٣): (٤ / ٢١٩٧).

- (٢٢) النشر: (ص ١٢-١٣).
- (٢٣) ينظر: جمال القراء للسخاوي: (ص ٤٢٥)، النشر: (ص ٣٢٠).
- (٢٤) التفسير من سنن سعيد بن منصور: (١/ ٦٩).
- (٢٥) سنن البيهقي (باب وجوب القراءة على ما نزل من الأحرف، حديث: (٣٩٩٥): (٢/ ٣٨٥).
- (٢٦) ينظر: الإتيان للسيوطي: (١/ ١٦٥).
- (٢٧) النشر: (ص ٣١٩).
- (٢٨) القراءات في نظر المستشرقين والملحددين للقاضي: (ص ٧٤).
- (٢٩) صحيح البخاري (باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث (٤٩٩٢): (٦/ ٢٢٨)، صحيح مسلم (باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، حديث (٢٧٠): (٢/ ٢٠٢).
- (٣٠) صحيح البخاري (باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث (٤٩٩١): (٦/ ٢٢٧)، صحيح مسلم (باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، حديث (٢٧٢): (٢/ ٢٠٢).
- (٣١) صحيح مسلم (باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، حديث (٢٧٢): (٢/ ٢٠٢).
- (٣٢) صحيح مسلم (باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، حديث (٢٧٤): (٢/ ٢٠٣).
- (٣٣) أما في زماننا فأصبحت القراءة معتمدة على ثلاثة شروط مشهورة: صحة النقل وموافقة الرسم ولو احتمالاً وصحتها في العربية.
- (٣٤) ينظر إبراز المعاني لأبي شامة: (ص ٦٣٠).
- (٣٥) مناهل العرفان للزرقاني: (١/ ٤١٣).
- (٣٦) رسم المصحف للدكتور عبد الفتاح شليبي: (ص ٢٨).
- (٣٧) باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا (حديث: (٦٣): (٤/ ٢١٩٧).
- (٣٨) النشر: (ص ١٢-١٣).
- (٣٩) ينظر: رسم المصحف للدكتور عبد الفتاح شليبي: (ص ٤٢).
- (٤٠) ينظر التيسير: (ص ١٢٦، ٣٠٤).

- (٤١) (٧ / ١٢٤).
- (٤٢) ينظر: رسم المصحف للدكتور عبد الفتاح شليبي: (ص ٤٢).
- (٤٣) ينظر: النشر: (ص ٥٤٢).
- (٤٤) ينظر: المقنع للداني: (ص ٣٤٥).
- (٤٥) ينظر رسم المصحف للدكتور عبد الفتاح شليبي: (ص ٣٣-٤٧).
- (٤٦) المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره: (١ / ١٢٣).
- (٤٧) ينظر: معجم القراءات للخطيب: (٣ / ٦١).
- (٤٨) ينظر: البحر المحيط: (٥ / ٥١٣).
- (٤٩) ينظر: القراءات في نظر المستشرقين: (ص ٩٠).
- (٥٠) ينظر: التيسير للداني: (ص ٢٢٩، ٢٤٣).
- (٥١) وهي قراءة الحسن البصري كما في مصطلح الإشارات: (ص ٣٠٩).
- (٥٢) ينظر: القراءات في نظر المستشرقين والملحدون: (ص ٩٠).
- (٥٣) القراءات القرآنية وأثرها في اختلاف الأحكام الفقهية للدكتور خير الدين سيب: (ص ١٥٢، ١٥٣).
- (٥٤) المصدر السابق.
- (٥٥) ينظر القراءات القرآنية وأثرها في اختلاف الأحكام الفقهية للدكتور خير الدين سيب: (ص ١٥٠).
- (٥٦) ينظر: المقنع: (ص ٦٠٥)، المصاحف لابن أبي داود: (١ / ٢٥٣).
- (٥٧) ينظر: القراءات في نظر المستشرقين والملحدون: (ص ٩٠).
- (٥٨) ينظر: المصدر السابق.
- (٥٩) ينظر القرطبي: (١ / ٤٠٢)، البحر المحيط: (١ / ٣٧٧).
- (٦٠) المحرر الوجيز لابن عطية: (٦ / ١٤٩)، معاني القرآن للنحاس: (٦ / ٥٠٠).
- (٦١) تفسير الثعالبي: (٣ / ٤٥٧).
- (٦٢) المحرر الوجيز: (٦ / ١٤٩).
- (٦٣) القراءات في نظر المستشرقين والملحدون: (ص ٩٢).

### قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، مصحف المدينة المنورة للنشر الحاسوبي: طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع: لعبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة الدمشقي، (ت: ٦٦٥هـ)، تحقيق: أحمد بن يوسف القادري، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٣١هـ.
- الإتيقان في علوم القرآن: أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الأعلام، لخير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط ٥، ٢٠٠٢م.
- الأدب الجاهلي. الدكتور طه حسين، مطبعة فاروق، القاهرة، ط ٣، ١٣٦٣هـ.
- البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان، نسخة إلكترونية pdf.
- التفسير من سنن سعيد بن منصور: سعيد بن منصور (ت: ٢٢٧هـ)، نسخة من المكتبة الشاملة الإلكترونية.
- التيسير في القراءات السبع: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مكتبة الصحابة، الإمارات، ط ١، ١٤٢٩هـ.
- التيسير في القراءات السبع: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: أوتو برتزل، نسخة إلكترونية pdf .
- الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري): لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق، ط ٢، ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ.
- جمال القراء وكمال الإقراء: أبو الحسن علي بن محمد (علم الدين السخاوي)، ت: ٦٤٣هـ، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة بطنطا، ط ١، ١٤٣١هـ.

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبدالرحمن بن محمد الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، نسخة المكتبة الشاملة.
- الحجة في علل القراءات السبع: لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، (ت: ٣٧٧هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود و علي معوض والدكتور أحمد المعصراوي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٨هـ.
- رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ودفعها: الدكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
- رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية: الدكتور غانم قدوري الحمد، دار عمار، ط ٢، ١٤٣٠هـ.
- السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط ٢، ١٤٠٠هـ.
- سنن البيهقي الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.
- فتح الوصيد في شرح القصيد: علم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: مولاي محمد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٢، ١٤٢٦هـ.
- القراءات في نظر المستشرقين والملحدين: عبد الفتاح عبد الغني القاضي (ت: ١٤٠٣هـ)، دار السلام، ط ١، ١٤٢٦هـ.
- القراءات القرآنية وأثرها في اختلاف الأحكام الفقهية: الدكتور خير الدين سيب، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٩هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- المحرر الوجيز: أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، نسخة المكتبة الشاملة.
- مذاهب التفسير الإسلامي: اجنتس جولد تسيهر، نقله إلى العربية: علي حسن عبد القادر، مطبعة العلوم، ط ١، ١٣٦٣هـ.

- المسند الصحيح (صحيح مسلم): لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
- مصطلح الإشارات في القراءات الزوائد المروية عن الثقات، لابن القاصح البغدادي، علي بن عثمان بن محمد (ت: ٨٠١ هـ)، عمّان، دار الفكر، ط ١، ١٤٢٧ هـ.
- معاني القراءات للأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠ هـ)، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، السعودية، ط ١، ١٤١٢ هـ.
- كتاب المصاحف: أبو بكر عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: الدكتور محب الدين عبد السبحان واغظ، دار البشائر، ط ٢، ١٤٢٣ هـ.
- المستشرقون، لنجيب العقيقي، دار المعارف، مصر، ط ٣، ١٩٦٤ م.
- معاني القرآن الكريم: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد المرادي (ت: ٣٣٨ هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى. مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٩ هـ.
- معجم القراءات: الدكتور عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، نسخة إلكترونية pdf.
- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، (ت: ٤٤٤ هـ)، تحقيق: نورة بنت حسن بن فهد الحميد، دار التدمرية- الرياض، ط ١، ١٤٣١ هـ.
- المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره: الدكتور محمد علي الحسن، الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبدالعظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ٣.
- موسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٩٣ م.
- النشر في القراءات العشر: الإمام أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، (ت: ٨٣٣ هـ)، اعتنى به: نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣١ هـ.

## ثالثاً: الفقه وأصوله



# ليلة القدر

## دراسة فقهية فلكية مقارنة

إعداد

د. نورة بنت زيد الرشود



## ليلة القدر دراسة فقهية فلكية مقارنة

### د. نورة بنت زيد الرشود

#### المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجه واتبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فلا يخفى أن الأماكن والأزمان كلها متساوية في الأصل، وقد أجمع الفقهاء على أن بعض الأزمنة أفضل من بعض بما أودع الله سبحانه وتعالى فيها من فضله، وما يقع فيها من إكرامه لعباده، لا بصفات قائمة فيها، لأن الأزمان في الأصل متساوية ومتماثلة. ففضل الله شهر رمضان على سائر الشهور، وجعل ليلة القدر خيرا من ألف شهر، وجعل يوم الجمعة خير يوم طلعت عليه الشمس وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم الا استجيب له كما قال صلى الله عليه وسلم: "إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه"، وفضل قيام الليل على غيره، والثالث الأخير منه على سائره، وفضل العشر الأول من ذي الحجة على غيرها من الأيام. قال العز بن عبد السلام - رحمه الله تعالى -: "وتفضيل الأماكن والأزمان ضربان:

أحدهما: دنيوي، كتفضيل الربيع على غيره من الأزمان، وكتفضيل بعض البلدان على بعض بما فيها من الأنهار والثمار وطيب الهواء، وموافقة الأهواء.

والضرب الثاني: تفضيل ديني راجع إلى أن الله يجود على عباده فيها بتفضيل أجر العاملين، كتفضيل صوم رمضان على صوم سائر الشهور، وكذلك يوم

عاشوراء، وعشر ذي الحجة، ويوم الاثنين والخميس، وشعبان، وستة من أيام شوال، ففضلها راجع إلى جود الله وإحسانه إلى عباده فيها، وكذلك فضل الثلث الأخير من كل ليلة راجع إلى الله يعطي فيه من إجابة الدعوات والمغفرة، وإعطاء السؤال، ونيل المأمول، ما لا يعطيه في الثلثين الأولين" <sup>٢</sup>.

ومن القواعد المقررة عند الفقهاء أن "الأعمال تشرف بشرف الأزمنة كالأمكنة" <sup>٣</sup>.

ومن المعلوم أن تفضيل الأوقات بعضها على بعض قد يكون في أوقات اليوم الواحد، كوقت ما بين الأذان والإقامة، وساعة الجمعة، وقد يكون فضل الشهر والأيام بعضها على بعض.

وقد أحببت في هذا البحث أن ألقى الضوء على فضل الأعمال وأحكامها المتعلقة بليلة القدر التي هي من الأزمنة الفاضلة من السنة، مستندة في ذلك على النصوص الشرعية، مع إيراد أقوال الفقهاء ومذاهبهم في ذلك وما تناوله علماء الفلك من تفسير وتحليل في موضوع ليلة القدر، فالله المستعان، وعليه التكلان.

### **منهجي في البحث:**

تقسيم البحث الى مقدمة ومباحث ومطالب والمقارنة بين المذاهب الأربعة في المسائل المتعلقة ما أمكن وعرض آراء العلماء الآخرين من أهل التفسير والحديث والفقه مع الاعتماد على المصادر المعتمدة والعزو إليها كما اشترت الى اقوال الفلكيين وعرضها دون التعمق في عرض نظرياتهم وذيلت البحث بالفهارس المهمة.

وكانت خطتي في الموضوع كالتالي:

**المبحث الأول: العشر الأواخر وليلة القدر.. وفيه اربعة مطالب:**

المطلب الأول: معنى ليلة القدر وكونها باقية ما بقيت الدنيا

المطلب الثاني: فضل ليلة القدر واختصاص الأمة بها

المطلب الثالث: علامات ليلة القدر

المطلب الرابع: علامات ليلة القدر الفلكية من وجهة نظر علماء الفلك المعاصرين.

المطلب الخامس: الحكمة من كتمان ليلة القدر

المبحث الثاني: إحياء ليلة القدر وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حكم إحياء ليلة القدر

المطلب الثاني: كيفية إحياء ليلة القدر

المطلب الثالث: العلم بليلة القدر لنيل فضلها

المطلب الرابع: محل ليلة القدر عند الفقهاء

المطلب الخامس: التفسير الفلكي لمحل ليلة القدر مقارنة بأقوال الفقهاء. وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: أثر غموض ليلة القدر واختلاف الرويات في تعيين محلها عند الفلكيين

الفرع الثاني: ظاهرة الاقتران ودلالاتها على ليلة القدر

الفرع الثالث: درء تناقض الأحاديث الواردة وآراء الفقهاء في تحديد ليلة القدر من

وجهة نظر فلكية.

وهذا جهد المقل فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي

والشيطان، وأسأل الله أن يبارك فيه، ويلهمنا الرشد والصواب إنه ولي ذلك والقادر

عليه.

## المبحث الأول: التعريف بليلة القدر وفضلها

المطلب الأول: معنى ليلة القدر وكونها باقية ما بقيت الدنيا

كلمة "ليلة القدر" مركبة من لفظين: أولهما: ليلة وهي في اللغة: من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، ويقابلها النهار.

وثانيهما: القدر، ومن معاني القدر في اللغة: الشرف والوقار، ومن معانيه: الحكم والقضاء والتضييق.

واختلف الفقهاء في المراد من القدر الذي أضيفت إليه الليلة؛ فقيل: لأنها الليلة التي يقدر فيها - سبحانه وتعالى - جميع الأمور والأحكام الجارية في مخلوقاته في السنة المقبلة، المشار إليها بقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣، ٤]، ومعنى تقدير الأمور تلك الليلة: سوقها إلى مواقيتها وتنفيذ القضاء المقدر؛ لأن الله تعالى قدر الأشياء قبل خلق السموات والأرض، لأن الغالب كونها فيه لخبر: ﴿التمسوها في العشر الأواخر﴾<sup>٤</sup>، وهي الليلة المباركة التي أنزل فيها القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ثم كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجماً بعد نجم على قدر الحاجة، فالله يقدر فيها ما يشاء من أمره إلى مثلها من السنة القابلة من أمر الموت والرزق والاجل وغيره، ويسلمه إلى مدبرات الامور<sup>٥</sup> وهم اربعة من الملائكة: اسرافيل<sup>٦</sup>، وميكائيل<sup>٧</sup>، وعزرائيل<sup>٨</sup>، وجبريل<sup>٩</sup> عليهم السلام.

وقيل سميت بذلك: لانه تقدر فيها مقادير الخلائق على مدى العام، فيكتب فيها الأحياء والأموات، والناجون والهالكون، والسعداء والأشقياء، والحاج والداج، والعزيز والذليل، ويكتب فيها الجذب والقحط، وكل ما أراده الله تبارك وتعالى في تلك السنة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله يقضي الأفضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها إلى أربابها في ليلة القدر<sup>١٠</sup>.

وقيل سميت بذلك لعظمها وشرفها وقدرها، وفضيلة الزمان انما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل، وفي تلك الليلة يقسم الخير الكثير الذي لا يوجد مثله في الف شهر<sup>١١</sup>.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْمُبْرَكَةِ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ<sup>(٤)</sup> أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿ [الدخان: ٣، ٥]

ذهب جمهور العلماء إلى أن الليلة المباركة الواردة في هذه الآية هي ليلة القدر، وليست ليلة النصف من شعبان كما ذهب إليه بعض المفسرين.

قال ابن قدامة<sup>١٢</sup>: ليلة القدر هي ليلة شريفة مباركة معظمة مفضلة ثم قال: وقيل: إنما سميت ليلة القدر لأنه يقدر فيها ما يكون في تلك السنة من خير ومصيبة، ورزق وبركة<sup>١٣</sup>.

وهي باقية تحصل كل سنة، إلى يوم القيامة، قال النووي<sup>١٤</sup> - رحمه الله تعالى -: أجمع من يعتد به وجودها ودوامها إلى آخر الدهر<sup>١٥</sup>.

ومستند الإجماع هو الأحاديث الكثيرة التي تحث المسلم على طلبها والاجتهاد في إدراكها، ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"<sup>١٦</sup>، وقوله صلى الله عليه وسلم: "تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان"<sup>١٧</sup>، وبما رواه مرثد بن أبي مرثد<sup>١٨</sup> عن أبيه قال: كنت مع أبي ذر عند الجمرة الوسطى فسألته عن ليلة القدر فقال: كنت أسأل الناس عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله أخبرني عن ليلة القدر كانت

تكون على عهد الأنبياء فإذا ذهبوا رفعت؟ قال: "لا ولكن تكون إلى يوم القيامة" قال: قلت: يا رسول الله فأخبرنا بها قال: "لو أذن لي فيها لأخبرتكم ولكن التمسوها في آخر السبع ثم لا تسألني عنها بعد مقامي أو مقامك هذا"، ثم أخذ في حديث فلما انبسط قلت: يا رسول الله أقسمت عليك إلا حدثني بها قال أبو ذر: فغضب علي غضبة لم يغضب علي قبلها ولا بعدها مثلها<sup>١٩</sup>.

والظاهر -والله أعلم- بكتابة مقادير الخلائق في ليلة القدر: أنه ينقل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ؛ ولذلك قال ابن عباس -رضي الله عنها-: (إن الرجل ليمشي في الناس وقد رُفع في الأموات)، ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ﴾ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ قال: يفرق فيها أمر الدنيا من السنة إلى السنة<sup>٢٠</sup>.

### المطلب الثاني: فضل ليلة القدر واختصاص الأمة بها

ذهب الفقهاء إلى أن ليلة القدر أفضل الليالي، وأن العمل الصالح فيها خير من العمل الصالح في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]، وأنها الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، والتي ورد ذكرها في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ﴾ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ [الدُّخَانِ: ٣، ٤]. وورد في فضلها أيضا -بالإضافة إلى ما سبق - قول الله تَعَالَى: ﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤]، قال القرطبي: أي تهبط من كل سماء ومن سدرة المنتهى فينزلون إلى الأرض ويؤمنون على دعاء الناس إلى وقت طلوع الفجر، وتنزل الملائكة والروح في ليلة القدر بالرحمة بأمر الله تعالى وبكل أمر قدره الله وقضاه في تلك السنة إلى قابل<sup>٢١</sup>.

وفضل ليلة القدر وخيرها يستمر إلى الفجر، كما قال الله تعالى: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥]. أي أن ليلة القدر سلامة وخير كلها لا شر فيها إلى طلوع الفجر، وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى"<sup>٢٢</sup>، قال الضحاك<sup>٢٣</sup>: "لا يقدر الله في تلك الليلة إلا السلامة، وفي سائر الليالي يقضي بالبلايا والسلامة وقيل: أي هي سلام، أي ذات سلامة من أن يؤثر فيها شيطان في مؤمن ومؤمنة. وكذا قال مجاهد<sup>٢٤</sup>: هي ليلة سالمة، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا ولا أذى"<sup>٢٥</sup>.

#### وفي اختصاص ليلة القدر بالأمة المحمدية قولين للفقهاء:

**القول الاول:** انها مختصة بأمة محمد ولم تكن في الأمم السابقة، وهذا قول جمهور الفقهاء من المالكية<sup>٢٦</sup> والشافعية<sup>٢٧</sup> والحنابلة<sup>٢٨</sup>.

واستدلوا بما روي عن مالك بن أنس: أنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر"<sup>٢٩</sup>.

وجاء عن عروة وعكرمة: أنه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أربعة من بني إسرائيل يقال إنهم عبدوا الله ثمانين سنة لم يعصوا الله طرفة عين، فعجب أصحاب الرسول من ذلك فأتاه جبريل فقال يا محمد، عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوا الله طرفة عين! فقد انزل الله عليك خيرا من ذلك ثم قرأ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، فسر النبي بذلك<sup>٣٠</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>٣١</sup> - رحمه الله تعالى -: "ليلة الإسراء في حقه

صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر، وليلة القدر أفضل بالنسبة إلى الأمة<sup>٣٣</sup>، وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجل قال: ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر، وقال آخر: بل ليلة القدر أفضل فأيهما المصيب؟

فأجاب: الحمد لله، أما القائل بأن ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر: ليلة الإسراء، ونظائرها من كل عام، أفضل لأمة محمد صلى الله عليه وسلم من ليلة القدر، بحيث يكون قيامها، والدعاء فيها أفضل منه في ليلة القدر، فهذا باطل، لم يقله أحد من المسلمين، وهو معلوم الفساد بالاضطرار.

وإن أراد أن الليلة المعينة التي أسري فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم وحصل له فيها ما لم يحصل له في غيرها، من غير أن يشرع تخصيصها بقيام ولا عبادة، فهذا صحيح. إن قام به دليل على أن إنعام الله على نبيه ليلة الإسراء كان أعظم من إنعامه عليه بإنزال القرآن ليلة القدر، وهذا لا يعلم إلا بالوحي، ولا يجوز لأحد أن يتكلم فيه بلا علم، ولا يعرف عن أحد من الصحابة أنه خصت ليلة الإسراء بأمر من الأمور، ولهذا لا يعرف أي ليلة كانت، وإن كان الإسراء في نفسه من أعظم فضائله، كما أنه صلى الله عليه وسلم لم يفضل غار حراء الذي أنزل عليه فيه الوحي، ولا خص اليوم الذي ابتدأ فيه الوحي بشيء<sup>٣٣</sup>.

**القول الثاني:** أن ليلة القدر كانت في الأمم السابقة، حكى هذا القول النووي عن جماعة<sup>٣٤</sup>.

واحتجوا بحديث أبي ذر رضي الله عنه وفيه: " قلت يا رسول الله أخبرني عن ليلة القدر أفي كل رمضان هي؟ قال: نعم. قلت: أفتكون مع الأنبياء فإذا رفعوا رفعت أو إلى يوم القيامة قال بل هي إلى يوم القيامة<sup>٣٥</sup>.

## المطلب الثالث: علامات ليلة القدر

قال العلماء: ليلية القدر علامات يراها من شاء الله من عباده في كل سنة من رمضان، لأن الأحاديث وأخبار الصالحين ورواياتهم تظاهرت عليها فمنها:

١ - أن تطلع الشمس من صبيحتها كأنها طست بيضاء لا شعاع لها<sup>٣٦</sup>، لا حر فيها ولا برد<sup>٣٧</sup>، كما جاء في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً: "إنها صافية بلجة كأن فيها قمراً ساطعاً ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر ولا يحل لكوكب أن يرمى به فيها حتى تصبح وأن من أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يوماً<sup>٣٨</sup>".

ومنها ما ورد من قول ابن مسعود رضي الله عنه "أن الشمس تطلع كل يوم بين قرني شيطان إلا صبيحة ليلة القدر"<sup>٣٩</sup>. وفي حكمة كونها لا شعاع لها: قولان: أحدهما: أنها علامة جعلها الله لها.

الثاني: أن ذلك لكثرة اختلاف الملائكة في ليلتها ونزولها إلى الأرض وصعودها بما تنزل به فسترت بأجنحتها وأجسامها اللطيفة ضوء الشمس وشعاعها<sup>٤٠</sup>.

٢ - ليلتها تكون السماء صحوا لا غيم فيها<sup>٤١</sup>.

٣ - أنها ليلة بلجة - يعني منيرة مضيئة - لا حارة ولا باردة، لا يرمى فيها بنجم<sup>٤٢</sup>.

٤ - ليلة القدر تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة<sup>٤٣</sup>.

٥ - أن القمر يكون فيها مثل شق جفنة، أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تذاكرنا ليلة القدر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أيكم يذكر حين طلع القمر وهو مثل شق جفنة"<sup>٤٤</sup>.

قوله: (شق جفنة) الشق: هو النصف، والجفنة: القصعة.

قال القاضي عياض: "فيه إشارة إلى أنها إنما تكون في أواخر الشهر لأن القمر لا يكون كذلك عند طلوعه إلا في أواخر الشهر".

وقد عدّد في الفواكه علامات ليلة القدر فقال: (علاماتها كثيرة، منها: أن المياه المالحّة تعذب تلك الليلة ثم ترجع إلى أصلها، ومنها: أن الشمس لا تطلع يومها على قرني شيطان بخلاف يوم غيرها، ومنها: اقشعرار وبكاء، ومنها: أن تلك الليلة تكون مشرقة نيرة ومعتدلة لا حارة ولا باردة ولا سحاب فيها ولا مطر ولا ريح، ولا يرى فيها نجم، وتطلع الشمس صبيحتها مشعشة حمراء لا شعاع لها)<sup>٤٥</sup>، - وقيل في علامات: أن يرى كل شيء ساجداً، وقيل: يرى الأنوار في كل مكان ساطعة حتى المواضع المظلمة، وقيل: يسمع سلاماً أو خطاباً من الملائكة.

وقيل: علامتها استجابة دعاء من وقعت له.

قال الطبري ذلك غير لازم فإنها قد تحصل ولا يرى شيئاً ولا يسمع<sup>٤٦</sup>.

- وقد يكشف الله لبعض الناس في المنام أو اليقظة فيرى أنوارها أو يرى من يقول له: هذه ليلة القدر، وقد يفتح الله على قلبه من المشاهدة ما يتبين له الأمر، قال العلماء: ليلية القدر علامات يراها من شاء الله من عباده في كلّ سنة من رمضان<sup>٤٧</sup>.

قال في المجموع: "فإن قيل: أي فائدة لمعرفة صفتها بعد فواتها فإنها تنقضي بطلوع الفجر؟؟ فالجواب من وجهين: أحدهما - أنه يستحب أن يكون اجتهاده في يومها الذي بعدها كاجتهاده فيها، ثانيهما: المشهور في المذهب أنها لا تنتقل فإذا عرفت ليلتها في سنة انتفع بذلك في الاجتهاد فيها في السنة الثانية وما بعدها<sup>٤٨</sup>.

### المطلب الرابع: علامات ليلة القدر الفلكية من وجهة نظر علماء الفلك المعاصرين

انقسم علماء الفلك المعاصرين في القول بالعلامات الفلكية العلمية على ليلة القدر إلى ثلاثة أقوال:

#### القول الأول:

أن هناك علامات فلكية تدل على ليلة القدر وأن الأرض ينزل عليها في اليوم الواحد من عشرة آلاف إلى عشرين ألف شهاب من العشاء إلى الفجر، غير أن ليلة القدر لا ينزل فيها أي شهاب.

وهذا قول رئيس المجمع العلمي لهيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة د. عبد الباسط محمد السيد، مستدلاً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليلة القدر ليلة بلجاء - لا حر ولا برد- لا تضرب فيها الأرض بنجم، صبيحتها تخرج الشمس بلا شعاع، وكأنها طست كأنها ضوء القمر)<sup>٩</sup>، وأن هناك حقائق علمية تثبت روعة ليلة القدر، اكتشفها "كارنر" وهو من أعظم علماء الفضاء. وأن وكالة الطيران والفضاء الأمريكية (ناسا) كانت قادرة ومنذ عشر سنوات على تحديد ليلة القدر، التي يترقبها المسلمون في العُشر الأخير من رمضان<sup>١٠</sup>.

#### القول الثاني:

أن الظواهر الكونية ظواهر منفكة عن السلوك والتواقيت البشرية فالشمس والقمر وحركاتهما وسكناتهما وجميع الأجرام السماوية لها نظامها الخاص المنفصل الخاضع لنظام الشئون الكونية فلها سلوك لا يعترية التغير والخلل حتى يرث الله الكون وما يحتويه، وليلة القدر توقيت بشري..!، والشمس توقيت كوني وليس بينهما رابط بل هما سلوكان منفصلان عن بعض.

وهذا ما توصل إليه الباحث الفلكي د. خالد بن صالح الزعاق، عضو الاتحاد العربي لعلوم الفضاء والفلك<sup>١</sup>. و د. عبدالرحمن محمد هشبول عضو هيئة التدريس بكلية الآداب جامعة الملك فيصل - الأحساء<sup>٢</sup>.

**وأهم ما استند إليه أصحاب هذا القول ما يلي:**

١ - أنه وردت روايات كونية كثيرة عن ليلة القدر لم يثبت الواقع المعاش أي واحدة منها رغم كثرتها وما يذكر من أنه في ليلة القدر أو أي يوم من الأيام تشرق الشمس فيه لا شعاع لها فهذا لم يثبت علماً وتنكرها التجارب المخبرية والملاحظات البشرية.

٢ - أن العلم أثبت أن الشعاع لو تغير قليلاً لتجمدت المجموعة الشمسية برمتها فضلاً عن أنها تنقطع من الشعاع.

٣ - أن الشمس هي مركز الكون والأرض تدور حولها، ومفردة الشروق والغروب ناتجة من هذا الدوران ولا ينسحب هذا اللفظ على الأجزاء الشمالية والجنوبية المتطرفة من الأرض؛ بل إن الشروق والغروب ينعدم بها. فالشروق يختص بالأرض والشعاع يختص بالشمس وإذا كانت الشمس على زاوية ٩٠ درجة من مكان محدد من الأرض تكون في حالة الشروق على هذا المكان وفي نفس الوقت تكون في حالة زوال في مكان آخر وتكون في حالة غروب في مكان ثالث وتحت الأفق في مكان رابع، فلو فرضنا أنها تشرق لدينا بدون شعاع فهذا يعني أنها ستكون في نفس اللحظة لا شعاع لها وهي فوق الرأس في المكان الذي يقع شرقنا وعلى بعد ١٠,٠٠٠ ك م، وهذا لا يستقيم البتة علمياً.

٤ - أنه لو قدر أن الشمس انكماش شعاعها لبرهة من الزمن وهي فوق الأفق لتحسستها المراصد الدقيقة ذات الحساسية المفرطة الموثقة على وجه الأرض وعلى جبهة السماء.

٥ - أنه من المسلمات أن الله سبحانه جعل القدر في ليلة واحدة، ونحن نعرف واقعاً أن العالم الاسلامي يختلف في بدء صومه لمدة وصلت في بعض أحيائها إلى أربعة أيام، فمن تصدق عليهم ليلة القدر، نحن أم غيرنا من المسلمين، علماً بأننا نعرف أن المسلمين لم يصوموا في يوم واحد بل بأيام متعددة<sup>٥٣</sup>.

### القول الثالث:

التوقف وأن الأمر يحتاج إلى تحقيق علمي دقيق ووجوب إلزام الدقة الشديدة في تحري الأمور.

وهو ما ذهب إليه رئيس لجنة الإعجاز العلمي التابع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية في مصر د. زغلول النجار، و مقرر لجنة المواقيت والأهلة في دائرة قاضي القضاة الأردنية، الفلكي: عماد مجاهد<sup>٥٤</sup>.

### وأهم ما استند إليه أصحاب هذا الرأي:

١ - أنه في كل ثانية يحترق شهاب في الغلاف الغازي للأرض، ولم يوجد في المراجع العلمية المختلفة أن هناك ليلة واحدة في السنة الكاملة لم تشهد بها الأرض نزولاً للشهب<sup>٥٥</sup>.

٢ - أن التلسكوبات الموجهة إلى السماء في مختلف مراصد العالم، تقوم وعلى مدار ٢٤ ساعة، بتصوير كل ما يحدث في سماء الأرض بشكل ذاتي وأتوماتيكي.

٣ - أنه لا بد من استعراض دقيق لكافة الصور التي التقطتها تلك التلسكوبات على مدى عام كامل، للتأكد فيما إذا لم تتعرض الأرض فعلاً لنزول الشهب في إحدى الليالي.

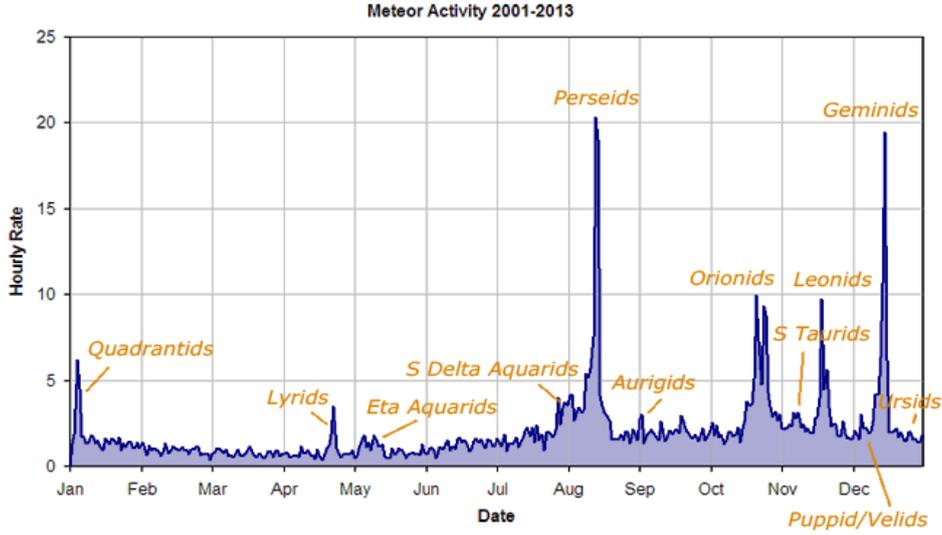
٤ - على المسلمين أن يحققوا المقصود بالنجم في حديث: (ليلة القدر ليلة بلجاء - لا

حر ولا برد- لا تضرب فيها الأرض بنجم، صبيحتها تخرج الشمس بلا شعاع، وكأنها طست كأنها ضوء القمر<sup>٥٦</sup>، تحقيقاً علمياً سليماً وذلك من خلال تحليل جميع الصور المأخوذة من التسلكوبات المنتشرة في العالم وعلى مدار سنة كاملة.

٥ - أن الإحصائيات الرسمية المسجلة في منظمة الشهب العالمية IMO- International Meteor Organization تثبت أن الشهب الداخلة للغلاف الغازي للأرض لم تتوقف في أي يوم كان ومنها أيام الشهر الفضيل، ولا يوجد أي دليل علمي "على توقف نزول الشهب، وتحديدًا في ليلة القدر.

٦- أن وكالة الفضاء الأمريكية ناسا ليست أصلاً الجهة الأكثر تخصصاً بموضوع رصد الشهب فهناك منظمة الشهب الدولية وغيرها من المنظمات المتخصصة بموضوع رصد الشهب! وعلى من نسب إليها ذلك أن يقدم أدلة تثبت ما توصلت إليه وكالة ناسا حول ليلة القدر، إضافة إلى توضيح الكيفية والآلية التي تمت بموجبها هذه الدراسات.

وفيما يلي مخطط يبين عدد الشهب التي تسقط على الأرض خلال سنة كاملة، وهي حصيلة رصد استمر من العام ٢٠٠١ وحتى العام ٢٠١٣ من خلال كاميرا فلكية متخصصة تغطي جميع السماء تابعة لمركز كلاودبيت في ولاية كولورادو في الولايات المتحدة<sup>٥٧</sup>.



### المطلب الخامس: الحكمة من كتمان ليلة القدر

اتفق فقهاء الحنفية<sup>٥٨</sup> والمالكية<sup>٥٩</sup> والشافعية<sup>٦٠</sup> والحنابلة<sup>٦١</sup>: على أنه يستحب لمن رأى ليلة القدر أن يكتتمها. قالوا: والحكمة في كتمانها: أنها كرامة والكرامة ينبغي كتمانها بلا خلاف بين أهل الطريق من جهة رؤية النفس، فلا يأمن السلب، ومن جهة أن لا يأمن الرياء، ومن جهة الأدب فلا يتشاغل عن الشكر لله بالنظر إليها وذكرها للناس، ومن جهة أنه لا يأمن الحسد فيوقع غيره في المحذور<sup>٦٢</sup>. قال ابن حجر العسقلاني: "ويستأنس له بقول يعقوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لابنه يوسف عليه السلام ﴿ قَالَ يَبْنَئُ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [سورة يوسف: ٥] <sup>٦٣</sup>.

وقال الصاوي<sup>٦٤</sup> في البلغة: "ويندب لمن رآها أن يكتتمها فلا يحدث بها، لأن الاطلاع عليها من السر المكتوم، ومن باح بالسر ضيعه"<sup>٦٥</sup>.

## المبحث الثاني: إحياء ليلة القدر

### المطلب الأول: حكم إحياء ليلة القدر

اتفق الفقهاء من الحنفية<sup>٦٦</sup> والمالكية<sup>٦٧</sup> والشافعية<sup>٦٨</sup> والحنابلة<sup>٦٩</sup>: على أنه يندب إحياء ليلة القدر؛ لفعل النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاور في العشر الأواخر من رمضان"<sup>٧٠</sup>، ولما ورد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم " كان إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المنزر"<sup>٧١</sup>، قال ابن رجب: والقصد منه إحياء ليلة القدر<sup>٧٢</sup>؛ ولقوله صلى الله عليه وسلم: " من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"<sup>٧٣</sup>.

### المطلب الثاني: كيفية إحياء ليلة القدر

كان النبي صلى الله عليه وسلم يخص العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يعملها في بقية الشهر، ويجتهد في العشر الأواخر من رمضان ما لا يجتهد في غيرها، بالصلاة والقراءة والدعاء، ومما يستحب فعله لإحياء ليلة القدر:

١ - يستحب في الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر التنظف والتزين والطيب بالغسل والطيب واللباس الحسن كما يشرع ذلك في الجمع والأعياد وكذلك يشرع أخذ الزينة بالثياب في سائر الصلوات كما قال تعالى: ﴿حُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] وقال ابن عمر: الله أحق أن يتزين له وروي عنه مرفوعاً<sup>٧٤</sup>.

ففي حديث عائشة: " واغتسل بين الأذانين"<sup>٧٥</sup>، والمراد أذان المغرب والعشاء.

وروي عن حذيفة أنه قام مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من رمضان فاغتسل النبي صلى الله عليه وسلم وستره حذيفة، وبقيت فضلة فاغتسل بها حذيفة وستره النبي صلى الله عليه وسلم<sup>٧٦</sup>.

قال ابن جرير: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأواخر، وكان النخعي يغتسل في العشر كل ليلة، ومنهم من كان يغتسل ويتطيب في الليالي التي تكون أرجى لليلة القدر.

وكان أيوب السختياني<sup>٧٧</sup> يغتسل ليلة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين ويلبس ثوبين جديدين ويستجمر ويقول: ليلة ثلاث وعشرين هي ليلة أهل المدينة والتي تليها ليلتنا يعني البصريين. وقال حماد بن سلمة<sup>٧٨</sup>: كان ثابت البناني<sup>٧٩</sup> وحميد الطويل<sup>٨٠</sup> يلبسان أحسن ثابتهما ويتطيبان ويتطيبون المسجد بالنضوح والدخنة في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر.

وقال ثابت: كان لتميم الداري حلة اشتراها بألف درهم، وكان يلبسها في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر<sup>٨١</sup>.

٢- تأخير الفطور إلى السحور، لما روي عنه صلى الله عليه وسلم في حديث عائشة وأنس أنه صلى الله عليه وسلم: "كان في ليالي العشر يجعل عشاءه سحوراً"<sup>٨٢</sup>.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصوم فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله؟ فقال: "وأياكم مثلي إنني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني" فلما أبو أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوماً ثم يوماً ثم رأوا الهلال فقال: "لو تأخر لزدتكم"، كالتكيل لهم حين أبو أن ينتهوا، فهذا يدل على أنه واصل

بالناس في آخر الشهر<sup>٨٣</sup>.

٣ - إحياء الليل: فقد ثبت في الصحيحين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم: "كان إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المنزر"<sup>٨٤</sup>. ولأحمد ومسلم: "كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها، يحتمل أن يريد بإحياء الليل إحياء غالبه"<sup>٨٥</sup>.

ويحتمل أن المراد إحياء الليل كله، فقد روي من حديث عائشة من وجه فيه ضعف بلفظ: "وأحيا الليل كله" وقالت بلفظ آخر: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يخلط العشرين بصلاة ونوم فإذا كان العشر - يعني الأخير - شمر وشد المنزر".

وعن أنس قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا شهد رمضان قام ونام فإذا كان أربعا وعشرين لم يذق غمضا"<sup>٨٦</sup>.

لكن المرجح أنه يريد بإحياء الليل إحياء غالبه، كقول عائشة رضي الله عنها: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم شعبان كله، كان يصوم شعبان إلا قليلا".

٤ - يستحب أن يوقف أهله للصلاة في آكد الأوتار التي ترجى فيها ليلة القدر؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوقف أهله للصلاة في ليالي العشر دون غيره من الليالي، وفي حديث أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قام بهم ليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين ذكر أنه دعا أهله ونساءه ليلة سبع وعشرين خاصة.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم: "يوقف أهله في العشر الأواخر من رمضان، وكل صغير وكبير يطيق الصلاة".

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يطرق فاطمة وعلياً ليلاً فيقول لهما: "ألا تقومان فتصليان"، وكان يوقظ عائشة بالليل إذا قضى تهجده وأراد أن يوتر<sup>٨٧</sup>.

٥ - يستحب أن يشد المنزر ويعتزل النساء، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشد المنزر، واختلفوا في تفسيره فمنهم من قال: هو كناية عن شدة جده واجتهاده في العبادة، كما يقال: فلان يشد وسطه ويسعى في كذا، وهذا فيه نظر فإنها قالت: جد وشد المنزر فعطفت شد المنزر على جده.

والصحيح: أن المراد: اعتزاله النساء، وبذلك فسره السلف والأئمة المتقدمون منهم: سفيان الثوري، وقد ورد ذلك صريحاً من حديث عائشة وأنس، وورد تفسيره بأنه لم يأو إلى فراشه حتى ينسلخ رمضان، وفي حديث أنس: وطوى فراشه واعتزل النساء<sup>٨٨</sup>.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم غالباً يعتكف العشر الأواخر، والمعتكف ممنوع من قربان النساء بالنص والإجماع<sup>٨٩</sup>.

٦ - يستحب الإعتكاف والإنفراد بنفسه والتخلي بمناجاة ربه وذكره ودعائه، وهذا الإعتكاف هو الخلوة الشرعية، وإنما يكون في المساجد لئلا يترك به الجمع والجماعات، فإن الخلوة القاطعة عن الجمع والجماعات منهي عنها.

لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى<sup>٩٠</sup>.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين"<sup>٩١</sup>.

وإنما كان يعتكف النبي صلى الله عليه وسلم في هذا العشر التي يطلب فيها ليلة القدر قطعاً لأشغاله، وتفريغاً ليليته، وتخلياً لمناجاة ربه وذكره ودعائه، وكان يحتجر حصيراً يتخلى فيها عن الناس، فلا يخالطهم ولا يشتغل بهم، ولهذا ذهب الإمام أحمد إلى أن المعتكف لا يستحب له مخالطة الناس حتى ولا لتعلم علم وإقراء قرآن<sup>٩٠</sup>.

٧ - أن يكون قيام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"<sup>٩١</sup>، وهذا الحديث يدل على مشروعيتها إحيائها بالقيام.

**والإيمان هو:** التصديق بفضلها، والتصديق بمشروعية العمل فيها. والعمل المشروع فيها هو الصلاة، والقراءة، والدعاء، والابتهاج، والخشوع، ونحو ذلك، فإن عليك أن تؤمن بأن الله أمر به، وشرعه، ورجب فيه، فمشروعيته متأكدة.

وإيمان المرء بذلك تصديقه بأن الله أمر به، وأنه يثيب عليه.

**وأما الاحتساب:** فمعناه خلوص النية، وصدق الطوية، بحيث لا يكون في قلبه شك ولا تردد، وبحيث لا يريد من صلاته، ولا من قيامه شيئاً من حطام الدنيا، ولا شيئاً من المدح، ولا الثناء عليه، ولا يريد مراعاة الناس ليروه، ولا يمدحوه ويثنوا عليه، وإنما يريد أجره من الله تعالى<sup>٩٢</sup>.

إدأ الإحياء لليلة القدر يكون بالصلاة وقراءة القرآن والذكر والدعاء، وغير ذلك من الأعمال الصالحة، ومن أفضل الأدعية التي تقال في ليلة القدر ما علمه النبي صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها، فروى الترمذي وصححه عن عائشة

رضي الله عنها قالت: (قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟) قال: قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني<sup>٩٣</sup>، قال ابن علان: بعد ذكر هذا الحديث: "فيه إيماء إلى أن أهم المطالب انفكاك الإنسان من تبعات الذنوب وطهارته من دنس العيوب، فإن بالطهارة من ذلك يتأهل للانتظام في سلك حزب الله وحزب الله هم المفلحون"<sup>٩٤</sup>.

وعليه فإنه ينبغي للمؤمن أن يجتهد في أيام وليالي هذه العشر طلباً لليلة القدر، اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأن يجتهد في الدعاء والتضرع إلى الله، وقيام ليلة القدر يحصل بصلاة ما تيسر منها، فإن من قام مع الإمام أول الليل أو آخره حتى ينصرف كتب من القائمين، "وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم صلى ليلة مع أصحابه أو بأصحابه، فلما انصرفوا نصف الليل قالوا: لو نفلتنا بقية ليلتنا، فقال: "إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة" وكان أحمد رحمه الله يعمل به.

قال الشافعي في القديم: من شهد العشاء والفجر ليلة القدر فقد اخذ حظه منها، كما استحب ان يكون اجتهاده في يومها كاجتهاده في ليلها<sup>٩٥</sup>.

٨ - أما الحائض والنفساء تفعلان جميع العبادات إلا الصلاة والصيام والطواف بالكعبة والاعتكاف في المسجد. يمكنها إحياء الليل بطاعات أخرى غير الصلاة  
مثل:

١ - قراءة القرآن. ٢ - الذكر: من تسبيح وتهليل وتحميد.

٣ - الاستغفار. ٤ - الدعاء.

قال جوير: قلت للضحك: أرأيت النفساء والحائض والمسافر والنائم لهم في ليلة القدر نصيب؟ قال: نعم كل من تقبل الله عمله سيعطيه نصيبه من ليلة القدر<sup>٩٦</sup>.

### المطلب الثالث: العلم بليلة القدر لنيل فضلها

نص فقهاء المالكية والشافعية على مسألة اشتراط العلم بليلة القدر لنيل فضلها أو عدم اشتراطه واختلفوا في ذلك على قولين:

**القول الأول:** إلى أنه لا ينال فضل ليلة القدر إلا من أطلعه الله عليها، فلو قام إنسان ولم يشعر بها لم ينل فضلها. وإليه ذهب بعض المالكية<sup>٩٧</sup> والشافعية<sup>٩٨</sup>.

**القول الثاني:** إنه لا يشترط لنيل فضل ليلة القدر العلم بها، ويستحب التعبّد في كل ليالي العشر الأواخر من رمضان حتى يجوز الفضيلة على اليقين<sup>٩٩</sup>.

قال في الفواكه: "وقع خلاف هل يحصل الثواب المذكور لمن عمل عالماً بها أو يحصل لكل من صدر منه العمل ولو لم يشعر بها؟

والصواب من ذلك الخلاف حصول الثواب مطلقاً، لكن ثواب من عمل مع العلم بها بظهور شيء من علاماتها أتم من ثواب من لم يعلم"<sup>١٠٠</sup>.

قال الصنعاني في سبل السلام: "ولا أنكر حصول الثواب الجزيل لمن قام لابتغاء ليلة القدر وان لم يوفق لها وإنما الكلام في حصول الثواب المعين المدعو به وهو مغفرة ما تقدم من ذنبه"<sup>١٠١</sup>.

### المطلب الرابع: محل ليلة القدر

اختلف الفقهاء في محل ليلة القدر من أيام وشهور السنة على قولين:

**القول الأول:** أن محل ليلة القدر في شهر رمضان دائرة معه، وهو قول جمهور الفقهاء من المالكية<sup>١٠٢</sup> والشافعية<sup>١٠٣</sup> والحنابلة<sup>١٠٤</sup> والمعتمد في مذهب الحنفية<sup>١٠٥</sup>؛ لأن الله

سبحانه وتعالى أخبر أنه أنزل القرآن في ليلة القدر بقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾<sup>(١)</sup>

وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿[القدر: ١-٢]. وأخبرنا كذلك أنه أنزل القرآن في شهر رمضان

بقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥]، مما يدل على أن ليلة القدر منحصرة في شهر رمضان دون سائر ليالي السنة الأخرى.

**القول الثاني:** أن محل ليلة القدر في جميع السنة تدور فيها، قد تكون في رمضان وقد تكون في غير رمضان، وهو قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأبو حنيفة في المشهور عنه<sup>١٠٦</sup>، فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول: "من يقيم الحول يصب ليلة القدر" مشيراً إلى أنها في السنة كلها، ولما بلغ قوله هذا إلى ابن عمر رضي الله عنهما قال: "يرحم الله أبا عبد الرحمن أما إنه علم أنها في العشر الأواخر من شهر رمضان ولكنه أراد ألا يتكل الناس"<sup>١٠٧</sup>.

واختلف جمهور الفقهاء الذين ذهبوا إلى أن ليلة القدر في شهر رمضان في محلها من الشهر على أقوال كثيرة، منها:

**القول الأول:** أنها في العشر الأواخر من رمضان، وهو الصحيح المشهور لدى جمهور الفقهاء، من المالكية<sup>١٠٨</sup> والشافعية<sup>١٠٩</sup> والحنابلة<sup>١١٠</sup>.

لكثرة الأحاديث التي وردت في التماسها في العشر الأواخر من رمضان، وتؤكد أنها في الأوتار ومنحصرة فيها.

**القول الثاني:** ليلة القدر دائرة مع رمضان، بمعنى أنها توجد كلما وجد، فهي مختصة به عند الإمام وصاحبيه، لكنها عندهما في ليلة معينة منه لا تتقدم ولا تتأخر، وعنده تتقدم وتتأخر<sup>١١١</sup>.

**القول الثالث:** أنها منحصرة في العشر الأواخر من رمضان مبهمة علينا، ولكنها في ليلة معينة في نفس الأمر لا تنتقل عنها ولا تزال من تلك الليلة إلى يوم القيامة، وكل

ليالي العشر الأواخر محتملة لها، لكن ليالي الوتر أرجاها، وأرجى الوتر عند الشافعي ليلة الحادي والعشرين، وقال الشافعي في موضع إلى ثلاثة وعشرين<sup>١١٢</sup>.

وقال الشريبي الخطيب: . وقال ابن عباس وأبي رضي الله عنهم: هي ليلة سبع وعشرين وهو مذهب أكثر أهل العلم<sup>١١٣</sup>. وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه كان يقول يقول: إنها ليلة سبع وعشرين، فقيل له: ومن أين لك؟ قال: لأن سورة القدر ثلاثون كلمة وقوله هي الكلمة السابعة والعشرون، وفيها إشارة إلى ليلة القدر<sup>١١٤</sup>.

والأشهر والأظهر عند المالكية: أنها ليلة السابع والعشرين<sup>١١٥</sup>، وبهذا يقول الحنابلة، فقد صرح البهوتي بأن أرجاها ليلة سبع وعشرين نصا<sup>١١٦</sup>.

وقال القدوري<sup>١١٧</sup> من الحنفية: ذهب الأكثر إلى أن ليلة القدر ليلة سبع وعشرين<sup>١١٨</sup>.

**القول الرابع:** أنها أول ليلة من رمضان، وهو قول أبي رزين العقيلي الصحابي لقول أنس رضي الله عنه: ليلة القدر أول ليلة من رمضان، نقلها عنهما ابن حجر<sup>١١٩</sup>.

**القول الخامس:** أنها ليلة سبع عشرة من رمضان، روى ابن أبي شيبه والطبراني من حديث زيد ابن أرقم رضي الله عنه قال: ما أشك ولا أمترى أنها ليلة سبع عشرة من رمضان ليلة أنزل القرآن<sup>١٢٠</sup>. وروي ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه<sup>١٢١</sup>؛ بحجة أنها هي الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر ونزل فيها القرآن؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّمَيِّزِ﴾ [سورة الفرقان: ٤١] وهو ما يتوافق تماما مع قوله تعالى في ليلة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾<sup>١٢٢</sup>.

**القول السادس:** أنها ليلة تسع عشرة، قال ابن حجر: "رواه عبد الرزاق عن علي رضي

الله عنه وعزاه الطبري لزيد بن ثابت وابن مسعود رضي الله عنهما ووصله الطحاوي عن ابن مسعود رضي الله عنه<sup>١٢٣</sup>.

**القول السابع:** أنها متقلة في ليالي العشر الأواخر تتقل في بعض السنين إلى ليلة وفي بعضها إلى غيرها، وهذا قول مالك<sup>١٢٤</sup> وأحمد<sup>١٢٥</sup> والماوردي وابن حجر العسقلاني من الشافعية<sup>١٢٦</sup>.

وذلك جمعا بين الأحاديث التي وردت في تحديدها في ليال مختلفة من شهر رمضان عامة ومن العشر الأواخر خاصة، لأنه لا طريق إلى الجمع بين تلك الأحاديث إلا بالقول بأنها متقلة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيب على نحو ما يسأل، فعلى هذا كانت في السنة التي {رأى أبو سعيد رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم يسجد في الماء والطين ليلة إحدى وعشرين}، وفي السنة التي أمر عبد الله ابن أنيس بأن ينزل من البادية ليصلي في المسجد ليلة ثلاث وعشرين، وفي السنة التي رأى أبي بن كعب رضي الله عنه علامتها ليلة سبع وعشرين، وقد ترى علامتها في غير هذه الليالي.

قال النووي: "وهذا هو الظاهر المختار، لتعارض الأحاديث الصحيحة في ذلك ولا طريق إلى الجمع بين الأحاديث إلا بانتقالها"<sup>١٢٧</sup>.

قال بعض أهل العلم: أبهم الله تعالى هذه الليلة على الأمة ليجتهدوا في طلبها ويجدوا في العبادة في الشهر كله طمعا في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة ليكثروا من الدعاء في اليوم كله، وأخفى اسمه الأعظم في الأسماء ورضاه في الطاعات ليجتهدوا في جمعها، وأخفى الأجل وقيام الساعة ليجد الناس في العمل حذرا منها<sup>١٢٨</sup>.

### المطلب الخامس: التفسير الفلكي محل ليلة القدر مقارنا مع أقوال الفقهاء

قرر علماء الفلك في كتبهم أن أوقات الصلاة يكون تحديدها عن طريق حركة الشمس فقط وذلك للتيسير على الناس، بينما يجدون أن الشهر القمري يتم تحديده بميلاد الهلال وهو قائم على العلاقة بين حركة الشمس والقمر، والشهر القمري يُحتاج إليه مرتين رئيسيتين في العبادات طوال العام (شهر رمضان وشهر ذي الحجة) فيستخدم لذلك جسمين سماوين.

أما بالنسبة ليلية القدر فهي مرة واحدة كل عام فيفترضون لذلك استخدام الشمس والقمر وجسم سماوي ثالث وهو كوكب الزهرة، وهو ألمع جسم في السماء بعد الشمس والقمر.

ويحاول علماء الفلك إيجاد طريقة لتعيين ليلة القدر عن طريق علاقة تربط بين الشمس والقمر وكوكب الزهرة.

وبيان ذلك من خلال الفروع التالية:

#### الفرع الأول:

#### أثر غموض ليلة القدر واختلاف الرويات في تعيين محلها عند الفلكيين:

من خلال الرويات التي تكلمت عن ليلة القدر يُرجح أن هناك من الصحابة من كان يعرفها، ويعرف توقيتها، فقد تكرر لفظ "فالتمسوها" و"التمسوا" في أكثر من موضع، ومعنى التمسوا: أي تحروا وانظروا ان كانت ليلة القدر أم لا، وكيف يأمر بالنظر والتدقيق إلا اذا كانت لها علامات تدل عليها.

ومن هذه الأحاديث:

١ - ما جاء عن عائشة رضي الله عنها: قالت: (قلت: يا رسول الله، أرأيت إن

علمت أي ليلة القدر ما أقول فيها؟) قال: قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني<sup>١٢٩</sup>، فإذا ربما يحمل هذا الحديث على وجه وهو قولها (إن علمت). فكيف ستعرق عائشة رضي الله عنها أنها وافقت ليلة القدر؟ وهل كان هناك علامة لمعرفة؟.

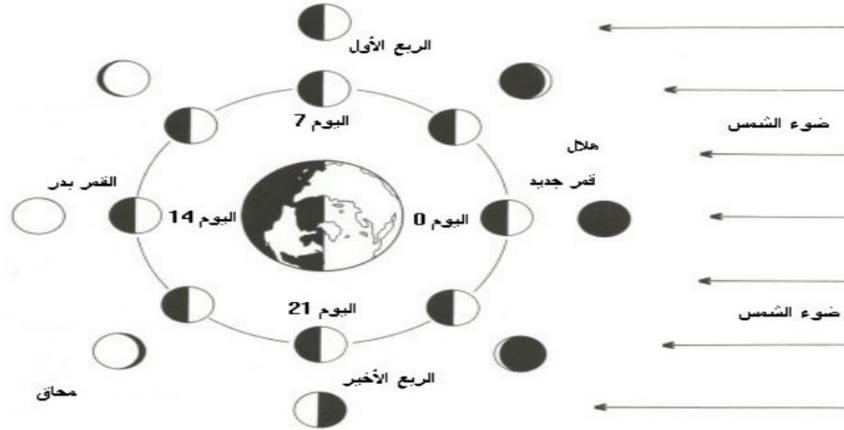
- ٢ - قوله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس إنها كانت قد أبينت لي ليلة القدر وأني خرجت لأخبركم بها فجاء رجلان يختلفان معهما الشيطان فنسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان، التمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة، والمقصود بالخامسة هي باعتبار ما تبقى من ليالي رمضان فتصبح ليلة الخامس والعشرين، وربما ليلة الرابع والعشرين، وذلك لأن الوتر في هذه الحالة هو باعتبار ما بقي من ليالي وليس ما مضى وهو ما يدل على أن ليلة القدر ربما تأتي في ليلة زوجية؛ لأن الشهر ربما يكون ثلاثين أو تسعة وعشرين يوماً.
  - ٣ - عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إلتمسوا ليلة القدر ليلة سبع وعشرين"<sup>١٣٠</sup>.
  - ٤ - عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألتمسوا ليلة القدر آخر ليلة من رمضان"<sup>١٣١</sup>.
  - ٥ - قال صلى الله عليه وسلم: "ليلة القدر سابعة، أو تاسعة وعشرين، إن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى"<sup>١٣٢</sup>.
  - ٦ - وجاء في الحديث: "ف قيل لي: إن الليلة ليلة القدر، قال: فقامت وأنا ناعس فتعلقت ببعض أطناب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يصلي، فنظرت في تلك الليلة فإذا هي ليلة ثلاث وعشرين"<sup>١٣٣</sup>.
- فقول الصحابي رضي الله عنه: "فنظرت في تلك الليلة" ربما انه نظر في شيء ما فوجد علامتها فعرف أنها هي، وما دله على ذلك إلا موافقة النبي للصلاة في هذا الوقت.

٧ - وفيما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تذاكرنا ليلة القدر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أيكم يذكر حين طلع القمر وهو مثل مثل شق جفنة<sup>١٣٤</sup>. وهذا الحديث كان عليه مدار نظر اهل الفلك.

واختلاف الاحاديث في تعيين ليلة القدر بين ليلة الثالث والعشرين والرابع والعشرين والوتر كله واخر ليلة واخر سبع ليالي والليله الخامسة والعشرون والسابع والعشرين والتاسعة والعشرين وهكذا، ولكن هل هذا يعني ان الاحاديث في هذا الباب متعارضة؟

بل الاحاديث كلها تتفق في نظرهم إذا وجدوا رابطا خفيا يربط ما بينها.

بمعنى انه يوجد شيء ما يحدث كل سنة وهو علامة لوقت ليلة القدر، ولكن هل هذا التوقيت يختلف من عام لآخر ام هو ثابت؟ ويمكن الوصول إلى بعض النتائج اذا ما استعرضت بعض المعلومات الفلكيه حول دورة القمر وكوكب الزهرة<sup>١٣٥</sup>:



من المعلوم أن التركيز في الاسلام على الشهر الإهلالي وهو المحتوي على أيام تامة إما تسعة وعشرين او ثلاثين يوما، فنصوم مثلا بداية من رؤية هلال الشهر

التاسع من السنة القمرية.

وربط العبادة بحدث كوني وهو دورة القمر يمكن التعليل له بأن هذه الاوقات لا يستطيع أحد العبث بها أو تغيير وقتها ليجعله يتلاءم مع أهوائه ورغباته، فالارتباط بالأحداث الفلكية يحافظ على قدسية العبادة ولكي يصبح الانسان جزءا من الكون وليس هو المتحكم فيه، كما كان يفعل عرب الجاهلية مع النسيء الذي كانوا يفعلونه في سنة ويتركونه في أخرى.

وكوكب الزهرة هو ثاني الكواكب بعدا عن الشمس بعد كوكب عطارد، ويتميز هذا الكوكب بشدة لمعانه في السماء فهو ألمع جرم في السماء بعد الشمس والقمر، ونظرا لقربه من الشمس فإنه لا يرى إلا بعد غروب الشمس جهة الغرب أو قبل شروقها بقليل جهة المشرق، وهذا الكوكب قد حظي بالاهتمام دائما في جميع الحضارات القديمة فنجد أن السومريين قد اهتموا بها وسموها: إنانا.

ومن المعلوم لدى علماء الفلك أن أيام الاسبوع مأخوذة من أسماء الكواكب، فنجد أن السبت هو Saturday وهو اليوم الخاص بكوكب زحل saturnم والأحد هو Sunday هو يوم الشمس، ويوم الجمعة هو كوكب الزهرة، جاء في البدء والتاريخ: " ويوافق السماء الثانية كوكب الزهرة، ويومها الجمعة " <sup>١٣٦</sup> وهو يوم مقدس عند المسلمين وهو الذي يتم فيه التجمع والعبادة وفيه ساعة الاستجابة، وبالتالي فإن كوكب الزهرة يرتبط بطريقة ما كما يرتبط القمر مع الشعائر والعبادات.

وللزهرة حول الشمس دورة خاصة واذا بدأت الزهرة الحركة الظاهرية بالنسبة للأرض قبيل شروق الشمس تبدأ بالرجوع والاقتراب من الشمس حتى تختفي وراءها وهو ما يسمى بالاقتران الخارجي <sup>١٣٧</sup>.

أما اقتران القمر والزهرة فهي ظاهرة عادية بالنسبة الى حركة الكواكب وأحيانا

يبدو للعين المجردة أن القمر أخفى كوكب الزهرة، لأن الحركة اليومية للقمر هي أسرع ظاهريا من حركة كوكب الزهرة الأبعد عن الأرض وهذا يعني أن القطر الظاهري للقمر أكبر من القطر الظاهري لكوكب الزهرة باعتبار قرب القمر من الأرض وهذه الحالة تعرف بالاستتار أي احتجاب الزهرة خلف القمر، وهو يعتبر من الظواهر الفلكية رائعة الجمال!..

### الفرع الثاني: ظاهرة الاقتران ودلالاتها على ليلة القدر:

بعد عرض الاحاديث، والاطلاع على دورة القمر وكوكب الزهرة، يمكن مقارنة النتائج والربط فيما بينها، فاقتران القمر مع الشمس يعلن ميلاد شهر هجري جديد، واقتراب القمر من الزهرة في رمضان وغيره من الشهور يمكن أن يدل على حدث جديد، ولكن لا يمكن معرفة هذا الحدث وقد يكون له علاقة بليلة القدر وهو المسؤول عنها وقد يتحول الافتراض الى نظرية، خصوصا وان ربط الاحداث الفلكية بالأحداث الدينية جائز عقلا وشرعا، كما هو موجود في الصلوات الخمس: دورة الشمس اليومية، وطول الظل على الأرض، وما يحدث في أوائل الشهور القمرية وما يرتبط به من عبادات متعلقة بالصيام والحج.

ويمكن الاستدلال على فرضية فلكية بأن اقتراب او اقتران الزهرة بالقمر هو البداية أو الاعلان عن ليلة القدر بحديث جابر رضي الله عنه حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني كنت أريت ليلة القدر ثم نسيتها وهي في العشر الأواخر وهي طلقة بجة لا حارة ولا برودة، كأن فيها قمرا يفضح كواكبها، لات يخرج شيطانها حتى يخرج فجرها"<sup>١٣٨</sup>.

ومن ناحية فلكية كلمة "كوكب" قد يقصد بها الكوكب بالمفهوم الحديث، وقد يقصد بها النجم أيضا فهذه الكلمة لا تدل فقط على الكواكب المعروفة حاليا وهي

عطارد والزهرة.. ولكن تدل على كل مايلمع في السماء بخلاف الشمس والقمر، ولأن كوكب الزهرة ألمع جسم بعد الشمس والقمر فيرى دائما لامعا ويخطف بصر الناظر إليه دوناً عن باقي الكواكب والنجوم وعندما يقترب منه القمر يصبح لمعان الزهرة لا شيء بجانب لمعان القمر، ويبقى نور القمر هو المسيطر على عين الناظر ويفتضح باقي الكواكب والنجوم بجانبه<sup>١٣٩</sup>.

وهذا أحد تأويلات الحديث؛ وكأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أورد افتضاح الكواكب كعلامة على ليلة القدر. وللتأكد من صحة هذه النظرية من خلال التعرف على ليلة القدر بمراقبة الشمس في صبيحة يومها، إذا تمت تجربته على مدى عشر سنوات على الأقل، وقد تم حساب بعض الفلكيين في عام ١٤٣٣هـ طبقاً للحساب الفلكي في الساعة العاشرة مساءً حيث بداية اقتران الزهرة والقمر وجاء التأكيد على أنها ليلة السادس والعشرون، من قبل العديد من الأشخاص الذين رصدوا علاماتها وقد كانت صورة القمر والزهرة في هذه الليلة.



### الفرع الثالث: درء تناقض الأحاديث الواردة في تحديد ليلة القدر من وجهة نظر فلكية:

يقول الفلكيون أن من يدرس حركة كوكب الزهرة وعلاقته بالقمر سيدرك أنه بسبب تغير وقت الاقتران أو الاقتراب، فإن موعد ليلة القدر يتغير، وبالتالي فسيكون هناك قاعدة للتغيير، وهذا يعني أن الأحاديث الواردة لا تناقض فيما بينها لوجود رابط خفي يجمعها.

وبتحليل فلكي عند محاولة معرفة أكبر فترة يمكن أن يحدث عندها اقتران القمر والزهرة فكل ما يحتاج إليه هو أن تقسم ٤٧ درجة على ١٢,٢<sup>١٤٠</sup> فيخرج ٣,٨٥٥ يوماً، أي حوالي أربعة أيام قبل نهاية الشهر القمري، أو بعد أربعة أيام من بداية الشهر الجديد، وبداية الشهر هذه محسوبة من لحظة ميلاد الهلال وليس من وقت الرؤية للهلال، وهي أقصى مدة يمكن أن يحدث عندها الاقتران، بمعنى أن الهلال يولد عادة في اليوم التاسع والعشرين من رمضان ويتراوح وقت ولادته بين أول اليوم وآخره بناء على تمام الشهر السابق له من نقصانه وهكذا، وإذا نقصنا من هذا أربعة أيام سيكون أول يوم يحدث فيه هذا الاقتران هو في بداية اليوم الخامس والعشرين من رمضان؛ ولذلك وجدنا العديد من الأحاديث النبوية تركز على الليلة الخامسة والعشرين والسابعة والعشرين والتاسعة والعشرين دون غيرها<sup>١٤١</sup>، ففي حديث أبي هريره رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "في ليلة القدر: إنها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى"<sup>١٤٢</sup>.

والخلاصة أن هذا الحدث الفلكي هو حدث عالمي ويختلف توقيته قليلا من مكان لآخر وهو ما يجعل ليلة القدر في العام الواحد ثابتة تقريبا، فتكون في مكان ما

وترية وتكون عند آخرين ليلة زوجية، تبعاً لاختلاف المطالع والتي تجعل البعض يصوم متأخراً بمقدار يوم عن البعض الآخر، أما ليلة القدر لها ميعاد ثابت ولن يغير الله هذا الموعد من أجل الخطأ في معرفة دخول الشهر.

وعليه فإن ليلة القدر من الممكن أن تكون ليلة وترية أو زوجية، وهو ما لا يمثل تناقضاً مع الأحاديث نظراً لاختلاف أوقات الصيام

## الهوامش والتعليقات:

- ١ متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة ١٣/٢ برقم (٩٣٥) وفي مواضع أخرى من صحيحه. ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الجمعة، باب في الساعة التي في يوم الجمعة برقم ٥٨٣/٢، ٥٨٤ برقم (٨٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
- ٢ قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام ١/ ٤٥
- ٣ تبين الحقائق للزيلعي ٢/ ٢٦؛ النوازل الكبرى للوزاني، حاشية الجمل ٢/ ٤٥٤.
- ٤ رواه البخاري في صحيحه في كتاب فضل ليلة القدر. باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر ٣/٤٧ برقم (٢٠٢١) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الصيام. باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعاً لرمضان ٢/٨٢٣ برقم (١١٦٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. ورواه البخاري في صحيحه في كتاب الصيام. باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر ٣/٤٦ برقم (٢٠١٦)، وفي مواضع أخرى. ومسلم في صحيحه في كتاب الصيام. باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعاً لرمضان ٢/٨٢٤ - ٨٢٦ برقم (١١٦٧). كلاهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. ورواه النسائي في السنن الكبرى ٣/٤٠٠ برقم (٣٣٨٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢/٢٤٩ برقم (٨٦٦١) من حديث أبي بكرة الثقفي رضي الله عنه، وقد روي عن غيرهم من الصحابة.
- ٥ قال ابن عطية في تفسير قوله تعالى: فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْراً - لا أحفظ خلافاً أنها الملائكة، ومعناه أنها التي تدبر الأمور التي سخرها الله تعالى وصرفها فيها كالرياح، والسحاب، وسائر مخلوقات. انتهى. وقال البغوي: فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْراً - قال ابن عباس: هم الملائكة، وكُلُوا بأمر عرفهم الله عز وجل العمل بها... اهـ. وقال ابن عثيمين: فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْراً - أيضاً وصف للملائكة، تدبر الأمر، وهو واحد الأمور يعني أمور الله عز وجل لها ملائكة تدبرها، فجبرائيل موكل بالوحي يتلقاه من الله وينزل به على الرسل، وإسرافيل موكل بنفخ الصور الذي يكون عند يوم القيامة ينفخ في الصور فيفزع الناس ويموتون، ثم ينفخ فيه أخرى فيبعثون، وهو أيضاً من حملة

العرش، وميكائيل موكل بالقطر وبالمطر والنبات، وملك الموت موكل بالأرواح، ومالك موكل بالنار، ورضوان موكل بالجنة، وعن اليمين وعن الشمال قعيد موكل بالأعمال، كلٌّ يدبر ما أمره الله عز وجل به. انظر: تفسير ابن عطية ٥ / ٣٦٠.

- ٦ اسرافيل: هو ملك أوكل الله إليه النفخ في الصور. انظر: عالم الملائكة الأبرار، ص ٩٩.
- ٧ ميكال او ميكائيل: ملك أوكل الله إليه الغيث الرحمة القطر الماء الذي به حياة الناس. انظر: عالم الملائكة الأبرار، ص ٩٩، ١٠٠.
- ٨ عزرائيل: هو الملك الموكل بقبض الأنفس. ولم يرد النص على إسم عزرائيل صراحة سواء في القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف. وإنما ورد ذكره بمسمى ((ملك الموت)). ولكن السلف حصلوا على إسمه لاحقاً من الأثر والإسرائيليات. انظر: عالم الملائكة الأبرار، ص ١٠٢.
- ٩ جبريل: ملك أوكل إليه مهمة الوحي، فإذا كان ميكال مهمته ما فيه حياة الناس المعيشية، فإن جبريل مهمته ما فيه حياة الناس القلبية وهي حياة الإيمان، فهو الذي ينزل بالوحي عليه الصلاة والسلام. انظر: تاب عالم الملائكة الأبرار، ص ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، كتاب الحباثك في أخبار الملائك للسيوطي ص ١٠.
- ١٠ ذكره البخوي في تفسيره ٧/ ٢٢٨.
- ١١ انظر: أحكام القرآن للجصاص ٥ / ٣٧٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠ / ١٣٠.
- ١٢ هو: موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة بن مقدام من ذرية سالم بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي المقدسي الجماعيلي والدمشقي الصالحي أحد أئمة وشيوخ المذهب الحنبلي ولد بجماعيل (تسمى اليوم جماعين) من عمل نابلس في فلسطين سنة ٥٤١ هـ، من مؤلفاته: عمدة الفقه، المقنع، الكافي في فقه الامام أحمد بن حنبل، المغني: وهو أكبر كتبه ومن كتب الإسلام المعدودة، وفي يوم الفطر عام ٦٢٠ هجرية ودفن في دمشق. انظر: مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ٨/ ٦٢٧، معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/ ١١٣، سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٢/ ١٦٥، الأعلام للزركلي ٤ / ٦٧.
- ١٣ المغني ٣ / ٦٠. وانظر ما تقدم كله في الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٥ / ٣٦٠ - ٣٦١

- ١٤ هو زكريا يحيى بن شرف الحزامي النووي الشافعي (٦٣١ هـ - ١٢٣٣ م / ٦٧٦ هـ - ١٢٧٧ م) المشهور باسم "النووي" هو مُحدِّثٌ وفقهٌ ولغويٌ مسلم، اشتهر بكتبه وتصانيفه العديدة في الفقه والحديث واللغة والتراجم، كرياض الصالحين والأربعين النووية ومنهاج الطالبين والروضة، ويوصف بأنه محرِّر المذهب الشافعي، للإمام النووي الكثير من المؤلفات، مع أنه عاش نحو ست وأربعين سنة فقط ومنها: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، روضة الطالبين وعمدة المفتين (في الفقه) وغيرها. انظر: الامام النووي، عبد الغني الدقرص ١٩ - ٢٤، الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، ج ٨ ص ١٤٩.
- ١٥ المجموع ٦ / ٤٩٤. وانظر: الفروع ٣ / ١٤١، إعلام الموقعين ٤ / ٢٢٨، طرح التثريب ٤ / ١٤٨. ولعله يشير بقوله "من يعتد بقوله" إلى قول الشيعة والروافض الذين قالوا: إنها رفعت أصلاً ورأساً. انظر - بالإضافة إلى المصادر السابقة - البحر الزخار ٣ / ٢٧٦ - ٢٧٧.
- ١٦ متفق عليه. رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان. باب قيام ليلة القدر من الإيمان. ١٦/١ برقم (٣٥) وفي مواضع آخر. ورواه مسلم في كتاب الصيام. باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح ١/٥٢٣ برقم (٧٥٩)، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.
- ١٧ متفق عليه. رواه البخاري في صحيحه في كتاب فضل ليلة القدر. باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر ٣/٤٦ برقم (٢٠١٧)، ٣/٤٧ برقم (٢٠٢٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب الصيام. باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعاً لرمضان ٢/٨٢٨ برقم (١١٦٩). كلاهما عن عائشة رضي، واللفظ للبخاري.
- ١٨ مرثد بن أبي مرثد صحابي جليل، اسمه مرثد بن كنان الغنوي، هاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا وأحداً. كان من أمراء السرايا، وكان رجلاً شديداً يحمل الأسرى من مكة إلى المدينة، واستشهد مرثد في غزوة الرجيع مع عاصم بن ثابت، سنة ثلاث للهجرة. انظر: اسد الغابة في معرفة الصحابة ١ / ٦٥.
- ١٩ أخرجه النسائي في السنن الكبرى في كتاب الاعتكاف. باب ليلة القدر في كل رمضان ٣/٤٠٧ برقم (٣٤١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى ٤/٥٠٥ برقم (٨٥٢٥)، وفي شعب الإيمان

٢٥٨/٥ برقم (٣٣٩٨)، وابن حبان في صحيحه في كتاب الصيام باب فضل ليلة القدر  
٢٥٨/٥ برقم (٣٣٩٨)، وابن أبي شيبه في المصنف ٢ / ٣٢٤ برقم (٩٥١٣).

وقال الهيثمي في المجمع ٣/ ١٧٧: "رواه البزار. ومرثد هذا لم يرو عنه غير أبيه مالك، وبقية  
رجال ثقاة".

٢٠ رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/ ٢٢) وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٠٧). وانظر  
الدر المنثور (٥/ ٧٣٩).

٢١ تفسير القرطبي ٢٠ / ١٣٣، الموسوعة الفقهية ٣٥ / ٣٦١.

٢٢ أخرجه أحمد في مسنده ١٦/ ٤٢٨، وابن خزيمة في صحيحه ٣/ ٣٢٣ برقم (٢١٩٤)، وأبو داود  
الطيالسي في مسنده ٤/ ٢٧٧ برقم (٢٦٦٨)، والطبراني في الأوسط ٣/ ٧٢ برقم (٢٥٢٢)،  
١٧٩/٥ برقم (٤٩٣٧). كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه. وحسنه الحافظ ابن حجر في  
إتحاف الخيرة المهرة ٣/ ١٣٠ (٢٣٦٨)، والألباني في الصحيحة ٥/ ٢٤٠ (٢٢٠٥). وقال  
الهيثمي في المجمع ٣/ ١٧٦ (٢٠٤٢): رجاله ثقاة.

٢٣ الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم، ويقال أبو محمد، الخراساني، عثر الضحاك بن  
مزاحم من الطبقة الخامسة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم صغار التابعين ورتبته  
عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر صدوق كثير الإرسال،  
وعند الإمام شمس الدين الذهبي وثقه أحمد وابن معين، وقال شعبة: كان عندنا ضعيفا، توفي  
في بعد ١٠٠ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٩ / ٤٨٠.

٢٤ مُجاهد بن جبر ٢١-١٠٤ هـ مولى السائب بن أبي السائب المخزومي القرشي هو إمامٌ وفقه  
وعالمٌ ثقة وكثير الحديث، وكان بارعاً في تفسير وقراءة القرآن الكريم والحديث النبوي. وله  
كتاب في التفسير ويقول بعض المفسرين أن من منهجه في ذلك الكتاب أنه كان يسأل أهل  
الكتاب ويقيده فيه ما يأخذه عنهم، وما يذكر عنه أنه كان شغوفاً بالغرائب والأعاجيب  
ولأجل ذلك فقد ذهب إلى بئر برهوت في حضرموت ليتقصى ما علمه عنه، كما أنه بنفس  
هذا الدافع ذهب إلى بابل يبحث بها عن هاروت وماروت. انظر: سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٥٠.

- ٢٥ تفسير القرطبي ٢٠ / ١٣٤ .
- ٢٦ ينظر: الفواكه الدواني ١ / ٣٧٨
- ٢٧ ينظر: المجموع ٦ / ٤٨٨، فتح الباري ٤ / ٢٦٣
- ٢٨ ينظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٢ / ٤٧٧ .
- ٢٩ أخرج الإمام مالك في الموطأ ١ / ٣٢١ (١٥) في الاعتكاف، باب ما جاء في ليلة القدر. وعنه البيهقي في شعب الإيمان ٥ / ٢٥٦ (٣٣٩٥)، وفي فضائل الأوقات ص ٢٠٨ .
- قال الإمام ابن عبد البر في التمهيد ٢٤ / ٣٧٣: "لا أعلم هذا الحديث يروى مسنداً من وجه من الوجوه ولا أعرفه في غير الموطأ مرسلًا ولا مسنداً وهذا أحد الأحاديث التي انفرد بها مالك ولكنها رغائب وفضائل وليست أحكاماً ولا بنى عليها في كتابه ولا في موطئه حكماً". قال الزرقاني في "شرح الموطأ" (٢ / ٣٢٥): قال السيوطي: ولهذا شواهد من حيث المعنى مرسلة، وذكر له شاهدين أحدهما عن علي بن عروة مرسلًا، والثاني عن مجاهد مرسلًا أيضاً.
- ٣٠ ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٦٢٩، وعزاه لابن أبي حاتم.
- ٣١ هو تقي الدين أحمد ابن تيمية ولد في ١٠ ربيع الأول ٦٦١ هـ أحد علماء المذهب الحنبلي وله مساهماته في كل من الفقه والحديث والعقيدة وأصول الفقه والفلسفة والمنطق والفلك، دخل السجن في شهر شعبان سنة ٧٢٦ هـ بسبب مسألة المنع من السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ومات في ليلة يوم الإثنين لـ ٢٠ من ذي القعدة سنة ٧٢٨ هـ. ولم يعلم أكثر الناس بمرضه حتى فوجئوا بموته. انظر: ذيل العبر، الإمام الذهبي، ص ٨٤، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين. نعمان خير الدين بن محمود آلوسي ص ١٧. البداية والنهاية لابن كثير ١٣ / ٢٦٨ .
- ٣٢ مجموع الفتاوى ٢٥ / ٢٨٦ .
- ٣٣ زاد المعاد في هدي خير العباد ١ / ٥٨ - ٥٩ .
- ٣٤ المجموع ٦ / ٤٨٨ .
- ٣٥ تقدم تخريجه .

- ٣٦ انظر: المبسوط ٣ / ١٢٨؛ أحكام القرآن لابن العربي ٤ / ٤٣٣، روض الطالب ١ / ٤٢١.
- ٣٧ انظر: نهاية المحتاج ٣ / ٢١٥؛ روض الطالب ١ / ٤٢١؛ حاشية الصاوي على الشرح الصغير ١ / ٧٣١.
- ٣٨ أخرجه أحمد ٣٧ / ٤٢٥ برقم (٢٢٧٦٥)، والطبراني في مسند الشاميين ٢ / ١٦٦ برقم (١١١٩)، والضياء المقدسي في المختارة ٨ / ٢٧٩. قال الهيثمي في المجمع ٢ / ١٧٥ (٥٠٤١): رجاله ثقات. وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة: ٩ / ٣٩٣.
- ٣٩ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢ / ٣٢٦ برقم (٩٥٢٩) بلفظ «تحروا ليلة القدر لتسع تبقى، تحروها لسبع تبقى، تحروا لإحدى عشرة، تبقى صبيحة بدر، فإن الشمس تطلع كل يوم بين قرني شيطان إلا صبيحة بدر»، وابن الأعرابي في معجمه ٢ / ٤٧٦ برقم (٩٢٣).
- ٤٠ انظر: نهاية المحتاج ٣: ٢١٥؛ روض الطالب ١ / ٤٢١.
- ٤١ انظر: حاشية الصاوي على الشرح الصغير ١ / ٧٣١.
- ٤٢ صحيح الجامع / ٥٤٧٢.
- ٤٣ صحيح الجامع / ٥٤٧٥.
- ٤٤ وفيه إشارة إلى أن ليلة القدر تكون في أواخر الشهر؛ لأن القمر يكون كذلك عند طلوعه في أواخر الشهر. شرح النووي ٨ / ٣١٤. انظر في علامات ليلة القدر: فتح الباري لابن حجر، ٤ / ٢٦٠.
- ٤٥ الفواكه الدواني ١ / ٣٢٥.
- ٤٦ سبل السلام ١ / ٥٩٧.
- ٤٧ مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٥ / ٢٨٦.
- ٤٨ المجموع شرح المهذب ٦ / ٤٤٩ - ٤٥٠.
- ٤٩ تقدم تخريجه

50 <http://mandabpress.com/story/2015-7-7/13460>

51 <http://www.alyaum.com/article/3024809>

52 <http://www.tanomah.com/article-action-s-id-2624.htm>

- ٥٣ المصدر السابق. وسيأتي لاحقا التفسير العلمي لهذه الظاهرة في المطلب الخامس.
- ٥٤ <http://www.panorientnews.com/news.php?k=1865>
- ٥٥ قال ذلك في حديث خاص لو وكالة بان أورينت نيوز PanOrient News
- ٥٦ تقدم تخريجه.
- ٥٧ ومن الطريف ملاحظته أن عدد الشهب في شهر رمضان خلال هذه السنوات هو الأكثر على مدار العام! وبالطبع إن عدد الشهب الذي يسقط على الأرض أكثر بكثير جدا مما رصدته هذه الكاميرا، فهي سجلت ما تمت رؤيته من منطقة الكاميرا فقط. انظر: مركز الفلك الدولي <http://www.icoproject.org/rumors.html>
- ٥٨ انظر: حاشية ابن عابدين ٢ / ١٣٧، تبين الحقائق ١ / ٣٤٨.
- ٥٩ انظر: الحاوي الكبير للماوردي ٣ / ٤٨٤؛ المجموع ٦ / ٤٦١.
- ٦٠ انظر: حاشية الصاوي ١ / ٧٣١.
- ٦١ انظر: لطائف المعارف ص ١٨٤ - ١٩٣.
- ٦٢ انظر: تبين الحقائق ١ / ٣٤٨، المجموع ٦ / ٤٩٥، روض الطالب ١ / ٤٢١، فتح الباري ٤ / ٢٦٨.
- ٦٣ فتح الباري ٤ / ٢٦٨.
- ٦٤ أحمد بن محمد الصّاوي المالكي الخلوّتي، فقيه مالكي، وأحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة. ولد في قرية صا الحجر الواقعة ما بين مدينتي دسوق وبسيون وتطل على نهر النيل، وتوفي في المدينة المنورة، من مؤلفاته: غة السالك لأقرب المسالك، وهي حاشية على الشرح الصغير لأقرب المسالك للشيخ أحمد الدردير في الفقه المالكي، حاشية على تفسير الجلالين. انظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج ٢، ص ١١١.
- ٦٥ انظر: حاشية الصاوي ١ / ٧٣١.
- ٦٦ انظر: درر الحكام لملا خسرو ١ / ١١٧، رد المختار ٢ / ١٣٧.
- ٦٧ انظر: الفواكه الدواني ١ / ٣٧٨

- ٦٨ انظر: مغني المحتاج ١ / ٤٥٠، دليل الفالحين ٣ / ٦٥٤، فتح الباري ٤ / ٢٥٥ وما بعدها. المجموع ٦ / ٤٨٨، إحكام الأحكام ٢ / ٤٠.
- ٦٩ لطائف المعارف ص ١٨٤ - ١٩٣
- ٧٠ متفق عليه. رواه البخاري في صحيحه في كتاب فضل ليلة القدر باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر ٣ / ٤٦ برقم (٢٠١٨)، ومسلم في كتاب الصيام باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعاً لرمضان ٢ / ٨٢٤ برقم (١١٦٧)
- ٧١ متفق عليه. رواه البخاري في صحيحه في كتاب فضل ليلة القدر باب العمل في العشر الأواخر من رمضان ٣ / ٤٧ برقم (٢٠٢٤)، ومسلم في كتاب الاعتكاف باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان ٢ / ٨٣٢ برقم (١١٧٤)
- ٧٢ لطائف المعارف ص ١٨٤ - ١٩٣
- ٧٣ تقدم تخرجه.
- ٧٤ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ص ١٨٤ - ١٩٣
- ٧٥ الحديث أورده - بهذا اللفظ - الضياء المقدسي في السنن والأحكام (٣ / ٥٢٨ / ٣٨٤٣، ط. عكاشة) وأخرجه ابن أبي عاصم وإسناده مقارب، قال ابن رجب: وفي إسناده ضعف.
- ٧٦ خرج ابن أبي عاصم. لطائف المعارف ص ١٨٤ - ١٩٣.
- ٧٧ هو سيد من سادات التابعين اسمه أيوب بن أبي تميمة، واسمه كيسان السخيتاني العنزي أبو بكر البصري مولى قبيلة عنزه بن ربيعة، وكان محمد بن سيرين إذا حدثه أيوب بالحديث يقول: حدثني الصدوق، قال الذهبي: اتفقوا على أنه توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة بالبصرة زمن الطاعون، وله ثلاث وستون سنة. انظر: سير اعلام النبلاء ٦ / ١٦.
- ٧٨ هو أبو سلمة حماد بن سلمة حماد بن سلمة البصري (؟-١٦٧ هـ) شيخ الإسلام، إمام في الحديث وإمام في النحو، مولى آل ربيعة بن مالك وقيل مولى غيرهم، وابن أخت حميد الطويل. انظر: سير أعلام النبلاء ٧ / ٤٤٥

- ٧٩ هو ثابت البناني إسمه ثابت بن أسلم البناني، أبو محمد البصري كنيته أبو محمد من الطبقة الرابعة من طبقات رواة الحديث النبوي، ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر ثقة عابداً، وعند الإمام شمس الدين الذهبي كان رأساً في العلم والعمل. انظر: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف - ٧ / ١٠٠٢١ - ١١١٨٠
- ٨٠ هو حميد بن أبي حميد الطويل البصري، أبو عبيدة الخزاعي ويقال السلمي ن الطبقة الخامسة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم صغار التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر ثقة مدلس، و عابه زائدة لدخوله في شيء من أمر الأمراء، وعند الإمام شمس الدين الذهبي وثقوه، يدللس عن أنس. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٧ / ٣٦٥.
- ٨١ ذكره في لطائف المعارف ص ١٨٤ - ١٩٣.
- ٨٢ ولفظ حديث عائشة: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان رمضان قام ونام فإذا دخل العشر شد المئزر واجتنب النساء واغتسل بين الأذنين وجعل العشاء سحوراً"، أخرجه ابن أبي عاصم وإسناده مقارب. وحديث أنس خرج الطبراني ولفظه: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الآخر من رمضان طوى فراشه واعتزل النساء وجعل عشاءه سحوراً" وفي إسناده حفص بن واقد، قال ابن عدي: هذا الحديث من أنكر ما رأيت له، وروي أيضاً نحوه من حديث جابر خرج أبو بكر الخطيب وفي إسناده من لا يعرف حاله.
- ٨٣ لطائف المعارف ص ١٨٤ - ١٩٣
- ٨٤ تقدم تخريجه
- ٨٥ لطائف المعارف ص ١٨٤ - ١٩٣
- ٨٦ أخرجه الحافظ أبو نعيم بإسناد فيه ضعف.
- ٨٧ ورد الترغيب في إيقاظ أحد الزوجين صاحبه للصلاة ونضح الماء في وجهه، وفي الموطأ أن عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله

للصلاة يقول لهم: الصلاة الصلاة ويتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] الآية.

- ٨٨ لطائف المعارف ص ١٨٤ - ١٩٣
- ٨٩ أخرجه البخاري، باب الاعتكاف في العشر الأوسط (ح ٢٠٤٤)
- ٩٠ لطائف المعارف ص ١٨٤ - ١٩٣
- ٩١ رواه البخاري (٤ / ٩٩) في الصوم، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً، ومسلم رقم (٧٥٩) في صلاة المسافرين،
- باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح وفي الإيمان، باب قيام ليلة القدر من الإيمان.
- ٩٢ فتح الباري ٤/٢٥١، المجموع ٦ / ٤٨٨، أحكام الأحكام ٢ / ٤٠
- ٩٣ أخرجه أحمد في مسنده ٤٢/٣١٥ برقم (٢٥٤٩٥) وفي مواضع أخر، والترمذي في سننه في أبواب الدعوات ٥/٥٣٤ برقم (٣٥١٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه في كتاب الدعاء باب الدعاء بالعفو والعافية ٢/١٢٦٥ برقم (٣٨٥٠)، والنسائي في السنن الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة باب ما يقول إذا وافق ليلة القدر ٩/٣٢٢ برقم (١٠٦٤٢) ورواه في مواضع أخر. والحاكم في المستدرک ١/٧١٢ برقم (١٩٤٢) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه"
- ٩٤ انظر: مغني المحتاج ١ / ٤٥٠؛ دليل الفالحين ٣ / ٦٥٤.
- ٩٥ انظر: المجموع ٦ / ٤٩٠ - ٤٩١، شرح البهجة ٢ / ٢٢٥.
- ٩٦ لطائف المعارف ص ١٨٤ - ١٩٣.
- ٩٧ انظر: حاشية الدسوقي ١ / ٥٥١، الفواكه الدواني ١ / ٣٢٥.
- ٩٨ انظر: روض الطالب ١ / ٤٢١، تحفة المحتاج ٣ / ٤٦٣، مغني المحتاج ٢ / ١٨٩.
- ٩٩ انظر: سبل السلام ١ / ٥٩٧.
- ١٠٠ انظر: الفواكه الدواني ١ / ٣٢٥.

- ١٠١ انظر: سبل السلام ١ / ٥٩٧.
- ١٠٢ انظر: تفسير القرطبي ٢٠ / ١٣٥، والفواكه الدواني ١ / ٣٧٨.
- ١٠٣ انظر: فتح الباري ٤ / ٢٥١ - ٢٦٣، ٢٦٧، ٢٦٨، ودليل الفالحين ٣ / ٦٤٩، والمجموع ٦ / ٤٥٨، ٤٤٨
- ١٠٤ انظر: المغني ٣ / ١٧٩
- ١٠٥ انظر: حاشية ابن عابدين ٢ / ١٣٧.
- ١٠٦ انظر: المبسوط ٣ / ١٢٨.
- ١٠٧ رواه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح ١ / ٥٢٥ برقم (٧٦٢)، وفي كتاب الصيام باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعاً لرمضان ٢ / ٨٢٨، ورواه أحمد في مسنده ٣٥ / ١٢١ برقم (٢١١٩٣) وفي مواضع أخرى، والترمذي في سننه في أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة ليلة القدر ٥ / ٤٤٥ برقم (٣٣٥١)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».
- ١٠٨ انظر: احكام القرآن لابن العربي ٤ / ٣٧٣.
- ١٠٩ انظر: روض الطالب ١ / ٤٢٠، مغني المحتاج ٢ / ١٨٩.
- ١١٠ كشف القناع ٢ / ٣٤٤، مطالب اولي النهي ٢ / ٢٢٥.
- ١١١ انظر: البحر ٢ / ٣٢٩، رد المختار ٢ / ٤٥٢.
- ١١٢ انظر: المجموع ٦ / ٤٨٨، شرح البهجة ٢ / ٢٢٣.
- ١١٣ مغني المحتاج ٢ / ١٨٩.
- ١١٤ انظر: المبسوط ٣ / ١٢٨.
- ١١٥ انظر: احكام القرآن لابن العربي ٤ / ٣٧٣، المنتقى ٢ / ٨٧، منح الجليل ٢ / ١٨٢.
- ١١٦ انظر: الفروع ٣ / ١٤١، الأنصاف ٣ / ٣٥٥، كشف القناع ٢ / ٣٤٥.

١١٧ أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان الفقيه الحنفي المعروف بالقُدُوري انتهت إليه رئاسة الحنفية بالعراق وكان حسن العبارة في النظر وسمع الحديث وروى عنه أبو بكر الخطيب صاحب التاريخ وصنف في مذهبه المختصر المشهور وغيره. سير أعلام النبلاء ١٧ / ٥٧٥.

١١٨ انظر: ١ / ٩٨.

١١٩ انظر: فتح الباري ٤ / ٢٦٣.

١٢٠ رواه الطبراني في الكبير ١٣٥/٥ برقم (٤٨٦٥). عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه أنه كان يجي ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان وليلة سبع وعشرين ولا كإحيائه ليلة سبع عشرة فقبل له: كيف تخص ليلة سبع عشرة؟ فقال: «إن فيها نزل القرآن وفي صبيحتها فرق بين الحق والباطل وكان فيها يصبح مبهج الوجه»

١٢١ رواه عنه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢/٢٥١ برقم (٨٦٨٠) ولفظه «التمسوا ليلة القدر، ليلة سبع عشرة، فإنها صبيحة بدر يوم الفرقان يوم التقى الجمعان»

١٢٢ انظر: فتح الباري ٤ / ٢٦٣

١٢٣ فتح الباري ٤ / ٣٦٣.

١٢٤ تفسير القرطبي ٢ / ١٣٥، الفواكه الدواني ١ / ٣٧٨، والقوانين الفقهية ص ٨٥.

١٢٥ المغني ٣ / ١٨٢، وكشاف القناع ٢ / ٣٤٤ - ٣٤٥

١٢٦ المجموع ٦ / ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٩، فتح الباري ٤ / ٢٦٥

١٢٧ المجموع ٦ / ٤٨٩.

١٢٨ انظر: المغني ٣ / ٦٢.

١٢٩ تقدم تخريجه.

١٣٠ رواه الطبراني وصححه الألباني في الصحيح الجامع ١٢٤٠.

١٣١ رواه محمد بن نصر وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٢٣٨.

١٣٢ رواه أحمد في المسند حديث رقم ١٠٧٣٤، قال الأرئؤوط: إسناده محتمل للتحسين، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٢٢٠٥

١٣٣ رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال أحمد رجال الصحيح.

١٣٤ تقدم تخريجه.

١٣٥ سباحة فضائية في آفاق الفلك ص ٤٦، الاثار الباقية من القرون الخالية للبيروني ص ٧٥.

١٣٦ / ٢ / ١٣ - ١٤، ٥٤ - ٥٥.

١٣٧ ونتيجة لهذه الحركة كانوا يظنونها في الحضارات القديمة نجمين مختلفين وأطلقوا عليهما نجمة الصباح ونجمة المساء..!، وظاهرة الاقتران تساعد العلماء على تصحيح الحسابات الفلكية ولا سيما حركة الكواكب. انظر: تفسير الميزان للطببائي ٧ / ١٦٠، مبادئ علم الفلك ص ٢٨٥، نتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الاسلام محمود باشا الفلكي ص ٧٥.

١٣٨ رواه ابن حبان في صحيحه حديث رقم ٣٦٨٨، وقال الأرئؤوط: حديث صحيح.

١٣٩ علم الفلك العام ص ١٨٦.

١٤٠ حركة القمر الوسطى اليومية هي ٢, ١٢ درجة باعتبار الشهر ٥٣, ٢٩.

١٤١ انظر: علم الفلك العام ص ١٨٦، نتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الاسلام محمود باشا الفلكي ص ٧٥، سباحة فضائية في آفاق الفلك ص ٤٦، الاثار الباقية من القرون الخالية للبيروني ص ٨٣، بحار الأنوار ١٨ / ١٨٩، برنامج Redshift أحد برامج محاكاة السماء.

١٤٢ تقدم تخريجه.

## مراجع البحث

- ١- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني، المتوفى سنة ١٤٢٠هـ، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٢- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرادوي الدمشقي الصالح الحنبلي، المتوفى سنة: ٨٨٥هـ، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد حاند الفقهي.
- ٣- أحكام القرآن، للقاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، المتوفى سنة ٥٤٣هـ، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا. - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م. - دار الفكر، لبنان.
- ٤- أسنى المطالب في شرح روض الطالب، لزكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبي يحيى السنيكي المتوفى سنة ٩٢٦هـ. - دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق د. محمد محمد تامر، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٠ م. - دار الكتاب الإسلامي.
- ٥- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى سنة ٨٤٠هـ)، تحقيق عادل بن سعد و السيد بن محمود بن إسماعيل، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٨ م.
- ٦- الاثار الباقية من القرون الخالية ٠- القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٨.
- ٧- الامام النووي، عبد الغني الدقر، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، دار القلم، دمشق
- ٨- الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان
- ٩- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري المتوفى سنة ٩٧٠هـ. - دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ. وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري المتوفى بعد سنة ١١٣٨هـ. وبالْحاشية: منحة الخالق لابن عابدين. - دار المعرفة، بيروت.

- ١٠- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، لعثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي، المتوفى سنة ٧٤٣ هـ، مع حاشية الشليبي. - المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة: ١٣١٣ هـ. - دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٣١٣ هـ. - دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. - دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة
- ١١- تحفة المحتاج في شرح المنهاج، لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الانصاري، شهاب الدين شيخ الاسلام، أبي العباس، الشافعي، المصري، المولد في محلة أبي الهيثم (من إقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته، المتوفى سنة ٩٧٤ هـ، مطبعة دار إحياء التراث العربي.
- ١٢- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هـ. عني بتصحيحه وتنسيقه والتعليق عليه عبد الله هاشم اليماني المدني، بيروت، تصوير دار المعرفة، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- ١٣- جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، الطبري، المتوفى سنة ٣١٠ هـ. - مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، المحقق: أحمد محمد شاكر. - دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر. - دار الفكر، بيروت. - مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- ١٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، المتوفى سنة: ٤٣٠ هـ، دار السعادة، بجوار محافظة مصر، طبعة سنة: ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م، وصورتها عدة دور منها: ١ - دار الكتاب العربي - بيروت. ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. ٣ - دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة سنة: ١٤٠٩ هـ.
- ١٥- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ: - دار الفكر. - دار إحياء الكتب العربية لعيسى الحلبي وشركائه.

- ١٦- حاشية الجمل = فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب
- ١٧- فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب (هو شرح للمؤلف على كتابه هو منهج الطلاب الذي اختصره المؤلف من منهاج الطالبين للنووي)، لذكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، المتوفى ٩٢٦هـ. دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- ١٨- ذيل العبر، الإمام الذهبي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت
- ١٩- رد المحتار على الدر المختار، (حاشية ابن عابدين)، لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، المتوفى سنة: ١٢٥٢هـ. - مصطفى الباي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م - دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. - دار الكتب العلمية. - دار إحياء التراث العربي.
- ٢٠- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى المتوفى سنة: ٢٧٩هـ - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي - مصر، الطبعة الثانية، سنة: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥). - تحقيق وشرح الشيخ أحمد محمد شاكر، بيروت، دار إحياء التراث العربي. - دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة: ١٩٩٨م، تحقيق: بشار عواد معروف. - حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ٢١- سنن النسائي أو المجتبى من السنن، أو السنن الصغرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، اعتنى به ورقمه وصنع فهرسه، الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م. - دار الفكر، بيروت، سنة ١٣٩٨هـ.
- ٢٢- السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المتوفى سنة ٣٠٣هـ. دار الكتب

العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩١، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن

٢٣- السنن الصغير للبيهقي، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي - باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٢٤- سباحة فضائية في افق علم الفلك - الكويت - مكتبة العجيري ١٩٩٩.

٢٥- شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبي بكر البيهقي، المتوفى سنة: ٤٥٨هـ. - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند. - دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٠، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

٢٦- صحيح مسلم أو الجامع الصحيح والمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦١هـ، - دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

٢٧- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبُد، التميمي، أبي حاتم، الدارمي، البُستي، المتوفى سنة: ٣٥٤هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، سنة: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٨- صحيح البخاري أو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي. - خدمه واعتنى به محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٢٢هـ. - تركيا، المكتبة الإسلامية، ١٩٨١م - مطبوع مع شرحه فتح الباري. نشر: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

- ٢٩- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبي عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي المتوفى سنة: ١٣٢٩هـ - دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، سنة: ١٤١٥هـ. ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته. - بيروت، دار الكتاب العربي، تصوير عن الطبعة الهندية.
- ٣٠- الفروع، لمحمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبي عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي، المتوفى سنة: ٧٦٣هـ، ومعه تصحيح الفروع للمرداوي: - مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. - مطبعة المنار، الطبعة الأولى، ١٣٣٩هـ - دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، تحقيق: أبو الزهراء حازم القاضي. - عالم الكتب.
- ٣١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجرالعسقلاني الشافعي. - دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. - دار الفكر (مصور عن الطبعة السلفية)، المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي. - دار الريان للتراث - القاهرة، سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م - المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- ٣٢- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لأحمد بن غنيم بن سالم النفراوي، المتوفى سنة ١١٢٦هـ - مكتبة الثقافة الدينية، المحقق: رضا فرحات - دار الفكر، سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٣٣- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، المتوفى سنة ٦٦٠هـ. - دار المعارف بيروت - لبنان، تحقيق: محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي. - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، طبعة جديدة مضبوطة منقحة سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩١م، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد. - المكتبة التجارية، القاهرة. - دار القلم، الطبعة الرابعة، سنة ١٤١٧هـ - دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٤- كشاف القناع عن متن الإقناع، لمنصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتي الحنبلي، المتوفى سنة ١٠٥١هـ: - دار الكتب العلمية. - دار الفكر - بيروت، ١٤٠٢ هـ، تحقيق: هلال مصيلحي. - عالم الكتب - بيروت، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٥- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م

٣٦- مسند الإمام أحمد، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المتوفى سنة ٢٤١هـ - مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. - مؤسسة قرطبة - القاهرة. مصر. - طبعة الميمنية.

٣٧- المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

٣٨- مسند ابن أبي شيبه، لأبي بكر بن أبي شيبه، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسبي العبسي، المتوفى سنة: ٢٣٥هـ، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزدي، دار الوطن - الرياض، الطبعة: الأولى، سنة: ١٩٩٧م.

٣٩- مسند البزار المشهور باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، المتوفى سنة: ٢٩٢هـ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، عادل بن سعد، صبري عبد الخالق الشافعي.

٤٠- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، المتوفى سنة: ٢٥٥هـ. - دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. - دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٠٧هـ،

- تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي - تخريج وتصحيح وتحقيق عبدالله هاشم يمانى، القاهرة، دار المحاسن للطباعة، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
- ٤١- المعجم الأوسط، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني، المتوفى سنة: ٣٦٠هـ - تحقيق: محمود الطحان، الرياض، مكتبة المعارف، الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م - تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
- ٤٢- المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠هـ، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبدالمجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية - مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقاً المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصمعي - الرياض / الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م) - مكتبة الزهراء، الموصل، تحقيق حمدي السلفي. - المجلد الثالث عشر والرابع عشر، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي - قطعة من المجلد الحادي والعشرين (يتضمن جزءاً من مسند النعمان بن بشير)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م
- ٤٣- المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسي العبسي، المتوفى سنة: ٢٣٥هـ. - مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٠٩هـ. تحقيق: كمال يوسف الحوت. - دار الفكر. - حققه وقوم نصوصه وخرج أحاديثه فضيله الشيخ محمد عوامة، دار القبلة، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ٤٤- مسند أبي داود الطيالسي، لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري، المتوفى: ٢٠٤هـ - دار هجر- مصر، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد

المحسن التركي. - دار المعرفة - بيروت - الهند، دائرة المعارف النظامية، الطبعة الأولى، ١٣٢١ هـ.

٤٥- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي، المتوفى سنة: ٨٤٠ هـ. - تحقيق وتعليق موسى محمد علي و عزت علي عطية، القاهرة، دار الكتب الإسلامية. - دار العربية - بيروت، الطبعة الثانية، سنة: ١٤٠٣ هـ، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي - دار الجنان، بيروت.

٤٦- معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المتوفى سنة: ٣٨٨ هـ، -المطبعة العلمية - حلب، الطبعة الأولى: ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م. - مطبعة السنة المحمدية، مع: مختصر سنن أبي داود، وتهذيب ابن القيم. - بيروت، تصوير دار المعرفة.

٤٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، المتوفى سنة ٨٠٧ هـ. - تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م - بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٤٨- المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المتوفى سنة ٦٧٦ هـ، دار الفكر، ومعها تكملة السبكي والمطيعي، مطبعة المنيرية.

٤٩- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لأبي محمد، موفق الدين، عبد الله بن أحمد، ابن قدامة المقدسي، المتوفى سنة ٦٢٠ هـ: - دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م. - مكتبة القاهرة، سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م - دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م. -

٥٠- مسند الإمام أحمد، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المتوفى سنة ٢٤١ هـ. - مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. - مؤسسة قرطبة - القاهرة. مصر. - طبعة الميمنية.

٥١- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، المتوفى سنة ٩٧٧هـ. - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م. - دار الفكر. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م - مصطفى البايي الحلبي وأولاده، سنة ١٣٣٧هـ - ١٩٥٨م.

٥٢- موطأ الإمام مالك، لأبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، المتوفى سنة ١٧٩هـ. - تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م - دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي. - موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري، بشار عواد معروف، محمود خليل، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ - موطأ مالك رواية محمد بن الحسن الشيباني، تعليق وتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية، الطبعة الثانية. - موطأ مالك رواية محمد بن الحسن الشيباني، تعليق وتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، تعليق وتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م - موطأ مالك رواية يحيى بن يحيى الليثي، إعداد أحمد راتب عرموش، دار النفائس، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م. - موطأ مالك رواية أبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم العتقي، تلخيص أبي الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري، المعروف بابن القاسمي، تحقيق وتعليق السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي الحسني، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٥٣- المبسوط، لشمس الأئمة أبي بكر محمد بن أبي سهل السرخسي. - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، تحقيق: خليل محي الدين الميس - دار المعرفة - بيروت، سنة: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م. - دار المعارف.

٥٤- المستدرک علی الصحیحین، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، المتوفى سنة ٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر

- عطا - وبذيلة التلخيص، للحافظ الذهبي، بيروت، دار محمد أمين دمج.
- ٥٥- المنتقى شرح الموطأ، لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، المتوفى سنة: ٤٧٤هـ - مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة الأولى: ١٣٣٢ هـ، ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - الطبعة الثانية. - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٣٣١هـ. - دار الفكر.
- ٥٦- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، طبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧هـ - الأجزاء ١ - ٢٣: الطبعة الثانية، دارالسلاسل - الكويت - الأجزاء ٢٤ - ٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفاة - مصر- الأجزاء ٣٩ - ٤٥: الطبعة الثانية، طبع الوزارة.
- ٥٧- مبادئ علم الفلك - القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٢٠١٠
- ٥٨- نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الأملعي في تخريج الزيلمي، لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلمي، المتوفى سنة: ٧٦٢هـ، زادة تصحيحاً ومقابلة بخطوطين الشيخ محمد عوامة، جده، دار القبلة، المنار للنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ٥٩- نتائج الافهام في تقويم العرب قبل الاسلام - محمود باشا الفلكي
- ٦٠- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي المتوفى سنة: ١٠٠٤هـ- دار الفكر، بيروت، سنة: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م - طبعة مصطفى البابي الحلبي.

## رابعاً: الثقافة الإسلامية



# الإِنْفَاقُ الخيري بين المسلمين وغيرهم

إعداد

د. عبدالرحمن بن عبدالله الخميس

الأستاذ المساعد بكلية التربية بشقراء

جامعة شقراء



## الإنفاق الخيري بين المسلمين وغيرهم د. عبدالرحمن بن عبدالله الخميس

### ملخص البحث

بالرغم من تلك النصوص المتضاربة في الكتاب والسنة على فضيلة الإنفاق في أوجه البر المختلفة، والجزاء المترتب على من فعل ذلك في الدنيا والآخرة، إلا أننا نجد تقاعساً كبيراً تجاه هذه الشعيرة من الشح والظن بالمال على الآخرين من قبل كثير من التجار ورجال الأعمال المسلمين، أو بعبارة أدق المفارقة الكبيرة بين ما يبذله الأغنياء من أعمال خيرية مقارنة بما يملكون من دخول ورؤوس أموال، مع ما يبذله الأغنياء من غير المسلمين وحبهم لخدمة مجتمعاتهم ومواساتهم للمحتاجين، بالرغم من عدم إيمانهم بالجزاء الدنيوي والأخروي المترتب على الإنفاق-غالباً-.

وفي هذا البحث محاولة للغور في أبعاد هذه الحقيقة، ومدى سلامتها أو صحتها! وما هو الدافع لكل فريق وراء هذا الإنفاق الخيري؟ وما هي المجالات التي يحرص عليها كل فريق؟ مع ذكر نماذج واقعية من كلا الفريقين، وماهي الأسباب التي أدت إلى وجود ذلك القصور لدى المسلمين، وكيف يمكننا معالجته؟ ثم ختمت البحث ببعض النتائج والتوصيات العملية.

### **The Concept of Charity Expense Between Muslims and others**

Although there are concerted verses and texts of Qura'an and Sunnah about the charity expense rewards in this world and the hereafter, we notice that the Muslim dealers and businessmen insufficiency in spending their money to others. In other words, the huge difference between what the rich Muslims expend to the charity comparing to their income, and the rich non-Muslims expending and love to serve their community and the needy people. Even though they often do not believe in the charity expense rewards from Allah in this world and the hereafter .

This research is an attempt to discover the reality of this fact. It looks for the motivation of each party behind their charity expense. Besides, what are the fields that each party is interested in? It also provides some real examples from each team. It discusses the reasons behind Muslims' dereliction, and how can we resolve it. This research is concluded with some results and practical recommendations.

## المقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد: فإن الله تعالى خلق الخلق ورزقهم، وفضل بعضهم على بعض في الرزق وفق علمه وحكمته، فهو سبحانه ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾<sup>(١)</sup>، والمؤمن يعلم علم اليقين أن المال الذي تحت يده إنما هو مال الله، ورزق منحه الله إياه كما قال تعالى: ﴿وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال سبحانه: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وأن الله تعالى جعلنا مستخلفين على هذا المال مدة معينة ثم يكون لمن بعدنا كما قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾<sup>(٤)</sup>، وهذا يجعل المؤمن خاضعاً لربه شاكراً لأنعمه بعيداً عن الأشر والبطر.

وحين ينكب الناس على حياتهم الدنيوية وينغمسون في ملذاتهم وشهواتهم يُصبح الحصول على المال غاية لا وسيلة، والإِنْفَاقُ في أوجه الخير فرع لا أصل، واستثناء لا قاعدة، وتبدأ بعض المبادئ الأصيلة والركائز النبيلة تغيب شيئاً فشيئاً عن المجتمعات المسلمة، كلما ازداد بعدهم عن المنهل الصافي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة صحبه الأخيار ومن تبعهم بإحسان في تاريخنا الإسلامي المجيد، في مقابل أن ينشط أغنياء في مجتمعات غير مؤمنة يبذلون أموالهم خدمة لمجتمعاتهم وإسهاماً في بنائها وتنميتها.

### مشكلة البحث:

بالرغم من تلك النصوص المتضاربة في الكتاب والسنة على فضيلة الإنفاق في أوجه البر المختلفة، والجزاء المترتب على من فعل ذلك في الدنيا والآخرة، وبالرغم من تلك النماذج المشرقة التي يزخر به تاريخنا الإسلامي منذ فجر النبوة في المسارعة إلى بذل الغالي والنفيس طاعة لمولاهم وخدمة لمجتمعاتهم، إلا أننا نجد تقاعساً كبيراً تجاه هذه الشعيرة من الشح والظن بالمال على الآخرين من قبل كثير من التجار ورجال الأعمال المسلمين، وبعبارة أدق نجد هناك مفارقة كبيرة بين ما يبذله الأغنياء من أعمال خيرية مقارنة بما يملكون من دخول ورؤوس أموال، مع ما يبذله الأغنياء من غير المسلمين خدمة لمجتمعاتهم، ومواساة للمحتاجين، بالرغم من عدم إيمانهم بالجزاء الدنيوي والأخروي المترتب على الإنفاق-غالباً-، وما ينتظر المنفق عند الله!، فما هو السر وراء هذه المباينة؟ وكيف يمكننا المقاربة بين الطرفين أو ردم الهوة بينهما؟

### حدود البحث:

ستكون حدود البحث-إن شاء الله- في تحرير حقيقة المباينة بين المسلمين وغيرهم في الإنفاق والبذل في أوجه البر من قبل أصحاب رؤوس الأموال ورجالات الأعمال في العصر الحاضر، وبخاصة في العقدين الأخيرين من تاريخ هذه الدراسة، وذلك بعقد المقارنات بين الفريقين وتبسيط الضوء على دوافع كلا الطرفين، وأوجه اهتماماتهما عند الإنفاق، مع ذكر نماذج حية من الطرفين على مستوى الأفراد والمؤسسات، وبخاصة النماذج النوعية ذات التكلفة الباهظة، ومن ثم نذكر الموازنة بين الفريقين، وأسباب المباينة بينهما-إن كان ثمة مباينة-.

### أهمية البحث وأسباب اختياره:

١. كثرة النصوص الواردة في الأمر بالإنفاق، وحث أهل الإيمان على البذل والإنفاق في وجوه البر المتنوعة بأساليب متنوعة في الكتاب والسنة.
٢. غياب أهم المعاني الإسلامية السامية بين المسلمين، والمتمثلة في تحقيق التلاحم والتآزر والإحساس برابطة الجسد الواحد وغيرها من المعاني التي غرسها النبي ﷺ في نفوس الصحابة رضي الله عنهم وغيبت عن كثير من المسلمين مع طغيان المادة، والانهماك في الدنيا وملذاتها.
٣. المكانة الرفيعة التي جعلها الله للمُنْفِق في وجوه البر.
٤. ضعف الإنفاق الخيري رغم ازدياد أعداد الأغنياء العرب والمسلمين ودخولهم في المنافسات العالمية في الثراء، في مقابل ازدياد عدد الفقراء المسلمين<sup>(٥)</sup>.
٥. ضعف ثقافة الإنفاق لدى كثير من المسلمين إلى حد قصرها على بناء المساجد وحفر الآبار وكفالة الأيتام، وإهمال أبواب كثيرة لا تقل أهمية عما ذكر كالصحة والتعليم ودعم مراكز الأبحاث العلمية، في مقابل الإنفاق السخي من قبل رجال الأعمال غير المسلمين على كافة الأصعدة الصحية والعلمية والدينية.

### أهداف البحث:

١. تأصيل فضيلة الإنفاق في وجوه البر على مختلف أنواعه، وتقريبها للناس بمختلف شرائحهم.
٢. حصر أهم أسباب التقاعس عن الإنفاق لدى أغنياء المسلمين، مع محاولة لإيجاد علاج لتلك الأسباب.
٣. عقد مقارنات بين ما يبذله أغنياء المسلمين مع ما يبذله الأغنياء من غيرهم.
٤. تبين المفهوم الواسع للإنفاق، ونشر هذه الثقافة لتكون هي السائدة لدى جميع أفراد المجتمع.
٥. تسليط الضوء على بعض النماذج المميزة أو النوعية في الإنفاق.

### أسئلة البحث:

١. ما هي أسباب تقاعس أغنياء المسلمين عن الإنفاق؟
٢. هل فعلاً رجل الأعمال غير المسلم يفوق رجل الأعمال المسلم -عموماً- في جانب الإنفاق الخيري؟
٣. إن كان ثمة مباينة كبيرة بين المسلم وغيره في جانب الإنفاق الخيري فكيف يمكننا أن نردم الهوة بين الجانبين؟
٤. ما هي دوافع الإنفاق الخيري لدى المسلمين وغيرهم؟
٥. ما هي أوجه الإنفاق والاهتمامات لدى المسلمين وغيرهم عند بذل الأموال؟
٦. كيف يمكننا ترسيخ ثقافة الإنفاق حتى تكون سائدة في المجتمع المسلم؟
٧. ما هي أبرز جوانب القصور في ثقافة الإنفاق لدى أفراد المجتمع المسلم؟

### منهج البحث وخطته:

- منهج البحث قائم على المنهج التحليلي الوصفي.
- وأما خطته فتحوي هذه المقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.
- التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات البحث، وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: معنى الإنفاق لغة واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: الموازنة بين الإنفاق والصدقة والتبرع.
- المطلب الثالث: الإنفاق في الكتاب والسنة.
- المبحث الأول: الإنفاق لدى المسلمين، وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: دوافع الإنفاق لدى المسلمين.
- المطلب الثاني: نماذج للإنفاق لدى المسلمين قديماً وحديثاً.

المطلب الثالث: مجالات الإنفاق لدى المسلمين.

المبحث الثاني: الإنفاق لدى غير المسلمين، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دوافع الإنفاق لدى غير المسلمين.

المطلب الثاني: نماذج للإنفاق لدى غير المسلمين قديماً وحديثاً.

المطلب الثالث: مجالات الإنفاق لدى غير المسلمين.

المبحث الثالث: الموازنة بين واقع الإنفاق بين المسلمين وغيرهم، وأسباب القصور

والعلاج، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الموازنة بين واقع الإنفاق لدى المسلمين وغيرهم.

المطلب الثاني: أسباب القصور في الإنفاق لدى المسلمين.

المطلب الثالث: علاج أسباب القصور في الإنفاق لدى المسلمين.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأل أن ينفع بهذا البحث كاتبه وقارئه، وأن يجعل أعمالاً خالصةً

لوجهه، وأن يزيدنا علماً وهدى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

وسلم.

**التمهيد: تعريف الإنفاق، والموازنة بينه وما يشبهه من المصطلحات، وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول: معنى الإنفاق لغة واصطلاحاً:**

قال ابن فارس: "نَفَقَ (نَفَقَ) التُّونُ وَالْفَاءُ وَالْقَافُ أَصْلَانُ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى انْقِطَاعِ شَيْءٍ وَذَهَابِهِ، وَالْآخَرُ عَلَى إِخْفَاءِ شَيْءٍ وَإِعْمَاضِهِ، وَمَتَى حُصِّلَ الْكَلَامُ فِيهِمَا تَقَارَبَا. فَالْأَوَّلُ: نَفَقَتِ الدَّابَّةُ نَفْقًا: مَاتَتْ، وَنَفَقَ السَّعْرُ نَفَاقًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَمْضِي فَلَا يَكْسُدُ وَلَا يَقِفُ، وَنَفَقُوا: نَفَقَتْ سَوْقُهُمْ. وَالتَّفَقَّةُ لِأَنَّهَا تَمْضِي لِرُجُوعِهَا... وَالْأَصْلُ الْآخَرُ التَّفَقُّ: سَرَبٌ فِي الْأَرْضِ لَهُ مَخْلَصٌ إِلَى مَكَانٍ... وَيُمْكِنُ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْبَابِ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْخُرُوجُ"<sup>(٦)</sup>.

الإنفاق في الاصطلاح: لم يخرج الفقهاء في تعريف الإنفاق عن المعنى اللغوي؛ لظهور معناه ووضوحه في اللغة؛ وألح بعض الفقهاء إلى معنى زائداً للإنفاق عن المعنى اللغوي فقال بأنه بمعنى: "الإخراجُ وَلَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي الْخَيْرِ"<sup>(٧)</sup>.

**المطلب الثاني: الموازنة بين الإنفاق والصدقة والتبرع:**

المتأمل في كتاب الله يجد أن لفظ (نفقة) لم يرد إلا في موضعين هما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾<sup>(٨)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً﴾<sup>(٩)</sup>، بخلاف الأفعال المتصرفة من هذا الاسم مثل (ينفق - ينفقون - تنفقون - أنفقوا - تنفقوا -...) فهي كثيرة جداً تربوا على الخمسين موضعاً، وأما في السنة فالمواضع أكثر من أن تحصر وسيأتي الإشارة إلى بعضها.

والإنفاق لفظ عام في إخراج المال؛ ولذا يحتاج إلى قرينة طلب الثواب من المنفق - غالباً - كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(١٠)</sup>، وقال سبحانه: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾<sup>(١١)</sup>، غير أن ورود الإنفاق في القرآن الكريم أكثر من غيره من المصطلحات المشابهة، ويُعنى به في غالب استعماله إخراج المال في سبيل الله، بينما غالب استعماله لدى عامة الفقهاء في النفقة على الزوجة والأقارب، وقد يعقدون باباً خاصاً بالنفقة أو النفقات.

ومن أشهر المصطلحات مقارنة لمعنى الإنفاق الصدقة والتبرع، فأما معنى الصدقة فعند أهل اللغة: ما يُعطى للفقراء خاصة؛ لما في الصَّدَقَةُ من معنى تضمن فقر صاحبها لتصديق حاله في ما يُبني حاله من فقره<sup>(١٢)</sup>، جاء في لسان العرب: "والصَّدَقَةُ: مَا تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ"<sup>(١٣)</sup>، وفي مختار الصحاح: "الصَّدَقَةُ" مَا تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ"<sup>(١٤)</sup>. فالصدقة كالتبرع من حيث اختصاصها أو لصوقها بطلب الثواب والأجر أكثر من الإنفاق، ولا تحتاج إلى قرينة إرادة الثواب؛ ولذا قال النبي ﷺ: «إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً»<sup>(١٥)</sup>.

وأما لفظ التبرع فيُقصد به في اللغة: الإِيعَاءُ مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ، أَوْ تَفَضُّلٌ بِمَا لَا يَجِبُ عَلَيْهِ<sup>(١٦)</sup>، وهو لم يرد في كتاب الله تعالى، وكذلك لم يرد في سنة النبي ﷺ من قوله- فيما اطلعت عليه-، وإنما ورد في أحاديث من قول الصحابة ﷺ كقول جابر ﷺ حاكياً حال الصحابيَّات بعد أمر النبي ﷺ لهن بالصدقة: (فَجَعَلْنَ يَتَبَرَّعْنَ بِقَلَائِدِهِنَّ وَحُلِيِّهِنَّ وَقُرْطِهِنَّ وَخَوَاتِمِهِنَّ، يَقْدِفُنَّهُ فِي تَوْبٍ بِلَالٍ يَتَصَدَّقْنَ بِهِ)<sup>(١٧)</sup>، وقول عمر بن الخطاب ﷺ لعامله على حمص لما جاءه ماشياً: "أَمَا كَانَ لَكَ أَحَدٌ يَتَبَرَّعُ لَكَ بِدَابَّةٍ تَرْكِبُهَا؟"..<sup>(١٨)</sup>

وأما في الاصطلاح، فَلَمْ يَضَعْ الْفُقَهَاءُ تَعْرِيفًا لِلتَّبَرُّعِ، وَإِنَّمَا عَرَفُوا أَنْوَاعَهُ كَالْوَصِيَّةِ وَالْوَقْفِ وَالْهَبَةِ وَغَيْرِهَا، وَكُلُّ تَعْرِيفٍ لِنَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ يُحَدِّدُ مَا هِيَ تَقْطَعُ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ مَعْنَى التَّبَرُّعِ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ كَمَا يُؤْخَذُ مِنْ تَعْرِيفِهِمْ لِهَذِهِ الْأَنْوَاعِ، لَا يَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهِ: بَدَلُ الْمُكَلَّفِ مَالًا أَوْ مَنَفَعَةً لِعَيْرِهِ فِي الْحَالِ أَوْ الْمَالِ بِلاَ عَوَظٍ بِقَصْدِ الْبِرِّ وَالْمَعْرُوفِ -غَالِبًا-<sup>(١٩)</sup>.

ولما كان مصطلح النفقة أكثر وروداً في نصوص الوحيين، وأكثر استعمالاً لدى علماء الشريعة وكذلك في استعمال الناس وتداولهم، كان هذا البحث معنوناً بالإنفاق.

فتبين لنا أن هذه الألفاظ الثلاثة (النفقة، الصدقة، التبرع) متقاربة من حيث المعنى، وكل من هذه الأنواع الثلاثة منها ما يكون واجباً ومنها ما يكون مستحباً<sup>(٢٠)</sup>، وبعضهم أجرى الأحكام التكاليفية الخمسة عليها بحسب الحال والقصد<sup>(٢١)</sup>.

### المطلب الثالث: الإنفاق في الكتاب والسنة، وفيه فرعان:

#### الفرع الأول: الإنفاق في القرآن الكريم:

امتدح الله المنفقين أموالهم ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، كما امتدح أولئك الذين لم تمنعهم الشدائد وضيق الحال من الاستمرار في بذلهم وعطائهم فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾<sup>(٢٢)</sup>، ووصف الله رهبان الليل الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع خوفاً من الله ورجاءاً لما عنده إنفاقهم من رزق الله الذي آتاهم، فقال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾<sup>(٢٣)</sup>، وفي تربية إيمانية سلوكية يذكر الله في صفات أهل الإيمان أن سجية الإنفاق من السجايا الملازمة لهم والتي لا تنفك عنهم بأي حال من الأحوال، فلا يشغلهم عنها عبادات بدنية كالصلاة، ولا أمورهم الحياتية والسياسية فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾<sup>(٢٤)</sup>، وقد وعد الله المنفقين بالأجر الجزيل والأمن من أهوال يوم القيامة، كما لا يلحقهم حزن على ما خلفوه من الأولاد أو فاتهم من زهرة الدنيا<sup>(٢٥)</sup>، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْمِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٢٦)</sup>، وأخبر سبحانه عن الفائدة التي يجنيها المنفق من وراء نفقته وصدقته، من طهارة للمال المنفق منه، ومن زكاة نفس المنفق، فقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾<sup>(٢٧)</sup>، كما وعد سبحانه أن يخلف على المنفق في الدنيا مع ما ينتظره من جزاء عند ربه، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾<sup>(٢٨)</sup>، بل جعل الله المضاعفة لمال المنفق لا تخطر ببال، ولا تدور في الخيال فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢٩)</sup>، وجعل الله من أسباب التهلكة ترك الإنفاق فقال سبحانه: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾<sup>(٣٠)</sup>، وأما عن أثر الصدقة

على المتصدق فيقول العلامة ابن القيم: "فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجر أو من ظالم بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرّون به لأنهم جرّبوه"<sup>(٣١)</sup>، ويلخص العلامة السعدي الثمرات التي يجنيها المؤمن وراء صدقته وإنفاقه فيقول: "فمنها أنها من أعظم شعائر الدين، وأكبر براهين الإيمان... ومنها أنها تُركي وتُمنّي المعطي والمعطى... وهي تشرح الصدر وتُفرح النفس، وتدفع عن العبد من البلياء والأسقام شيئاً كثيراً، فكم جلبت من نعمة دينية ودنيوية! وكم دفعت من نقم ومكاره وأسقام، وكم خففت الآلام! وكم تسببت لأدعية مستجابة من قلوب صادقات! وهي تُنمي المال المخرج منه، فإنها تقيه الآفات، وتُحل فيه البركة الإلهية.."<sup>(٣٢)</sup>.

### الفرع الثاني: نصوص السنة في الإنفاق:

حث نبينا الكريم على الإنفاق والصدقة، وأثنى على المنفق وذم الممسك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ تُدْيِهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَعَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ، حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُو أَثَرَهُ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئاً إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلَقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوسَّعُهَا وَلَا تَتَّسِعُ»<sup>(٣٣)</sup>، فهذا الحديث يبين لنا "أن الله تعالى يُنمي مال المتصدق، ويستره ببركة نفقته بالنماء في ماله... فإن المنفق يستره الله بنفقته من قرنه إلى قدمه، وجميع عوراته بالفعل في الدنيا وبالآجر في الآخرة، فماله لا يشتد عليه، وأما البخيل فيظن أن ستره في إمساك ماله، فماله لا يمتد عليه فلا يستر من عوراته شيئاً حتى تبدو للناس فيبقى منكشفاً كمن يلبس جبة تبلغ إلى ثدييه، ولا تجاوز قلبه الذي يأمره بالإمسك، فهو يفتضح في الدنيا، ويؤزر في الآخرة"<sup>(٣٤)</sup>، كما أخبر نبينا ﷺ أن من الأمور التي تجوز فيها الغبطة الرجل الذي (أتاه الله مالاً يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ فَيَقُولُ: لَوْ أُوتِيْتُ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُ لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ)<sup>(٣٥)</sup>.

ولم يغفل نبينا ﷺ عن الأمر بالصدقة حتى في مواطن الأفراح كالأعياد ونحوها والتي هي مظنة الالتهاة بالأهل والأولاد، بل أكد الأمر بالصدقة في مثل هذه المناسبات الضخمة ويردد ذلك مراراً وتكراراً: «تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا...» الحديث<sup>(٣٦)</sup>، وعظم نبينا ﷺ الأمر بالصدقة، وأخبر أنها مهما كانت حقيرة أو بسيطة في نظر صاحبها فإنها تتضاعف وتُتمى عند الله حتى تصبح كالجبل أو أعظم، فقال عليه الصلاة والسلام: «لَا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، إِلَّا أَخَذَهَا اللَّهُ يَمِينِهِ، فَيُرِيْبُهَا كَمَا يُرِيْبُ أَحَدَكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ قَلْوَصُهُ، أَوْ قَلْوَصُهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ، أَوْ أَعْظَمَ»<sup>(٣٧)</sup>، وأن الشيء اليسير من الصدقة ولو كان شطر تمر قد تكون سبباً في ستر وحجب صاحبها من النار فقال: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَلْيَفْعَلْ»<sup>(٣٨)</sup>، وأخبر النبي ﷺ أن المال الذي يبقى لصاحبه حقيقة هو ما يُنفقه ويتصدق به، وأما ما عدا ذلك فهو يفنى إن كان طعاماً، ويبلى إن كان لباساً « وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟ »<sup>(٣٩)</sup>، كما أخبر ﷺ عن ربه أن من أسباب الرزق الذي يسوقه الله للعبد كثرة النفقة: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»<sup>(٤٠)</sup>، بل حث النبي ﷺ على العمل وكسب الرزق ولو كان ذلك بمزاولة حرفة يدوية فيها جهدٌ ونصبٌ؛ لأجل أن يكون عنده ما يفضل عن حاجته فيتصدق به فقال عليه الصلاة والسلام: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»، فقالوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ»... الحديث<sup>(٤١)</sup>، وفي حديث آخر قَالَ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ثُمَّ يَعْدُوَ - أَحْسِبُهُ قَالَ: إِلَى الْجَبَلِ - فَيَحْتَطِبَ، فَيَبِيعَ، فَيَأْكُلَ وَيَتَصَدَّقَ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ»<sup>(٤٢)</sup>، ومن أعظم المحفزات التي أخبر بها النبي ﷺ في الثواب الذي ينتظر المتصدقين، أن الله تعالى خصص لهم باباً خاصاً من أبواب الجنة الثمانية يحمل اسم العمل الذي اعتادوه في الدنيا، فقال عليه الصلاة والسلام: «... وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»<sup>(٤٣)</sup>.

## المبحث الأول: الإففاق لدى المسلمين، وفيه ثلاثة مطالب.

### المطلب الأول: دوافع الإففاق لدى المسلمين.

من نافلة القول أن كل عمل يُقصد من وراء تحقيقه هدف وغاية معينة، وكل عامل له دافع يستحثه لذلك العمل، وهذه الدوافع والغايات قد تكون باطنة أو خفية لا يمكن الاطلاع عليها، وقد تكون ظاهرة جلية، ومن المعلوم أن دوافع الإففاق لدى المسلمين تختلف عن غيرهم، بل والمسلمون أنفسهم تتباين دوافعهم عن بعضهم، وإذا كان الصفوة المختارة لصحة نبيه ﷺ ذكر الله عنهم في مقصدهم لإحدى الغزوات بأن ﴿مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾<sup>(٤٤)</sup>، فكيف بمن عداهم؟، ويمكن بالتتابع والاستقراء إيجاز أبرز الدوافع التي ترغّب المنفق إلى بذل ماله دون مقابل من خلال النقاط الآتية:

١. طلب الثواب والأجر من الله: لاشك أن أعظم باعث لأهل الإيمان في بذل أموالهم وإففاقها في وجوه الخير المتنوعة إنما هو ابتغاء ما عند الله من الأجر والثواب، وطمعاً في تحصيل الجزاء العظيم والأجر الجزيل الذي وعد الله به المنفقين - كما أوردنا طرفاً من ذلك في تمهيد هذا البحث -، ولا غرابة أن يحرص من كان هذا دافعه على كون إنفاقه مستتراً لا يعلم به أحد، كما أشار تقرير مؤثر الأعمال الخيرية الصادر عن مجلة فوربس الأميركية بالمشاركة مع مؤسسة بي إن بي لإدارة الثروات أن ٦٠٪ من أغنياء الشرق الأوسط يصرون على عدم ذكر أسمائهم عند تقديم تبرعات<sup>(٤٥)</sup>، وهذا بلا شك ما يجعل المعلومات والدراسات في هذا الباب ناقصة؛ لكون الإففاق من أشخاص لا يريدون ذكر أسمائهم، ولا مقدار المبالغ التي أنفقوها، ومثل هذا قد يكون ظاهراً في مثل التبرعات البسيطة والمتوسطة، وأما التبرعات الضخمة والتي تتجاوز عشرات أو مئات الملايين أو تتجاوز سقف المليار فمن الصعوبة بمكان الاستتار خلفها أو محاولة إخفائها.

٢. الشهرة والوجاهة وحب الثناء: حيث ينشد بعض من المنفقين الشهرة في الأعمال الخيرية؛ ليلهج الناس بذكره والثناء عليه في المجالس أو الإعلام، فهو بذلك يريد تحقيق رغبات داخلية ويشبع حاجات نفسية، إضافة إلى كون مثل ذلك يحقق له وجاهة اجتماعية، بدليل كون البعض من هذا الصنف يشترط لبذل ماله لجهة من الجهات الخيرية إعلان ذلك وبثه في الصحف، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن البعض مستعد لبذل روحه في سبيل تحقيق الثناء والشهرة في قومه فكيف ببذل المال، وقد ذكر الصحابة للنبي ﷺ الغايات التي يسعى الناس لتحقيقها في قتالهم وجهادهم، وذكروا من الأسباب التي تجعل بعض الناس يُقاتل: (وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِئُرَى مَكَانَهُ)<sup>(٤٦)</sup>، وأصرح من ذلك ما ورد في حال بعض المنفقين يوم يسألهم ربهم عن سبب إنفاقهم أن الله يكذبهم في ادعائهم ابتغاء وجهه وأنهم إنما قصدوا من ذلك ليقال: (فلانٌ جواد)<sup>(٤٧)</sup>.

٣. خدمة المجتمع: فبعض رجال الأعمال يرى أن من حق أهل بلده أو وطنه عليه تقديم إعانات يستفيدون منها، ويتجلى مثل هذا الدافع لدى نشاط بعض رجال الأعمال في بلدانهم أو مسقط رأسهم، ومن كانت رؤيته أوسع من ذلك فهو يبذل ماله في أي مكان من أرض وطنه ما دام هناك حاجة قائمة دون نظر إلى علاقته بأهل ذلك البلد.

٤. الأخوة الإيمانية: فتجد أن بعض المنفقين يستحضر رابطة الجسد الواحد عندما يرى غيره معوزاً أو محتاجاً، فيسعى إلى مواساته وسد حاجاته بما يستطيع، ونجد هذا واضحاً في المساعدات التي يقدمها رجال الأعمال لدول إسلامية فقيرة لمواساتهم في واقعة أو كارثة نزلت بهم.

٥. النخوة والمروءة: فقد لا تجد عند بعض التجار استقامة وإيماناً يجرانه إلى البذل والعطاء في سبيل الله، لكن بذرة المروءة والنخوة التي جُبل عليها الدم العربي تتحرك في داخله ليبذل ماله إلى من تربطه به رابطة الدم، وقد يتجلى مثل هذا الدافع بين أبناء الأسرة أو القبيلة الواحدة، حيث يسارع بعضهم لنجدة وإعانة قرابته من باب النخوة والأنفة، دون التفات إلى طلب المثوبة والأجر من الله - غالباً -.

### المطلب الثاني: نماذج للإِنْفَاق لدى المسلمين قديماً وحديثاً.

يزخر التاريخ الإسلامي بنماذج مشرّفة وقدوات مشرّقة لأصحاب الأيادي البيضاء الذين ما فتئوا يبذلون الغالي والنفيس ابتغاء وجه الله، قدوتهم في ذلك رسولهم الكريم ﷺ، وعلى رأس هؤلاء سلف الأمة من الصحب الكرام الذين تلقوا تربيتهم المباشرة من حبيبهم ﷺ كأبي بكر الصديق ﷺ، وعمر الفاروق ﷺ، وعثمان بن عفان ﷺ، وغيرهم ﷺ.

كما يزخر تاريخنا بنماذج لأوقاف تعليمية فريدة ومن أبرز هذه الأوقاف المدرسة المستنصرية التي أسسها الخليفة العباسي المستنصر بالله ببغداد، وكان افتتاحها في رجب من عام ٦٣١هـ، وهي وإن كان يُطلق عليها مدرسة فهي في الحقيقة بمثابة الجامعة في الوقت الحاضر؛ لكونها تحوي تخصصات عدة، حيث يُدرس فقه المذاهب الأربعة، والحديث واللغة، والطب، إضافة إلى عناية خاصة بالأيتام، يقول ابن كثير في وصفها: " ولم يُبن مدرسةً قبلها مثلها، ووقفت على المذاهب الأربعة من كل طائفة اثنتان وستون فقيهاً، وأربعة مُعَيدِين، ومُدَرِّسٍ لكل مذهب، وشيخ حديث وقارئان وعشرة مُستَمِيعِينَ، وشيخ طب، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب، ومكتب للأيتام وقدّر للجميع من الخبز واللحم والحلوى والثقفة ما فيه كفاية وإفرة لكل واحد... ووقفت خزائن كتب لم يُسمع بمثلها في كثرتها وحسن نسخها وجودة الكتب الموقوفة بها، وليس في الدنيا لها نظير، فكانت هذه المدرسة جمالاً لبغداد وسائر البلاد<sup>(٤٨)</sup>، وعن ضخامة الكتب الموجودة فيها يقول الإمام الذهبي: " وتُقل إليها الكتب وهي مائة وستون حملاً... سوى ما تُقل إليها فيما بعد<sup>(٤٩)</sup>، وأما عن الأوقاف عليها فيقول الإمام الذهبي: " والوقف عليها عدّة ربايع وحوانيت ببغداد، وعدّة قرى كبار وصغار ما قيمته تسعمائة ألف دينار فيما يُخال إليّ، ولا أعلم وقفاً في الدنيا يقارب وقفها أصلاً سوى أوقاف جامع دمشق، وقد يكون وقفها أوسع<sup>(٥٠)</sup>.

ومن الأمثلة أيضاً الأوقاف التعليمية الأيوبية<sup>(٥١)</sup>، والمدرسة المنصورية التي أنشأها الملك المنصور قلاوون سنة ٦٨٣ هـ بالقاهرة<sup>(٥٢)</sup>، والتي لم يُسمع بمثل عمارتها ما تعجز الفراعنة عنه، وتقتصر المهتم دونه، مع أفانين البنيان والأوضاع، وغرائب الترخيم والأدهان وسائر الأنواع، ووصف الشعراء فنون هذه العمائر وبدائع إعجازها الذي يذهل الأبصار والبصائر. ومنها كذلك مدرسة السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون<sup>(٥٣)</sup> والتي شرع في بنائها سنة ٧٥٨ هـ.

والقصد من ذلك أن نبين أن مجال الإنفاق الخيري كان سمة بارزة للمسلمين على مر العصور، وأما في العصر الحاضر فالنماذج أكثر من أن تُحصَر، ولعله يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، فأذكر أمثلة لبعض المحسنين والذين كان لهم مساهمات نوعية في الأعمال الخيرية، ومن هؤلاء:

**أولاً:** ناصر الرشيد<sup>(٥٤)</sup>: مما يتميز به الشيخ ناصر في أعمال الخيرية اهتمامه بالجانب الصحي مع عدم إهماله لجوانب أخرى دينية واجتماعية، ويُلاحظ أن هذا المشاريع التي تركها مشاريع نوعية قل من يلتفت إليها من رجال الأعمال أو يسهم فيها، فمن ذلك:

١. إنشاء مركز الملك فهد للأورام وسرطان الأطفال ومشروع توسعته بتكلفة إجمالية بلغت حوالي خمسمائة مليون ريال، ويعتبر هذا المركز الثاني على مستوى العالم المتخصص في أبحاث وعلاج الأطفال المصابين بالسرطان، وعولج في المستشفى ما يزيد عن ٨٠٠٠ حالة سرطان أطفال.

٢. إنشاء مركز الدكتور ناصر إبراهيم الرشيد لطب العيون بجائل بتكلفة بلغت خمسة وعشرون مليون ريال.

٣. إنشاء أكبر مركز للأيتام في العالم بجائل (مركز الدكتور ناصر بن إبراهيم الرشيد لرعاية الأيتام) بتكلفة تزيد على مائة مليون ريال<sup>(٥٥)</sup>، بخلاف تبرعه بوقف مخصص له تزيد تكلفته عن ثلاثين مليون ريال.

٤. تبرع بإنشاء أحد المباني بجامعة الفيصل بالرياض التابعة لمؤسسة الملك فيصل الخيرية بمبلغ أربعين مليون ريال.
  ٥. إنشاء مركز غسيل الكلى في حائل بتكلفة تصل إلى سبعة مليون ريال تشمل تجهيز صالة وشراء أجهزة.
  ٦. إنشاء مبنى التأهيل الوظيفي للنساء بمركز الأمير سلطان للتأهيل بالدمام.
  ٧. تكفل بمشروع المائة مسجد في مدينة حائل والقرى التابعة لمنطقة حائل.
  ٨. تبرع بكامل تكاليف إنشاء مركز الأمير سلمان للمعاقين بجائل بتكلفة (١٢,٥٠٠,٠٠٠) ريال، وأضاف تبرعات نقدية أخرى لمراكز المعوقين بمبلغ (١٢,٥٠٠,٠٠٠) ليصبح مجموعة التبرع لأعمال الإعاقة ٢٥.٠٠٠.٠٠٠ ريال.
  ٩. فاقت مجمل تبرعاته داخل الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من (٣٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار) ثلاثين مليون دولار لمراكز أبحاث طبية وجامعات<sup>(٥٦)</sup>.
- ثانياً: سليمان بن عبد العزيز الراجحي<sup>(٥٧)</sup>: أعلن الشيخ سليمان الراجحي في يوم ٤/٦/٢٠١٤م في مؤتمر أقيم في مدينة الجوف أن دواجن الوطنية وقف لله تعالى، وقد عُرف عن الشيخ سليمان ميله الدائم للعمل الخيري، وتوج هذا العطاء بأن أوقف ثلثي ثروته في سبيل الله ووزع الثلث الباقي على أفراد عائلته، وتم إنشاء شركة قابضة باسم شركة أوقاف سليمان الراجحي القابضة؛ لتكون الذراع الاستثماري لإدارة الوقف، بينما تقوم مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية بإدارة القسم الخيري وتوزيع الربح القادم من القطاع الاستثماري في المشاريع الخيرية وأعمال الخير المتنوعة<sup>(٥٨)</sup>، واحتل الشيخ سليمان الراجحي المركز السادس ضمن قائمة الـ ٢٠ الأكثر سخاءً وتبرعاً في العالم وفق ما ذكرته مجلة بيزنس إنسايدر الأمريكية والتي أصدرتها شركة الأبحاث ويلث إكس (Wealth-X) المتخصصة في تقديم المعلومات والتفاصيل المختلفة عن أثرياء العالم، حيث ذكرت أن إجمالي تبرعاته طوال حياته بلغت ٧,٥ مليار دولار<sup>(٥٩)</sup>.

ومن أبرز مشاريعه النوعية مشروع (صندوق الاستدامة المالية) وهو صندوق خيري يمول من مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية بالشراكة الاستراتيجية مع وزارة الشؤون الاجتماعية يدعم برامج ومشروعات الجهات الخيرية والاجتماعية بالملكة كقرض حسن يُسترد وفق آلية تُحدد من قبل الهيئة الإشرافية للصندوق، رأسمال الصندوق: مائة مليون ريال<sup>(٦٠)</sup>.

**ثالثاً:** الشيخ ناصر الخرافي<sup>(٦١)</sup>: من رجال الأعمال بدولة الكويت له عدة مساهمات خيرية محلية ودولية من أبرزها:

١. أقام ١٨ مركزاً تطوعياً لتدريب الحاسب الآلي بالكويت وعدد من الدول الآسيوية والأفريقية.

٢. أنشأ قرية للفقراء في سيريلانكا وقام بتجهيز منازل للمحتاجين في البحرين ولبنان وألبانيا، كما قام بشراء الأراضي والمزارع وملكها للفقراء والمساكين في عدة دول.

٣. أنشأ عدة دور للأيتام وعدد من المراكز والمدارس الإسلامية في عدة دول أفريقية وآسيوية.

٤. قام بتشييد مطبعة لطباعة الكتب الخاصة بالمكفوفين بطريقة (برايل) في شهر إبريل عام ١٩٩٦م، وكانت أحدث مطبعة بالشرق الأوسط في ذلك الوقت، كما شيّد مدارس خاصة للمعاقين والمكفوفين في كل من: الهند، وباكستان، وسريلانكا، وزودها بكل ما يحتاجه المعوقون من وسائل الرعاية والتعليم الكفيلة بالمساهمة في حل مشاكلهم.

٥. أقام مركزاً علمياً في واشنطن يعرف باسم (دار الأرقم)، كما ساهم في تأسيس إذاعة داخلية في واشنطن بأمريكا لخدمة التجمع الإسلامي<sup>(٦٢)</sup>.

**رابعاً:** الأمير الوليد بن طلال<sup>(٦٣)</sup>: يمتلك الوليد بن طلال مؤسسة خيرية باسم "مؤسسة الوليد بن طلال الخيرية والإنسانية"، تنطوي تحت هذه التسمية ثلاث مؤسسات في المملكة العربية السعودية و لبنان و أخرى تشمل جميع أنحاء العالم، وتركز

المؤسسة نشاطاتها في المملكة العربية السعودية على مجالات تنمية المجتمع، وتمكين المرأة، ودعم ضحايا الكوارث، ومن أبرز الأعمال الخيرية التي ساهم فيها:

١. برنامج الإسكان التنموي: يهدف البرنامج لتوفير ١٠,٠٠٠ وحدة سكنية لـ ١٠,٠٠٠ أسرة على مدى عشر سنوات في مناطق مختلفة في المملكة العربية السعودية، كما وفر البرنامج شققاً سكنية في مدينة الرياض لإيواء ذوي الاحتياجات الخاصة، وكذلك المطلقات.

٢. مشروع السيارات: حيث تكفل الأمير الوليد بتوزيع ١٠,٠٠٠ سيارة على مدار عشر سنوات بواقع ألف سيارة كل عام للأسر المحتاجة.

٣. تبرعه بثروته عام ٢٠١٥: أعلن الأمير الوليد بن طلال بن عبدالعزيز آل سعود، رئيس مجلس أمناء مؤسسات الوليد للإنسانية، تعهده بأن يهب ثروته للأعمال الخيرية والإنسانية بمبلغ قدره ١٢٠ مليار ريال سعودي (٣٢ مليار دولار) بحسب الخطة المدروسة للأعوام القادمة، وقال الوليد في خطاب إعلان الهبة: "ومن منطلق حرصي وشغفي بالعمل الإنساني وهو ما عهدتموه مني منذ ٣٥ عاماً دون انقطاع فإنني أتعهد بأن أهب كل ما أملك لمؤسسة الوليد للإنسانية في كل مجالاتها: دعم المجتمع، القضاء على الفقر وتمكين المرأة والشباب، مد يد العون عند حدوث الكوارث الطبيعية وبناء جسور بين الثقافات"، وقال على صفحته في تويتر بتاريخ ١٧ / ٧ / ٢٠١٥: "اليوم ألتزم بأن أهب كل ما رزقني الله لمؤسسة الوليد للإنسانية"<sup>(٦٤)</sup>.

خامساً: الشيخ حمد الغماس<sup>(٦٥)</sup>: مما يُميز الشيخ حمد عن غيره من المنفقين من رجال الأعمال التفاته إلى المشاريع الإعلامية النوعية وتسخير القنوات الفضائية للدعوة إلى الإسلام بعدة لغات، وهذا في الحقيقة ما تفتقده وتحتاجه الدعوة في هذا الزمان، ومن أهم مساهماته الخيرية أنه أعلن عن تحويل جميع أبراجه في مكة التي تتجاوز قيمتها ملياراً ومائتي مليون ريال إلى أوقاف على أعمال البر والإحسان وتبليغ رسالة الإسلام.

### المطلب الثالث: أوجه الإنفاق لدى المسلمين.

قبل أن أذكر أوجه الإنفاق لدى المسلمين يحسن بنا أن نذكر إلماحة سريعة عن أوجه الإنفاق في الكتاب والسنة، فيتأمل ما ورد في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ نجد أنها مطلقة غير محصورة بباب من الأبواب، مادام ذلك في أوجه البر والخير، فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾<sup>(٦٧)</sup> فبعد أن فصل بعض أوجه البر كالإنفاق على الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين أطلق جميع أنواع البر بقول (من خير) ومعلوم أن (من) أداة من أدوات الشرط التي تفيد العموم كما قرر الأصوليون<sup>(٦٧)</sup>، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا تَقْدِمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ خَيْرٍ تُجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾<sup>(٦٨)</sup>، وفي الآية الأخرى قال سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾<sup>(٦٩)</sup>، يعني ما فضل عن حاجتكم فأنفقوه<sup>(٧٠)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾<sup>(٧١)</sup> فقوله (من شيء) ظاهر في عموم الأنفاق ما دام في سبيل الله وابتغاء مرضاته.

وأما في السنة فقد أخبر النبي ﷺ أن «.. المسلم لِيُؤْجَرَ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ، إِلَّا فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هَذَا التُّرَابِ»<sup>(٧٢)</sup>، ومعلوم أن (كل) من صيغ العموم<sup>(٧٣)</sup>، يعني كل نفقة ينفقها المسلم يُثاب عليها، واستثنى النبي ﷺ المال الذي يوضع في البنيان، وهو محمول على ما زاد على الحاجة كما ذكر ابن حجر<sup>(٧٤)</sup>، وفي حديث آخر بين النبي ﷺ أن «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ»<sup>(٧٥)</sup>، فمتى كان الإنفاق في أي وجه من أوجه البر والخير فيه منفعة للناس فثم محبة الله، ثم بين النبي ﷺ في هذا الحديث صوراً متنوعة لنفع الناس بعضها مادي، وبعضها معنوي، حتى لا يبقى لأحد عذر في سلوك طريق من طرق الخير ذا منفعة متعدية، فقال: «وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَئِنْ أَمْشَيْتَ مَعَ أَخِي لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ»<sup>(٧٦)</sup>، وعدد النبي ﷺ في حديث آخر صوراً متنوعة للإنفاق الذي يلحق صاحبه بعد وفاته، فقال ﷺ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ،

وَمُصْحَفًا وَرَدَّهٖ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّيْلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»<sup>(٧٧)</sup>؛ ولهذا لا يُسْتَعْرَبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا دَأْبُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم كما قال جابر رضي الله عنه: لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ذو مقدرة إلا وقف<sup>(٧٨)</sup>.

وأما أوجه الإنفاق لدى المسلمين في العصر الحاضر، فإن المتأمل يجد أن اختلاف المسلمين في ذلك راجع إلى اختلاف ثقافتهم واهتماماتهم وتدينهم، ومن الصعوبة بمكان أن تجد من له مساهمة أو نصيب في كل أوجه الإنفاق، وحتى يتسنى لنا معرفة هذه الأوجه يمكن لنا إرجاع أوجه الإنفاق إلى أربعة عناصر، وهي مستفادة من العناصر المكوِّنة لمؤشر التنمية البشرية والذي تتم بواسطته المقارنات الدولية، وهو مؤشر مركبي يتكون من ثلاث مؤشرات<sup>(٧٩)</sup> هي: (١) الصحة (٢) التعليم (٣) مستوى المعيشة، ويكمن أن يضاف إلى ما نحن بصدد الحديث عنه الشؤون الدينية والاجتماعية، فعلى هذا يمكن تقسيم أوجه الإنفاق لدى المسلمين بحسب هذا المؤشر إلى أربعة أقسام:

### ١- الشؤون الدينية والاجتماعية:

ويقصد بذلك الإنفاق في الأمور الدينية من بناء المساجد، وتحفيظ القرآن الكريم، وكفالة الدعاة والمعلمين، والأمور الاجتماعية ككفالة الأيتام وتهيئة المقابر، وحفر الآبار، وتفصيلها على النحو الآتي:

أ- بناء المساجد: انطلاقاً من حث النبي صلى الله عليه وآله على بناء المسجد والترغيب في ذلك وأن «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ»<sup>(٨٠)</sup>، وفي رواية «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ لَبَيَّضَ اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»<sup>(٨١)</sup>، وهذا الحديث العظيم رغب كثير من المسلمين في السعي لبناء بيوت الله حتى من غير الموسرين؛ ولذا فإن بند إعمار بيوت المساجد لدى كثير من المؤسسات الخيرية العاملة في بناء المساجد لا تعاني عجزاً أو احتياجاً كبيراً في تغطية تكاليف بناء المسجد؛ لكثرة الراغبين في الإنفاق في هذا الباب.

ب- **تحفيظ القرآن الكريم:** فيحرص كثير من المنفقين تسخير أموالهم لخدمة كتاب الله تعالى من كفالة معلمي القرآن أو بناء دور تحفيظ القرآن، والسعي في ذلك بما يستطيعون، حاديههم في ذلك الحرص على دخولهم في خيرية هذه الأمة التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)<sup>(٨٢)</sup>، إلا أن الإقبال الكبير على تحفيظ القرآن الكريم في أنحاء العالم الإسلامي أكثر من الموارد المتاحة، بالرغم من الكلفة البسيطة لفتح حلقة ومكافأة أستاذها<sup>(٨٣)</sup>، ومع ذلك تعاني بعض الحلقات من عجز دائم في ميزانياتها ورواتب معلميه ومعلماتها، وقد كانت لي تجربة شخصية بالإشراف على حلقات تحفيظ القرآن ودار نسائية لتحفيظ القرآن لمدة عشر سنوات، فكنتُ أجد معاناة كبيرة في توفير رواتب المعلمين والمعلمات إضافة إلى قيمة إيجار الدار، وقلة من المحسنين الذين يتولون كفالة المعلم أو المعلمة مدة طويلة تتجاوز الخمس سنوات.

ج- **كفالة الدعاة والمعلمين:** إيماناً من بعض المنفقين بواجبهم تجاه دينهم وحرصاً منهم على نشره في أصقاع الأرض، وتحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٨٤)</sup> يقوم بعض المحسنين بتوجيه أموالهم لكفالة الدعاة والمعلمين لتعليم المسلمين وتفقيهم في أمور دينهم، ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وهذا الباب - رغم أهميته البالغة - من أكثر الأبواب التي يقل إقبال المنفقين عليها؛ لجهلهم بأهميته، أو بسبب التقصير من قبل المؤسسات العاملة في هذا المجال في التعريف بهذا المجال.

د- **حفر الآبار (سقي الماء):** من أعظم أبواب البر سقي الماء، وبخاصة عن طريق حفر الآبار لأنها لا تنضب لعدة سنوات في أضعف الأحوال، وقد انتدب النبي ﷺ لسعد بن عباد عندما سأله أي الصدقة أفضل؟ قال له: (سَقْيُ الْمَاءِ)<sup>(٨٥)</sup>؛ فلذا يُبادر كثير من المسلمين إلى مثل هذا العمل؛ لكون تكلفته بسيطة<sup>(٨٦)</sup> وأجره عظيم، إلا أن الآبار النوعية ذات التكلفة الباهظة والتي تحتاج إلى حفر عميق ومضخات لاستخراج الماء فتجد إجحاماً من كثير من المسلمين، ويُقبل عليها - وللأسف الشديد - المنصرون،

وهذا الأمر قد لاحظته بصفة شخصية أثناء جولتي لبعض دول غرب أفريقيا صيف عام ١٤٣٤هـ، حيث لاحظت أن الآبار العميقة التي تحتاج إلى مضخة لاستخراج الماء قل أن يكون بناؤها ن قبل المسلمين؛ لكون تكلفتها عالية، بينما الآبار العادية التقليدية التي يستخرج منها الماء يدوياً فهي كثيرة جداً<sup>(٨٧)</sup>.

هـ- **كفالة الأيتام:** يتمنى كل مؤمن أن يحظى بشرف مرافقة النبي ﷺ في الجنة والذي أرشدنا إلى الطريق إلى ذلك بقوله (كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى) <sup>(٨٨)</sup>، وأصبح هناك جمعيات خيرية محلية ودولية متخصصة بكفالة اليتيم كجمعية إنسان في المملكة العربية السعودية<sup>(٨٩)</sup>، ومؤسسة مكة الخيرية التابعة لرابطة العالم الإسلامي<sup>(٩٠)</sup>، وهذا الباب من أبواب الخير يحظى بإقبال شديد من قبل عامة الناس فضلاً عن موسريهم؛ لكون أجره عظيم وتكلفته يسيره<sup>(٩١)</sup>.

و- **تهيئة المقابر للمسلمين:** يعتبر الحصول على مقبرة خاصة بالمسلمين في الدول غير الإسلامية من الأمور التي تؤرق كثيراً من المسلمين؛ نظراً للتكلفة الباهظة للأراضي في تلك البلدان؛ لذا اتجه بعض المحسنين للمساهمة في سد هذه الثغرة المهمة في البلدان غير الإسلامية، وشراء أراضي كبيرة يتم تخصيصها لدفن الموتى من المسلمين إكراماً لهم أن يُدفنوا مع الكفار، وهذا الباب لا يحظى بأكبر اهتمام لدى عامة الموسرين؛ إما لضعف التسويق لهذه المشاريع، أو لقلّة فقه المحسنين، وقد زرت عاصمة إحدى الولايات في أمريكا<sup>(٩٢)</sup> فوجدتهم يجمعون في كل جمعة بعد الصلاة أموالاً من المصلين ليتمكنوا من شراء أرض لجعلها مقبرة؛ لعدم وجود مقبرة للمسلمين في هذه لولاية وهم على هذا الحال من عدة سنوات!

## ٢- التعليم:

ويقصد بذلك المساهمة في تعليم أبناء المسلمين ورفع الجهل عنهم، وطباعة ما ينفعهم من الكتب، ودعم البحوث ومراكز الأبحاث العلمية، وتفصيل ذلك:

أ- **بناء المدارس والجامعات:** يحظى بناء المدارس باهتمام لا بأس من قبل بعض المسلمين إلا أن الإقبال عليه لا يتواءم مع شدة الحاجة، ولا يزال هذا الباب - رغم أهميته البالغة - ضعيف جداً، كما أن المنجز من تلك المدارس ليس على المستوى المطلوب، فمثلاً من خلال زيارتي ووقوفي على بعض المدارس الإسلامية في بعض الدول الأفريقية والآسيوية<sup>(٩٣)</sup>، وجدت أنها مدارس على النمط القديم جداً وبتجهيزات بدائية، فضلاً عن ضعف تأهيل الأساتذة، خلافاً لما شاهدته من مدارس تصيرية، هذا في التعليم العام، وأما في التعليم العالي فمن النادر أن تجد جامعة إسلامية يُشار إليها في بنائها وتجهيزاتها ومخرجاتها العلمية، قد تكفل بها بعض المحسنين المسلمين أو المؤسسات الخيرية الإسلامية، على الرغم من أن العالم الإسلامي يشهد نسبة كبيرة من الأمية، فبحسب تقرير حديث صادر من منظمة المؤتمر الإسلامي فإن نسبة معدل الأمية في العالم الإسلامي تراوح بين ٤٠٪ بين الذكور و٦٥٪ بين الإناث، وأن نسبة الأمية في البوادي والأرياف تزيد عنها في المدن والحوضر بما يزيد عن ١٠٪<sup>(٩٤)</sup>، على نقيض ما هو حاصل لدى المنصرين أو أصحاب المذاهب العقدية الفاسدة<sup>(٩٥)</sup> في الحرص الكبير على هذا المجال.

ب- **طباعة الكتب:** لا شك أن نشر العلم وبخاصة الشرعي مما يحتاجه المسلمون في كثير من بلدان العالم الإسلامي، ومن أعظم وسائل بث العلم الشرعي ونشره توفير الكتاب، وهو يحظى باهتمام طبقة معينة من المحسنين ممن يُدركون أهمية الكتاب وضرورة نشر الكتب والمكتبات، إلا أن الغالبية العظمى من المنفقين المسلمين يُحجمون عن هذا الباب العظيم من أبواب الخير؛ ظناً منهم بعدم أهميته.

ج- **البحث العلمي:** يمكن تحديد مفهوم البحث العلمي بأنه القيام بعملية فكرية منظمة، من أجل تقصي الحقائق المتعلقة بمسألة أو مشكلة معينة تسمى موضوع البحث، باتباع طريقة علمية منظمة تسمى منهج البحث، وذلك للوصول إلى حلول ملائمة للمشكلة، أو إلى نتائج صالحة للتعميم على المشاكل المماثلة تسمى نتائج البحث<sup>(٩٦)</sup>، ويُعتبر البحث العلمي في الدول المتقدمة من الركائز الرئيسة

التي يقوم عليها بناء الأمة العلمي والتقني والفكري، وركيزة أساس لحضارتها وتقدمها، وهو مؤشر على جودة التعليم في المؤسسات التعليمية، كما أن له أثره البالغ في تنمية البلدان واقتصادها، ولا شك أنه يحتاج إلى آلات وأدوات، ومعامل ومختبرات، في سبيل الوصول إلى نتائج دقيقة، ومخرجات أكيدة قابلة للتطبيق بشكل صحيح.

في الدول العربية لا يساهم القطاع الخاص في البحث العلمي بأكثر من ١٠٪ فقط من نفقات البحث العلمي والتطوير التقني، أما ٩٠٪ الباقية فتقع على عاتق القطاع الحكومي، وهي في الوقت ذاته عرضه للهدر بسبب ما عرف عن إدارة الحكومات من الترهل الإداري، وسيطرة الإجراءات البيروقراطية<sup>(٩٧)</sup>.

وضمن قائمة ترتيب إنفاق الدول على البحث العلمي من إجمالي الدخل المحلي عام ٢٠١٠ جاءت إسرائيل في المرتبة الأولى بنسبة ٤٤.٤٪، ثم كوريا الجنوبية ٣.٥٦٪ ثم اليابان (٣.٣٦٪)، وأول دولة عربية في القائمة حصلت على المرتبة الـ ٣٨ بنسبة ٠.٨٦ وهي تونس<sup>(٩٨)</sup>، وأما السعودية فقد ذكرت الدراسات الدولية الصادرة عن «اليونسكو» أن هذه النسبة لعام ٢٠٠٩م كانت ٠.٠٨٤٪، وهذا يتعارض مع نتائج الدراسة الموضوعية التي أجرتها وزارة التعليم العالي عام ٢٠١١م، والتي أثبتت أن هذه النسبة هي حوالي ١٪ أي تبلغ ١٢ ضعفاً للنسبة المعطاة دولياً<sup>(٩٩)</sup>، حيث بلغ حجم الإنفاق على البحث العلمي ٢.٢٤ مليار ريال وهذا المبلغ يساوي مانسبته ١٪ من الناتج المحلي الإجمالي، وأما الإنفاق غير الحكومي فقد بلغت نسبته ٠.٢٩٪<sup>(١٠٠)</sup>، وهي بهذا بحسب إحصائية حديثة عادت إلى خريطة البحث والتطوير العالمية السنوية محتلة المركز ٣٨ في الخريطة الصادرة سنويا من منظمة اليونسكو والتي تضم أكثر أربعين دولة إنفاقا على البحث والتطوير في العام ٢٠١٤<sup>(١٠١)</sup>.

وأما ما يتعلق بالأوقاف العلمية في الجامعات فقد تصدرت جامعة الملك سعود باقي الجامعات السعودية في حجم الأوقاف، حيث تصل قيمتها إلى حوالي أربعة مليارات ريال سعودي، وهناك جهود لجامعات سعودية مثل جامعة الملك عبدالعزيز وجامعة الملك فهد للبترول والمعادن وجامعة أم القرى وجامعة طيبة وغيرها من الجامعات<sup>(١٠٢)</sup>.

## ١- الصحة:

ويقصد بذلك جميع أبواب لرعاية الصحية من بناء المستشفيات وتوفير العلاج والأجهزة الطبية للمحتاجين، وفتح عيادات مكافحة التدخين والمخدرات، وهذا الباب التفتت إليه في الآونة الأخيرة بعض الجهات الخيرية المتخصصة في النواحي الطبية في المملكة العربية السعودية كالجمعية الخيرية الصحية لرعاية المرضى "عناية" في مدينة الرياض والتي تأسست عام ١٤٢٨ هـ<sup>(١٠٣)</sup>، وجمعية الرحمة الطبية الخيرية والتي كان تأسيسها عام ١٤٢٥ هـ في المنطقة الشرقية<sup>(١٠٤)</sup>، وجمعية زمزم للخدمات الصحية والاجتماعية بالمنطقة الغربية وكان تأسيسها عام ١٤٢٦ هـ<sup>(١٠٥)</sup>، ولا توجد بالمملكة سوى بضع جمعيات لمكافحة السرطان<sup>(١٠٦)</sup>، رغم كون المملكة الأولى عالمياً في انتشار المرض<sup>(١٠٧)</sup>، وهذه البادرة من هذه الجمعيات تُعتبر جيدة إلى حد ما مع كون الحاجة أكبر.

ومع قلة المشاريع الصحية الخيرية المطروحة، وقلة المؤسسات والجمعيات الخيرية التي تتبناها إلا أنها وللأسف الشديد تجد إحجاماً كبيراً من قبل الموسرين، ومما يدل على ذلك أن الجمعية الخيرية الصحية لرعاية المرضى "عناية" في تقريرها خلال الربع الأول من عام ١٤٣٥ هـ ذكرت أنه تم علاج ١٥٧ مريضاً بتكلفة إجمالية قدرها أكثر من ١,٢٠٠,٠٠٠ ريال (مليون ومائتي ألف ريال) وفي الانتظار ١٩٢ حالة في انتظار العلاج!، وأما جمعية الرحمة الطبية فقد صرفت منذ تأسيسها عام ١٤٢٥ هـ إلى الوقت الحاضر ٧٠٠ جهاز طبي، وتأمين ٦٥٠٠ وصفة طبية، وعلاج أكثر من ٦٠٠ مستفيد في المستشفيات، بتكلفة إجمالية قدرها ١٠.٥ مليون ريال<sup>(١٠٨)</sup>، أي بمعدل مليون ريال سنوياً تقريباً.

وهذه المبالغ البسيطة أمام تحقيق إنجازات ضخمة تجعلنا نتساءل تجاه ذلك الإحجام من الموسرين تجاه إخوانهم المرضى. وعلى مستوى المؤسسات الخيرية العاملة في أنحاء العالم فنجد أن المؤسسة العالمية للإعمار والتنمية لم تبني إلا مستشفى متواضع واحد في دولة إفريقية منذ تأسيسها عام ١٤٢٠ هـ وإلى وقتنا الحاضر، وأما إذا كانت رؤيتنا أكبر من ذلك بتجهيز مستشفيات متكاملة بكافة التخصصات لعلاج المرضى المحتاجين فهذا دونه خرط القتاد.

## ١- المعيشة:

ويقصد بها ما يحتاجه الإنسان في معيشته من طعام وشراب ولباس ومسكن، حيث يجتهد كثير من المنفقين إلى ضخ أموالهم للجمعيات التي تباشر العمل في هذه الأبواب، كما تقوم بمتابعة الحياة المعيشية للفقراء طوال العام وبجسب الحاجة أو الموسم، وقد وضعت لذلك برامج معينة وطرحتها للمنفقين ترغيباً في المساهمة فيها، ككسوة الشتاء والسلة الرمضانية، والحقيبة المدرسية... ، وسيكون الكلام عن نموذج من الجمعيات الخيرية التي تمارس مثل هذه الأنشطة في المطلب الآتي.

دراسة حالتين لأوجه الإففاق لدى الجمعيات والمؤسسات الخيرية:

فيما يلي مثالين لمؤسستين تعملان في الأعمال الخيرية، إحداهما أعمالها محلية والأخرى دولية؛ لمعرفة اتجاهات المنفقين على مستوى المؤسسات الخيرية:

### المثال الأول: جمعية خيرية محلية (جمعية البر بالرياض):

يبلغ عدد فروع جمعية البر بالرياض عشرة فروع موزعة على أحياء مدينة الرياض التي يبلغ تعداد سكانها أكثر من ٧.٥ مليون نسمة<sup>(١٠٩)</sup>، ويتراوح أعداد الأسر المكفولة لدى هذه الفروع بين الخمسمائة والألف وخمسمائة أسرة (٥٠٠-١٥٠٠ أسرة)، تغطي بعض هذه الفروع أكثر من عشرين حياً، ويرتكز عمل مثل هذه الجمعيات حول إعانة الأسر الفقيرة المعيشية وتقديم المساعدات العينية الاستهلاكية؛ لذا لم يكن من المستغرب أن تكون أبواب البر المطروحة في مثل هذه الجمعيات تصب في هذا الباب، وإن كانت متنوعة فهو بجسب الحاجة الموسمية، ومن الأمثلة على ذلك (كسوة الشتاء- صدقة الصيف- السلة الغذائية الرمضانية- إفطار صائم- الحقيبة المدرسية- كسوة العيد- زكاة الفطر- لحوم الأضاحي)، وأحياناً يكون هناك مساهمة في توفير السكن، وتبعاً لهذه المشاريع المطروحة يكون توجه المنفقين بحسبها ولا يمكن تجاوزها - في الغالب - بمشاريع نوعية أو ابتكارية كالبرامج التأهيلية والتدريبية والصحية.

ومع كون هذه المشاريع تُعد بسيطة ومتواضعة إذ لا تتجاوز ميزانياتها السنوية بضعة ملايين، إلا أنها تُعاني - في معظم الأحيان - من العجز الدائم في ميزانياتها؛ ومن أجل هذا بدأت كثير من الجمعيات بالتوجه نحو الأوقاف التي تُدر دخلاً ثابتاً بعيداً عن ربة المنفقين المتذبذبين.

### المثال الثاني: مؤسسة خيرية دولية (المؤسسة العالمية للإعمار والتنمية):

من خلال قراءتي للتقرير المالي السنوي للمؤسسة العالمية للإعمار والتنمية التابعة لرابطة العالم الإسلامي بالرياض<sup>(١١٠)</sup> لعام ٢٠١٣م والذي تضمن مصروفات المؤسسة خلال ذلك العام، والأوجه التي بُذلت فيها الأموال حسب الأبواب المتاحة دونت الملحوظات الآتية:

١. خلال الفترة من ١ / ١ / ١٤٣٤هـ إلى ٢٨ / ٢ / ١٤٣٥هـ هناك بنود في ميزانية المؤسسة لم يصلها أي دعم من قبل المتبرعين؛ لضعف ثقافة الإنفاق لدى عامة المنفقين، ومن ذلك: بند الرعاية الاجتماعية، كفالة معاق، كفالة طالب علم، فقد سجلت هذه البنود في مدخولات المؤسسة (صفر ريال)، ويقرب من ذلك بنود أخرى مثل: كفالة أرملة، كفالة داعية.
٢. هناك مصروفات يمكن الاستغناء عنها لو قامت بإسقاطها المؤسسات والشركات الحكومية أو شبه الحكومية كالماء والكهرباء والهاتف والجوازات، حيث بلغت مصاريف المؤسسة لهذه القطاعات الأربعة (٦٥٣, ٣٢٨ ريال) وهو مبلغ باهظ بالنسبة إلى واردات المؤسسة.
٣. بلغت رواتب العاملين في هذه المؤسسة (٦١٣, ١٢٣ ريال)، وكان بالإمكان الاستغناء عن ما لا يقل عن نصف هذا المبلغ لو كان التطوع بالوقت ثقافة سائدة في المجتمع.
٤. هناك بنود ليس للمنفق كبير فضل في دفعها؛ لكونها لازمة عليه بإلزام الشرع مثل الكفارات والعقائق والزكوات، فالمتبرع يبحث عمن يسقط عنه هذا اللزوم الشرعي ويتحمل تبعته عنه، ومع ذلك نجد أن بند الزكاة فيه ضعف نسبة إلى المقدار الواجب المفروض على التجار في أموالهم، والشركات والمصارف في مدخولاتهم.

وفيما يلي استعراض لأوجه الإنفاق لدى المحسنين في هذه المؤسسة من خلال وارداتها:

م	البيان	المبلغ الوارد	النسبة %	ملحوظات
١	الإنشائية	١٢,٦٢٤,٢٧٢ ريال	١٧,٥٥ %	تشمل (مساجد-آبار-..)
٢	الدعوة والتعليم	٣,٧٧٧,٠٢١ ريال	٥,٢٥ %	تشمل (طباعة كتب- مصاحف- قوافل دعوية)
٣	الكفارات	٨٤,٥٣٠,٠	١,١٧ %	كفارة يمين
٤	العقائق	١٨,١٥٠ ريال	٠,٠٢ %	----
٥	الصدقة	٤,١٥٢,٨٩١ ريال	٥,٧٧ %	----
٦	الزكاة	٣,٠٠٢,٣١٩	٤,١٧ %	----
٧	العام	١,٧٠٥,٠٩٧	٢,٣٧ %	غير مخصص لمشروع معين
٨	الكفالات	٤٩١,٤٣١	٠,٦٨ %	تشمل كفالة (يتيم-داعية - طالب علم-أرملة...)
٩	المشروط	٤٥,٢٨٥,٦٦٠	٦٢,٩٨ %	مشروع خاص بمتبرع كمسجد أو بئر
الإجمالي		٧١,٩٠٢,١٤١ ريال		

#### التعليق:

١. معظم التبرعات الواردة للمؤسسة مخصصة لمشروع معين كبناء مسجد أو حفر بئر متكامل، وليس للمؤسسة إلا مجرد التنفيذ والإشراف على المشروع، وهذا يمثل قرابة ٦٣٪ من مشاريع المؤسسة، فإذا انضاف إلى ذلك التبرعات المنفردة للمساهمات الإنشائية في بناء مسجد أو حفر بئر والتي تمثل قرابة ١٧٪، يتبين لنا أن ٨٠٪ من المشاريع المنفذة تصب في بناء المساجد أو حفر الآبار، وهذا بلا شك يبين لنا بجلاء الثقافة السائدة لدى المتبرعين في أوجه إنفاقهم.

٢. أن التبرعات العامة غير المقيدة بمشروع معين لا تمثل سوى ٣٧.٢٪، مع كونها من أهم الأبواب التي تعطي للمؤسسة حرية التصرف في الأموال تجاه المشاريع الأشد حاجة.
٣. لا يتمارى اثنان في أهمية الدعوة إلى الله تعالى ونشر دينه، وتعليم الناس أمور دينهم، ومع ذلك نجد أن هذا الباب لا يحظى بكبير اهتمام من المنفقين بدليل أنه لم يحصل إلا على نسبة زهيدة لا تتجاوز ٥٪ من التبرعات، وإذا قارنت هذا بما يبذله الكفار لنشر دياناتهم الباطلة فإنك بلا شك ستزداد أسى وحسرة على أهل الإسلام، وهذا ما يجعل أحوال المدارس الإسلامية في العالم الإسلامي مؤسفة لا من حيث الإنشاء والتجهيزات ولا من حيث جودة الأداء.
٤. بالرغم من السيولة الضخمة بالبلاد عام ١٤٣٤ / ٢٠١٣، كما بينه التقرير الإحصائي السنوي للسوق المالية السعودية (تداول)، ورغم الزيادة الملحوظة في المؤشر بنسبة ٢٥٪ عن عام ٢٠١٢، حيث بلغت القيمة الإجمالية للأسهم المتداولة ٧٥٢,١ مليار ريال أي ما يعادل ٤٦٧.٤٣ مليار دولار<sup>(١١١)</sup>، فإذا أضفنا إلى هذا المؤشر مؤشراً آخر وهو المؤشر العقاري والذي رصد لنا إجمالي قيمة الصفقات العقارية التي تمت عام ١٤٣٤ هـ في منطقة الرياض فقط أكثر من ١٢٩ مليار ريال<sup>(١١٢)</sup>، إضافة إلى كون المملكة العربية السعودية هيمنت على قائمة أغنياء العرب، حيث استحوذ السعوديون على نحو ٢٣ مركزاً ضمن القائمة التي تشمل أغنى ٥٠ عربياً، ويجمالي ثروات يتجاوز ١٤٢.١٣ مليار دولار<sup>(١١٣)</sup>، فهل هذه المبالغ الضخمة تناسب الموارد المالية البسيطة للمؤسسات والجمعيات الخيرية؟! أو مبالغ الزكاة البسيطة المدفوعة لهذه المؤسسة والبالغة (٣ مليون ريال فقط)؟!!

## المبحث الثاني: الإنفاق لدى غير المسلمين.

### المطلب الأول: دوافع الإنفاق لدى غير المسلمين.

ثمة دوافع عدة لغير المسلمين وبخاصة الغربيين في بذل أموالهم للأعمال الخيرية، ويمكن إيجاز أهم هذه الدوافع من خلال النقاط الآتية:

١. **الثقافة المجتمعية:** كثير من المساهمين في الأعمال الخيرية من غير المسلمين يكون دوافعهم قناعات داخلية مبنية على أن من يملك ثروة مالية لا بد له أن يكون عوناً للآخرين، ووفق فلسفة أحد أوائل المناصرين للأعمال الخيرية وهو أندرو كارنجي رجل الأعمال الأمريكي الثري الذي يرى أن الإنسان الثري هو نتيجة الانتقاء الطبيعي لقوى المنافسة، وبكسبه الثروة يصبح هذا الإنسان وكيلاً للحضارة، وتصبح الأعمال الخيرية أداة لتحسين الحضارة وتحل كبديل عن الإصلاحات الجذرية<sup>(١١٤)</sup>، وهذه الرؤية كما هي حاضرة عند رجال الأعمال الغربيين فحضورها عند الشرقيين ليس بأقل من ذلك إذ يقول الملياردير الهندي عظيم بريجي ثالث أثرياء الهند: "إن أغنى الأغنياء عليهم المساهمة كثيراً في محاولة إيجاد عالم أفضل لملايين الأشخاص الذين لا يتمتعون بالحظوة ذاتها"<sup>(١١٥)</sup>، فمثل هذه الرؤى والقناعات التي يدرك فيها الغني أن الثروة نصيب واصطفاء لا يخول الغني الانكفاء على الذات بل لا بد من المشاركة المجتمعية لمن لم يحالفهم نفس هذا الحظ، وأن مسؤولية إيجاد عالم أفضل للفقراء تقع على عاتق الأغنياء.

ومن طبيعة الثقافة الأمريكية والأوروبية تخصيص كل أسرة تلقائياً وبشكل منتظم نحو ٢% من دخلها للجمعيات الخيرية والمنظمات غير الحكومية، أي أنها تؤدي ما يقابل ذلك في الإسلام من الزكاة<sup>(١١٦)</sup>.

٢. **البعد الديني:** قد يتعجب البعض أن لدى غير المسلمين بعداً دينياً وراء حرصهم على الإنفاق في الأعمال الخيرية، ولعل هذا العجب يزول إذا علمنا أن حجم التبرعات للمنظمات الدينية والكنائس في أمريكا بلغت ٨٠.٩٦ مليار دولار في

عام ٢٠٠١، وفي عام ٢٠٠٣ ارتفعت لتصل إلى ٨٦ مليار دولار، وأن نسبة التبرع للمنظمات الدينية تبلغ ٣٨٪ من مجموع التبرعات الكلي<sup>(١١٧)</sup>، وقد أخبر الله تعالى عن المشركين بأنهم: ﴿يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(١١٨)</sup>، بل إن المساعدات الدينية تمتد من المؤسسات الخيرية إلى الحكومات، وعلى سبيل المثال تُقدم الحكومة الأمريكية من خلال البيت الأبيض مكافآت خاصة بالمؤسسات الدينية الخيرية وأفرادها وزعمائها، ومن بين تلك المؤسسات الخيرية الدينية أكثر من (٥٠٠) مؤسسة، تم اختيار (٢٥) مؤسسة دينية اختارتها الحكومة الفيدرالية الأمريكية لنيل هذه المكافأة عام ٢٠٠٢م، ومن أبرزها مؤسسة (عملية التبارك الدولي)، ومركزها ولاية فرجينيا، ويرأسها المتطرف الديني القس بات روبرتسون- وهو حاصل على جائزة "أصدقاء دولة إسرائيل" سنة ٢٠٠٢ من المنظمة الصهيونية بأميركا-، و تحصل هذه المؤسسة على تبرعات ضخمة من قبل عامة الناس في تمويل عملها وأنشطتها، وخاصة من خلال البرنامج اليومي الشهير "نادي السبعمئة" والذي يتحدث فيه بات روبرتسون ويُبث من عدة قنوات، وقد بلغت هذه المنحة نصف مليون دولار كدفعة أولى<sup>(١١٩)</sup>، كما أسس روبرتسون وكالة البث النصرانية (CBN) التي تحولت إلى إمبراطورية إعلامية ضخمة أسسها بإمكانات محدودة عام ١٩٦٠م، وتحولت عبر الزمن إلى وكالة ضخمة تُشاهد برامجها في ١٨٠ دولة وتذاع بـ٧١ لغة، كما أسس جامعة باسم جامعة وكالة البث المسيحية عام ١٩٧٧ (تسمى حالياً جامعة ريجينت)<sup>(١٢٠)</sup>، ومكتباً قانونياً يُعرف باسم المركز الأميركي للقانون والعدالة الذي يتخصص في الدفاع عن قضايا المسيحيين المتدينين في الحياة العامة الأمريكية<sup>(١٢١)</sup>، كما استُحدث في البيت الأبيض- ولأول مرة في تاريخ أميركا- مكتبٌ يُعنى بالشؤون الدينية، واسمه مكتب البيت الأبيض للأديان والمبادرات الاجتماعية<sup>(١٢٢)</sup>.

٣. **التشجيع الحكومي:** يحظى التبرع للمنظمات والجهات اللائحة في كثير من المجتمعات الغربية وبخاصة الأمريكية إلى تشجيع على مستوى السلطات العليا في

الحكومة، وعلى سبيل المثال طلب الرئيس جورج دبليو بوش عام ٢٠٠٢ من جميع الأميركيين تخصيص ستين على الأقل أي ما يعادل ٤٠٠٠ ساعة عمل في خدمة مجتمعاتهم وبلدهم والعالم<sup>(١٢٣)</sup>، إضافة إلى كون القانون الأمريكي يفرض على الشركات بأن تبرع بـ ٥٪ من عوائدها للجمعيات اللاربحية الخيرية سنوياً<sup>(١٢٤)</sup>، ويمتلك مركز المؤسسات اللاربحية في ولاية نيوجيرسي حوالي ٥٩ مليار دولار من الممتلكات، وأكثر من ٤١ مليار دولار من الدخل، يمثل الدعم الحكومي لها أكثر من السدس وفق تقرير ٢٠٠٤-٢٠٠٥<sup>(١٢٥)</sup>.

٤. **المكانة الاجتماعية:** لا يخفى على مطلع أن تحقيق مركز اجتماعي غاية يسعى لها كثير من الناس فضلاً عن خاصتهم وأغنيائهم، ومن يحصل على مثل هذا المركز الاجتماعي يحظى بمكانة اجتماعية عالية وبتقدير على مستوى واسع من أفراد مجتمعه وقادته، كما يحظى باهتمام تجاه المشاريع التي يقوم بها، إضافة إلى الاهتمام الإعلامي بالإشادة به والرفع من شأنه، فيتولد من جراء ذلك علاقة حميمة بين أفراد المجتمع ومن يحقق خدمه لهم لما يُكونه له من الامتنان والولاء لما يشاهدونه من أعماله المجتمعية على أرض الواقع، كما أن العاملين في قطاع أي شركة يكون لها مساهمات إنسانية يتولد عندهم نوع من الفخر برؤسائهم وارتباطهم الشخصي مع جهود الشركة، وهو ما يرفع من معنويات الموظف ويولد الإحساس بالانتماء إلى الشركة<sup>(١٢٦)</sup>.

وفي عالم بعيد كل البعد عن الأعمال الخيرية؛ لكونه منغمس في الترفيه والفن والرياضة نجد أن من يُسمون (نجوماً) في الدول الغربية يسعون للقيام بأعمال خيرية مساندة كزيارة الفقراء أو المواقع المدمرة جراء الحروب والزلازل، كما يقومون بجمع التبرعات لقضايا إنسانية، أو تحقيق حلم طفل مريض، وأصبحت مثل هذه الحالات يتكرر حصولها بشكل دوري حتى أن مجلة تايم منحت سنة ٢٠٠٥ لقب "سنة الترفيه الخيري"<sup>(١٢٧)</sup>، ومثل هذه الظاهرة قد انتشرت بين هؤلاء (النجوم)؛ لكونها تُتيح للنجوم إبلاغ معجبيهم و نقادهم أنهم أكثر من الشخصيات التمثيلية التي يصورونها، أو الثياب التي يرتدونها، أو الحفلات الدعائية التي يحضرونها، وهذا بلا شك يزيد من اهتمام عامة الناس بالإحسان وتشجيعهم على المشاركة أكثر أو تقديم المساهمات الخيرية.

وتعزيزاً لمثل هذا السلوك من هؤلاء المشاهير يقوم أحد المراكز المشهورة وهو مركز المؤسسات الخيرية بإدراج أسماء عاملي الخير السابقين والحاليين المشهورين على موقعه<sup>(١٢٨)</sup>، وكذلك على موقع أنظر إلى النجوم الذي يعلن عن نشاط ١٦٠ من الشخصيات المشهورة في دعمهم لمجموعة متنوعة من الأعمال الخيرية<sup>(١٢٩)</sup>، ويتم تحديث هذا الموقع بانتظام، كما تمّ تعيين أول عشر مؤسسات خيرية يدعمها المشاهير، والقصد من إيراد أسماء النجوم ونشاطاتهم تأكيداً للمعلومة وأن الأمر ليس مجرد مجازفة، وأن بإمكان أي شخص متابعة هذه النشاطات عبر الموقع المذكور، وعلى سبيل المثال: الإعلامية المشهورة أوبرا وينفري مقدمة برنامج تلفزيوني ترفيهي يشاهده أسبوعياً ملايين الأميركيين تساهم بشكل واسع في الأعمال الخيرية عبر مؤسستها الخيرية وعبر طرحها في برنامجها التلفزيوني بعض القضايا الخيرية، ومن ذلك: بعد عرضها للزلزال المروع الذي ضرب باكستان عام ٢٠٠٥ وما لاقاه الأطفال من الدراسة في مدارس الخيام استطاعت أن تجمع من مشاهديها ٥٠٠.٠٠٠ دولار لهذه المدارس<sup>(١٣٠)</sup>.

٥. **الحصول على الإعفاءات الضريبية:** إن قانون الضرائب الغربي يقوم بإعطاء إعفاء ضريبي لكل شخص تبرع بالمبلغ المقرر عليه سنوياً للضرائب لأي جهة دينية سواء كانت كنيسة أو معبد يهودي أو حتى معبد بوذي أو هندوسي أو حتى جمعية أو منظمة غير ربحية تقوم وتختص بالأعمال الخيرية، وهذا المسلك أعطى سيولة رهيبية لكل المؤسسات الخيرية تستطيع أن تنفق كيفما تشاء من خلال استغلال هذا البند<sup>(١٣١)</sup>.

ومن المعلوم أن الإعفاء الضريبي يشمل حتى العمل الخيري غير النقدي، بحيث تقدم المؤسسة أو الفرد استشارات خيرية ويتم تكبيرها في القوائم المالية لتحقيق إعفاء ضريبي أو تهرب ضريبي أحياناً؛ من أجل هذا يرى بعض الباحثين أن غالب قصد كثير من رجال الأعمال الأميركيين في التبرعات بلا عائد كما تسميه بعض الدراسات الغربية هو الحصول على المزايا المدنية وليس لدافع ديني، وأن من أهم تلك المزايا الإعفاء الضريبي كما سبق<sup>(١٣٢)</sup>.

٦. خدمة المجتمع: في التقرير الصادر من مركز المؤسسات اللاربحية في ولاية نيوجيرسى - السابق الذكر - عام ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥ يوضح لنا الرسالة التي تسعى المؤسسات اللاربحية إلى تحقيقها، فقد جاء فيه: "تلعب المنظمات اللاربحية في نيوجيرسى دوراً منتظماً ومميزاً في تجربتنا الحياتية اليومية: فعبها نسعى للترفيه وممارسة الهوايات، ونستمتع بالفنون، ونلبي حاجتنا الروحية، توفر المؤسسات اللاربحية العناية بأطفالنا وبكبار السن وبالمحتاجين، كما تؤمن الحصول على الرعاية الصحية والسعى للتعليم وبناء المجتمع، قطاع نيوجيرسى اللاربحي هو تعبير عن كيف نعيش، ماذا نُقيم، وأين نلجأ للمتعة، وإلى من نلجأ عند الحاجة...". ثم يأتي التعريف بهذا القطاع على صورة الاستفهام (من نحن؟)، ليأتي الجواب: "نيوجيرسى هي موطن لأكثر من ٢٥,٠٠٠ منظمة إنسانية، بما فيها مراكز الحضانة، والعيادات الطبية، ومراكز إيواء المشردين، والمستشفيات والمنظمات القائمة على الدين، والمجموعات البيئية، والمكتبات، وفرق الأوركسترا، ومراكز جمعيات الشبان المسيحيين، والجامعات، ومراكز إيواء الحيوانات، والعديد من المؤسسات الأخرى التي تخدم الصالح العام"<sup>(١٣٣)</sup>، فيتضح من هذه الرسالة الدور الفاعل للقطاع الخيري في خدمة المجتمع، فهو دور شامل لجميع نواحي الحياة بدءاً بالأطفال وانتهاءً بالمسنين وذوي الاحتياجات الخاصة، مروراً بالجوانب التعليمية والصحية والترفيهية، فخدمة الصالح العام لا يقتصر على جانب واحد من الجوانب المجتمعية بل يتعدى ذلك ليشمل جميع القطاعات والأفراد والتي يحصل بخدمتهم خدمة المجتمع بأسره.

ومن الأمثلة العملية على حرص الأفراد على خدمة مجتمعاتهم ما أفاده المكتب الأمريكي للإحصاء أن التطوع بالنسبة للأشخاص بلغ حوالى ٣.٦٤ مليون شخص، وأن ساعات التطوع في المجتمع الأمريكي في عام ٢٠١١ ارتفع بمعدل ٥.٠ نقطة مئوية إلى ٨.٢٦٪ أي ما يقارب ٣.٦٤ مليون شخص يقدمون سنوياً نحواً من عشرين مليار ساعة عمل<sup>(١٣٤)</sup>، وفي كندا أكثر من ١٣ مليون متطوع ما يعادل ٤٧٪ من نسبة

الكنديين وقد بلغت ساعات التطوع في عام واحد تقريباً ٢.٠٧٠.٠٠٠.٠٠٠ ساعة أنشطة المتطوعين، وعندما يقدم الشخص سواء أكان في أمريكا أم كندا أم بريطانيا سيرته الذاتية للعمل يُنظر إلى ساعات التطوع كجزء رئيس من حصول الشخص على فرصة أكبر للعمل، وكلما زاد عدد ساعات التطوع، زادت نسبة وفرصة ذلك الشخص في الحصول على عمل<sup>(١٣٥)</sup>!

### المطلب الثاني: نماذج للإنفاق لدى غير المسلمين قديماً وحديثاً.

سنعرض فيما يلي نماذج للإنفاق لدى غير المسلمين، وقد تم اختيار نماذج من بعض الدول التي لها عناية بالأعمال الخيرية من أمريكا وأوروبا وآسيا وهي: أمريكا، وبريطانيا، واليابان، وفيما يلي تفصيل الكلام عن كل دولة من هذه الدول:

**أولاً: أمريكا:** يُطلق على العمل الخيري في أمريكا القطاع الثالث أو المستقل<sup>(١٣٦)</sup>؛ لأن القطاعات الفاعلة في تحقيق التنمية الشاملة في الاقتصاد ثلاث قطاعات وهي: القطاع الحكومي، والقطاع الخاص، والقطاع الخيري أو غير الربحي بكل أشكاله<sup>(١٣٧)</sup>، ويسمى أيضاً الاقتصاد الاجتماعي، والقطاع الخفي، أو الجمعيات الخيرية العامة، وهو يحتل مساحة واسعة من نشاط مؤسسات المجتمع المدني؛ وقد شهدت أمريكا في الفترة الأخيرة من نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين نمواً ملحوظاً في المؤسسات الوقفية الكبرى والتي أصبحت تمثل نماذج متقدمة للمؤسسات المانحة، كما برز في أمريكا عدد من المليونيرات الجدد الذين جمعوا مبالغ هائلة من الأموال خلال فترة الثورة الصناعية، وبدأ هؤلاء في البحث عن كيفية استخدام ثرواتهم الضخمة في العمل الاجتماعي؟ وأبدوا تفاعلاً عجباً مع التغيرات الاقتصادية والاجتماعية الضخمة التي يعيشها المجتمع الأمريكي؛ لتصبح الصناعة وسيلة لتحسين أحوال أفراد المجتمع وليست مجرد وسيلة لتراكم الثروة<sup>(١٣٨)</sup>، وقد تحقق ذلك من خلال كبار المليونيرات الأمريكان قديماً مثل: روكفلرو كارنيجي وفورد، وحديثاً أمثال بيل غيتس، وفيما يلي بيان لبعض إسهاماتهم:

١. **روكفلر:** كان نشاط مؤسسات المليونير روكفلر الوقفية في بداية القرن العشرين، فقام بإعطاء نسبة محددة من دخله لأعمال الخير منذ بلغ السادسة عشرة من عمره، مما كان له الأثر البالغ على كثير من الأثرياء حتى عرفت تلك الفترة بالعصر الذهبي للمؤسسات الوقفية الأمريكية.
٢. **كارنيجي:** كان المليونير كارنيجي المهاجر الاسكتلندي يشجع اقتراح فرض ضريبة على تركات المليونيرات الذين يُحجمون عن العطاء الخيري أثناء حياتهم، حتى لا يتركوا هذه الثروات لورثتهم يديرونها، فتتعرض لمشاكل إدارية قد تخرجها عن رغبات المورث الموصي، لذا قرر إنشاء مؤسسته العملاقة شركة كارنيجي لتحسين أحوال الشعب في المملكة المتحدة وإيرلندا عام ١٩١١.
٣. **هنري فورد:** وضع الملياردير هنري فورد أساس ما أصبح فيما بعد مؤسسة وقفية عملاقة، حيث قام بتحويل ٩٠٪ من أسهم شركته إلى هذه المؤسسة الوقفية، وقد تركز عمل المؤسسة في رأس المال الاجتماعي والابتكارات الاجتماعية لتحقيق التنمية المستدامة للمجتمع، وبلغ رأسمالها ١١ مليار دولار<sup>(١٣٩)</sup>.
٤. **بيل غيتس<sup>(١٤٠)</sup>:** وقد أسس مؤسسة خيرية تحمل اسمه واسم زوجته ميلندا، وهي مؤسسة وقفية مانحة تمنح الأعطيات والأموال وتساند الجمعيات، أسسها عام ٢٠٠٠م، وبلغ رأسمالها ٦.٣٧ مليار دولار وفق إحصائيات ٢٠٠٧<sup>(١٤١)</sup>.
٥. **مارك زوكربيرج:** رجل أعمال ومبرمج أميركي، أشتهر بتأسيسه موقع الفيس بوك الاجتماعي، وهو أكبر موقع اجتماعي في العالم، في يوم ٢ ديسمبر ٢٠١٥ أعلن مارك زوكربيرج وزوجته بريسيلا تشان تخليهم عن ٩٩٪ من ثروتهم والتي تبلغ حوالي ٤٥ مليار دولار، بعد أن رزقا بنت<sup>(١٤٢)</sup>.

#### الجمعيات والمؤسسات الخيرية الأمريكية:

١. وفقاً للمركز الوطني الأمريكي لإحصاءات العمل الخيري (NCCS) يضم القطاع الخيري بشقيه الوقفي والتبرع قرابة ١.٥١٤.٩٧٢ منظمة وجمعية في عام ٢٠٠٣م، وبلغت في عام ٢٠١٢م (٥٩٦, ٥٦٣, ١) جمعية، ويتم الترخيص يومياً

لـ ٢٠٠ جمعية تعمل في هذا المجال، وينتظم في هذا القطاع قرابة ١١ مليون موظف<sup>(١٤٣)</sup>، كما تشير الإحصاءات إلى أن هناك ٦٤٨٠٠ مؤسسة مالية خيرية في الولايات المتحدة، ينحصر نشاطها في توفير مصادر مالية لتمويل المشاريع الخيرية، وترتبط هذه المؤسسات بأوقاف ضخمة لأصحاب مؤسسات مالية مشهورة، ويصل مجموع أوقافها ٤٣٥ مليار دولار، وتوزع من ريعها السنوي ٣٠ مليار دولار في كل المجالات الاجتماعية تقريباً<sup>(١٤٤)</sup>، وهناك كتاب يصدر بشكل سنوي بعنوان عطاء أمريكا (GivingUSA)، لرصد حجم العطاء، وجهاته، ومقارناته بالأعوام السابقة.

٢. هناك مؤسسة تطوعية أمريكية واحدة تدعى (يوناييتد ويز United Ways) لديها ١٨٠٠ فرع حول العالم<sup>(١٤٥)</sup>، كما أن جمعية مكافحة السرطان بأمريكا تتلقى ٤٠٠ مليون دولار سنوياً كتبرعات من الأفراد ولها فروع في كل ولاية<sup>(١٤٦)</sup>.

٣. يبلغ رأس مال شركة ليلي إنداوفت Lilly ١٣ مليار دولار! تبرعت لمدينة نيويورك بـ ٣٠ مليون دولار بعد الأحداث، وقد بلغ إجمالي التبرعات لإغاثة نيويورك من الجمعيات اللاربحية فقط ٧٠٠ مليون دولار<sup>(١٤٧)</sup>.

٤. من أهم مراكز المؤسسات غير الربحية مركز المؤسسات اللاربحية في ولاية نيوجيرسي الواقعة على الساحل الشمالي الشرقي للولايات المتحدة حيث تعتبر نيوجيرسي موطناً لأكثر من ٢٥.٠٠٠ منظمة إنسانية، وفي تقرير لهذه المركز صادر للفترة ٢٠٠٤-٢٠٠٥م يفيد أن هذه المؤسسات تمتلك حوالي ٥٩ مليار دولار من الممتلكات، وأكثر من ٤١ مليار دولار من الدخل، ويعمل فيها أكثر من ٢٧٢.٠٠٠ موظف<sup>(١٤٨)</sup>.

٥. يزداد حجم التبرعات في أمريكا على مختلف الأصعدة، ومن كافة شرائح المجتمع ومؤسساته، حتى وصلت في عام ٢٠١١م إلى (٢٩٨.٤٢) مليار دولار بزيادة ٠.٩٪ عن عام ٢٠١٠، والجدول الآتي يبين مصادر التبرع عام ٢٠١٠<sup>(١٤٩)</sup>:

م	مصدر المساهمة	٢٠١٠م
١	تبرعات الأفراد	١٦٠,٧٢ مليار
٢	المنظمات	٢٥,٩٠ مليار
٣	وصايا الأموات	١٦,٣٣ مليار
٤	الشركات	٩,٠٥ مليار
	المجموع	٢١٢ مليار

ويُلاحظ من هذا الجدول أن تبرعات الأفراد قد فاقت القنوات الأخرى للتبرع، مما يدل على أن ثقافة التبرع لدى الشعب الأمريكي سائدة في المجتمع مهما كان دخل الفرد، ومما يؤكد ذلك أن الفرد الأمريكي في ولايات جنوب أمريكا -والتي تُعد الأكثر فقراً على مستوى الولايات المتحدة- ينفق (٤٠٧٠) دولاراً سنوياً على الأعمال الخيرية.

ثانياً: بريطانيا: يوجد في بريطانيا ما يزيد على ١٧٠ ألف جمعية خيرية غير ربحية، ودخل هذه الجمعيات بحسب ٢٠١٢م ٣٧ مليار جنيه إسترليني<sup>(١٥٠)</sup> (ما يزيد على ٥٢٦ مليار دولار)، وقد نشرت صحيفة الجارديان البريطانية تقريراً حول أعلى ١٠٠٠ جمعية خيرية بريطانية من حيث الدخل، وكان من ضمن العشرة الأوائل: معهد أبحاث السرطان في المملكة المتحدة، وصندوق حفظ الأطفال (SAVE THE CHILDREN)، ورابطة جمعية للمكفوفين، وصندوق مساعدة النصارى (AID CHRISTIAN)<sup>(١٥١)</sup>.

من أبرز المؤسسات الخيرية في بريطانيا مؤسسة ويلكوم ترست الخيرية للبحوث الطبية الحيوية ومقرها في لندن، تأسست في عام ١٩٣٦ وتبلغ ميزانيتها ١٦. ٦ مليار جنيه أسترليني (ما يعادل ٦.٢٣ مليار دولار)<sup>(١٥٢)</sup>، ومع بداية القرن العشرين بدأ في إنجلترا إنشاء أوقاف كبيرة الحجم من خلال عدد كبير من المساهمين<sup>(١٥٣)</sup>.

**ثالثاً:** اليابان: من المعلوم أن اليابان دولة بوذية لا تدين بأي دين سماوي ومع ذلك فإن لديها تجربة جيدة في العطاء الاجتماعي وبذل أموال البر والإحسان، كما يتجلى فيها الدور الذي اضطلع به القطاع الخاص في تحقيق التنمية الاجتماعية<sup>(١٥٤)</sup>، وخلال الفترة بين ١٩٧٥ و ١٩٨٢ تم إنشاء ١٢٠ مؤسسة وقفية مانحة؛ ونظراً لعدم إقبال رجل الأعمال الياباني على بذل وتقديم المساهمات الخيرية إلا لخدمة المصالح التجارية لشركته، وصعوبة إقناعه بأهمية إنشاء شركة خيرية فإن التوسع في هذا الأمر تم على المستوى المؤسسي أكثر منه على المستوى الشخصي، وقد قادت شركات صناعية عملاقة تغييراً كبيراً في مجال بذل الأموال منها شركة هوندا موتور، وسوني Sony، وميتسوبيشي إلكترونيك Mitsubishi Electric، كما قامت وزارة التجارة الدولية والصناعة بتشجيع هذه الإنجازات، حتى أن شركة ميتسوبيشي إلكترونيك قامت ببناء مدرسة لتعليم المعاقين كيفية استخدام الكمبيوتر، كما بدأت الصحافة اليابانية، بنشر تقارير عن الشركات اليابانية وترتيبها وفق المساهمات الخيرية، وعلى الرغم من أن بعض الدراسات تؤكد أن الخيرية اليابانية يحركها حب الغير والمصالح الخاصة، فإن اليابان استطاعت زيادة ميزانياتها الخيرية بصورة كبيرة<sup>(١٥٥)</sup>.

### **المطلب الثالث: مجالات الإنفاق لدى غير المسلمين.**

#### **١- الشؤون الدينية والاجتماعية:**

ما يتعلق بالشؤون الدينية: فإن الغربيين يروجون بأن مساعداتهم التي يقدمونها للبلدان الفقيرة نابعة عن دوافع إنسانية بحتة بعيدة عن أي أطماع أخرى دينية أو سياسية، لكن هذه الرؤية سرعان ما تتلاشى عند عرضها على مجهر الواقع والحال، فقد أضحت الجهود التنصيرية في بلدان العالم غير النصراني ضاربة بجذورها حتى في البلدان الإسلامية التي تتجاوز نسبة المسلمين فيها أكثر من ٩٥٪ فضلاً عن غيرهم، وتشير بعض الدراسات أن حجم التبرعات في أمريكا وصلت في عام ٢٠١١م إلى (٤٢.٢٩٨) مليار دولار، تذهب ما نسبته ٣٨٪ للجمعيات الدينية<sup>(١٥٦)</sup>، ومما يدل لذلك أن عدد المنظمات التنصيرية في العالم بلغت أربعاً وعشرين ألفاً وخمسة مائة

وثمانين ( ٢٤ . ٥٨٠ ) منظمة، وعدد المنظمات العاملة في مجالات الخدمة يزيد عن عشرين ألفاً وسبع مائة (٧٠٠, ٢٠) منظمة، ويبلغ عدد المنظمات التي تبعث منصرين متخصصين في مجالات التنصير والإغاثة ثلاثة آلاف وثمانين (٣٨٨٠) منظمة، وتتوزع هذه المنظمات منظمة "كاريتاس" التنصيرية وهي أكبر منظمة أمريكية عالمية تنصيرية تعمل تحت ستار المساعدات الخيرية، وتتواجد باستمرار في أي مكان يحتاج لمساعدات خيرية ولكن في نفس الوقت يتواجد معها جيش من المنصرين يقومون بنشر النصرانية على الناس الذين يحتاجون لأدنى درجات المساعدة، ويزيد عدد المعاهد التنصيرية على ثمانية وتسعين ألفاً وسبع مائة وعشرين (٩٨ . ٧٢٠) معهداً تنصيرياً، ويبلغ عدد المنصرين المتفرغين للعمل خارج إطار المجتمع النصراني أكثر من مائتين وثلاثة وسبعين ألفاً وسبع مائة وسبعين (٢٧٣٧٧٠) منصرًا، ويزيد عدد الكتب المؤلفة لأغراض التنصير عن اثنين وعشرين ألفاً ومائة (٢٢١٠٠) كتاب في لغات ولهجات متعددة، وبلغ عدد النشرات والمجلات الدورية المنتظمة ألفين ومائتين وسبعين (٢٢٧٠) نشرة ومجلة، توزع منها ملايين النسخ بلغات مختلفة، ويزيد عدد محطات الإذاعات التنصيرية على ألف وتسع مائة (١٩٠٠) إذاعة، تبث إلى أكثر من مائة (١٠٠) دولة وبلغاتها، وبلغت مجموع التبرعات التي حصل عليها المنصرون لعام واحد حوالي (١٥١ مليار) دولار أمريكي<sup>(١٥٧)</sup>، وتذكر بعض المصادر أن مخططاً للتنصير حتى عام ٢٠٢٥ ميلادي يهدف إلى أن تكون الميزانية الإجمالية للتنصير ٨٧٠ مليار دولار، وأن يبلغ عدد المحطات الإذاعية والتلفازية أكثر من ألفي محطة، وأن يتم تفريغ ٣ ملايين منصر، وأن يكون هناك ٤٥٠ دورية وكتاباً جديداً شهرياً<sup>(١٥٨)</sup>، وجل الأموال المصروفة على هذه المشاريع الدينية الضخمة ليست من قبل جهات حكومية، وإنما هي من قبل أفراد أو مؤسسات خيرية.

وأما المساهمات في الشؤون الاجتماعية: فمن أبرز النماذج ما قام به الاتحاد القومي لكرة السلة الأمريكية (إن بي أي كيرز) - السابق ذكره - وفقاً للموقع الإلكتروني لشبكة المنظمة ([http:// aol. nba. com/ nba\\_ cares/](http://aol.nba.com/nba_cares/)) أن الاتحاد

واللاعبين والفرق سيجمعون ويساهمون خلال خمس سنوات حوالي ١٠٠ مليون دولار لأعمال الإحسان، ويتبرعون بأكثر من مليون ساعة عمل على شكل خدمات تطوعية مباشرة للمجتمعات حول العالم، وبنون أكثر من ١٠٠ مكان يستطيع فيه الأولاد وعائلاتهم العيش، والتعلم، واللعب<sup>(١٥٩)</sup>، كما قام هذا الاتحاد بتنفيذ برنامج "القراءة للإنجاز"، حيث يهدف هذا البرنامج -الذي يقدم على مدار السنة- إلى مساعدة الأحداث في تطوير حب التعلم، وتشجيع الراشدين على القراءة المنتظمة مع الأطفال لدعم هذا الهدف، تُقدّر منظمة "أن بي أي كيرز" عدد المستفيدين من هذا البرنامج يصل إلى ٥ ملايين طفل سنوياً، وهو أكبر برنامج تعليمي في تاريخ الرياضة المحترفة.<sup>(١٦٠)</sup>

## ٢- التعليم:

يُعد التعليم ركيزة أساسية للأعمال الخيرية عند غير المسلمين، وعلى سبيل المثال تقوم العديد من المؤسسات الخيرية الأمريكية بالتوسع في تمويل الأبحاث لدعم التعليم العالي في سائر أنحاء العالم؛ ولهذا الهدف اجتمعت عدة مؤسسات خيرية أمريكية كمؤسسة جون دي، وكاثرين تي ماكارثر، ومؤسسة فورد، ومؤسسة روكفلر، ومؤسسة كارنيغي في نيويورك، ومؤسسة وليام وفلوراهيوليت، ومؤسسة أندرو ديليو في الشراكة للتعليم العالي في أفريقيا، وقدمت هذه المؤسسات الخيرية مجتمعة أكثر من ١٥٠ مليون دولار وتعهدت بإنفاق ٢٠٠ مليون دولار إضافية خلال خمس سنوات لدعم جامعات منتقاة في غانا، وموزمبيق، ونيجيريا، وجنوب أفريقيا، وتنزانيا، وأوغندا، وكينيا، وهي جامعات تشكل عناصر للتقدم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.<sup>(١٦١)</sup>

ويشير الدليل الإحصائي للنشاط الخيري في الولايات المتحدة لعام ٢٠٠١ إلى أن حجم التبرع للتعليم بلغ ٣١.٨٤ مليار دولار من مجموع التبرعات<sup>(١٦٢)</sup>، وأشهرها الأوقاف التعليمية الكبرى في الولايات المتحدة هي الأوقاف الجامعية، وأشهرها الصندوق التبرعي لجامعة هارفارد والتي تتصدر جامعات العالم بحجم بلغت قيمته عام ٢٠١٤ إلى أكثر من ثلاثين مليار دولار أي ما يصل إلى أكثر من مائة وعشرة مليار ريال سعودي، ثم جاء بعدها جامعة بيل بقيمة أوقاف تصل لحوالي عشرين مليار

دولار ما يعادل ٧٥ مليار ريال سعودي، ثم كل من جامعتي برنستون وستانفورد بقيمة وقفية تصل إلى سبعة عشر مليار دولار لكل منهم (٦٣ مليار ريال)، وتأتي جامعة ام آي تي MIT خامساً بإجمالي يصل إلى أكثر من عشرة مليارات دولار أي ما يصل إلى حوالي ٣٨ مليار ريال سعودي، ولم تقتصر برامج الأوقاف في الولايات المتحدة على الجامعات الخاصة، بل إن الجامعات الحكومية تعمل بصفة دائمة على تعزيز أوقافها، وخير دليل على ذلك أن جامعة متشجن وجامعة تكساس Texas جاءتا سابع وثمان جامعة أمريكية في حجم أوقافها<sup>(١٦٣)</sup>.

وفي المملكة المتحدة لا تزال جامعة كامبردج تصدر الجامعات البريطانية بقيمة تزيد على عشرين مليار ريال سعودي تليها جامعة أكسفورد ثم جامعة ادنبرا وجامعة مانشستر<sup>(١٦٤)</sup>.

وفي اليابان ارتفعت نسبة مشاركة القطاع الخاص في تمويل البحث العلمي إلى ٧٥٪<sup>(١٦٥)</sup>، وبعض الدراسات توصلها إلى ٨٥٪<sup>(١٦٦)</sup> بينما مشاركة القطاع الحكومي ١٨٪<sup>(١٦٧)</sup>.

وحتى نعلم مدى تأثير البحث العلمي على اقتصاد الدول ونمائها نجد أن الصين قد قفزت بنسبة ١٠٠٪ في الإنفاق على البحث العلمي بين عامي ١٩٩٩ - ٢٠٠٩، وكوريا الجنوبية بنسبة ٦٠٪ لنفس الفترة! متجاوزة بذلك بعض الدول الكبرى بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية واليابان<sup>(١٦٨)</sup>.

والجدول الآتي يوضح اتجاهات المنفقين (الأفراد) بالتدرج، بحسب اهتمام الجهة المستفيدة من الإنفاق ونشاطها في أمريكا عام ٢٠٠٩ م<sup>(١٦٩)</sup>:

م	الجهة المستفيدة	المبلغ بالمليار	نسبته من الإنفاق
١	الدينية	٨٠,٩٦	٣٨,٢٪
٢	الأوقاف	٢٥,٩	١٣,٩٢٪
٣	التعليمية	٣١,٨٤	١٥٪
٤	الخدمات الاجتماعية	٢٠,٧١	٩,٧٪

م	الجهة المستفيدة	المبلغ بالمليار	نسبته من الإنفاق
٥	الصحية	١٨,٤٣	٨,٧%
٦	الثقافة والفنون والإنسانية	١٢,١٤	٥,٧%
٧	المنافع العامة	١١,٨٢	٥,٥%
٨	البيئة والحيوان	٦,٤١	٣%
٩	المعونات الدولية	٤,١٤	٢%
الإجمالي		٢١٢,٣٥	مليار دولار

والجدول الآتي يوضح اتجاهات واهتمامات المنظمات والمؤسسات الخيرية في

أمريكا، بحسب اهتمام الجهة المستفيدة من الإنفاق ونشاطها في أمريكا<sup>(١٧٠)</sup>،

م	الجهة المستفيدة	المبلغ بالمليار	نسبته من الإنفاق
١	الدينية	٨١,٧٨	٤٧%
٢	التعليمية	٢٧,٤٦	١٥,٥%
٣	الصحية	١٧,٩٥	١٠,٠٥%
٤	الخدمات الإنسانية	١٧,٣٦	٩,١%
٥	الفنون و الثقافة	١١,٠٧	٥,٨%
٦	المنافع العامة	١٠,٩٤	٥,٨%
٧	البيئة والحيوان	٥,٨٣	٥,٨%
٨	المعونات الدولية	٢,٦٥	١,٥%
٩	أخرى	١٥,١١	٧,٩%

ويُمكن من خلال هذه الإحصائيات تسجيل الملحوظات الآتية:

١. أن التبرعات الدينية تمثل النسبة الأعلى من اهتمامات الشعب الأمريكي والمؤسسات الخيرية، ولا ينبغي أن ننظر إلى هذه التجربة بالتشكيك بقدر ما هي للاستفادة منها.

٢. أن التعليم والصحة وخدمة المجتمع كل لا يتجزأ من احتياجات الإنسان ومتطلباته التي لا تنفك عنه ولا يمكن الاستغناء عنها؛ لأن غاية كل إنسان مهما كانت ديانتها أن يعيش حياة كريمة خالية من الأمراض والفقر، متطلعة إلى العلم والمعرفة.
٣. بالرغم من الاهتمامات التي نعدّها كمسلمين من سفاسف الأمور-كجمعيات الرفق بالحيوان- إلا أنها تلقى رواجاً ودعماً كبيراً، وعلى الرغم من كونها أقل ميزانية من غيرها، إلا أن ميزانياتها تعتبر ضخمة إذا علم أن هذه المليارات تتدفق بشكل سنوي، ما يدل على براعة واحترافية تلك المؤسسات في تسويق وترويج منتجاتها.
٤. أن جل اهتمامات الشعب الأمريكي منصبه لخدمة بلده أو أهداف بلده الدينية والاقتصادية، وأما المعونات التي لا طائل من ورائها لا يعيروها اهتماماً؛ فلهذا لا نستغرب أن نجد نسبة المعونات الدولية- في هذا البيان- هي الأقل.

### المبحث الثالث: الموازنة بين واقع الإفناق بين المسلمين وغيرهم في العصر الحاضر:

قبل الدخول في نتيجة الموازنة بين المسلمين وغيرهم في الإفناق يحسن بنا أن ننبه إلى أن الغرب -على جهة العموم- يتصف ببعض الصفات النبيلة والأخلاق الرفيعة كالإتقان وحب مساعدة الآخرين، والتي هي في الحقيقة أخلاق إسلامية حثت عليها الشريعة، وأن الاعتراف بمثل ذلك ومدح القوم بما فيهم من غير مبالغة هو من تمام العدل الذي أمرنا به ربنا بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ﴾<sup>(١٧١)</sup>، وقد امتدح الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه بعض الطبائع الجبلية عند الروم - وهم الأوربيون والأمريكان حالياً- فقال: (إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمَسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ وَأَمْنُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ)<sup>(١٧٢)</sup>، فقد ذكر رضي الله عنه أن الروم خير الناس لمسكين ويتيم وضعيف، مما يدل على رقة طبائعهم وحبهم لإعانة غيرهم، وهذا بلا شك على مستوى الأفراد أما الحكومات فالأمر-في نظري- مختلف تماماً.

وأما عن نتيجة الموازنة بين المسلمين وغيرهم في الإنفاق، فإنه يتجلى لنا بوضوح - بعد أن عرفنا في المبحثين السابقين دوافع ومجالات الإنفاق لدى المسلمين وغيرهم - البون الشاسع بين الفريقين، والفرق الواضح بينهما، ويحصل من جراء تأمل ذلك غبن حقيقي لكل مؤمن، إذ كيف استطاع أقوامٌ لا يؤمنون بالله ورسوله أن ينافسوا أهل الأيمان الذين دعاهم ربهم للإنفاق من رزقه، ودعاهم رسوله قولاً وعملاً، ومضى على ذلك سلف الأمة وخيرها، وأصبح من يُشار إليهم في الأعمال الخيرية معدودين، وأصبح الإنفاق فرعاً لا أصلاً، ونادراً لا غالباً، ومن أجل هذا أصبحنا نضخم أعمال بعض المحسنين مع بساطتها، وقد أشار إلى هذه الحقيقة رئيس تحرير مجلة "أريبيان بنس" تعليقاً على من وردت أسماؤهم في قائمة المجلة لعام ٢٠١٢ إلى أن أثرياء العرب هم الأكثر تقصيراً بين أثرياء العالم ومشاهيرهم في مجال الأعمال الخيرية<sup>(١٧٣)</sup>، ودعم ومساندة المجتمعات المدنية في بلدانهم، كما أنهم الأقل مساهمة في دعم التعليم والبحوث العلمية.

وإذا قارنا بنداً واحداً من البنود التي سبق ذكرها في مجالات الإنفاق لدى غير المسلمين - وهو بند الأوقاف في أمريكا والذي بلغ في عام واحد أكثر من ٢٥ مليار دولار، هذا من الأفراد، وأما المؤسسات المالية التي ينحصر نشاطها في تمويل المشاريع الخيرية فيصل مجموع أوقافها ٤٣٥ مليار دولار، وتوزع من ريعها السنوي ٣٠ مليار دولار، في مقابل ما نشاهده من تعثر كثير من الأوقاف لدى المسلمين ذات التكلفة البسيطة عدة سنوات دون أن يتمكن القائمين عليها من تغطية المبالغ اللازمة لها، وقد اطلعت على ما يزيد على أكثر من ١١٠ إعلاناً تسويقياً لأوقاف خيرية متنوعة في المملكة العربية السعودية ينتظر القائمون عليها أصحاب الأيدي البيضاء والمبادرات الكريمة من أصحاب رؤوس الأموال أن يتكرموا عليهم بفضول أموالهم من أجل كفالتها، مع كون المبالغ المطروحة لهذه الأوقاف بسيطة - غالباً -، ومع ذلك يمكث هؤلاء السنوات الطوال في انتظار من يتبرع ولو بطوبة أو دونها، وفيما يلي جدول يوضح نماذج لهذه الأوقاف، وتكلفتها والجهة المستفيدة منها:

رقم	اسم الوقف	مكانه	الجهة المستفيدة	قيمته
١	وقف الدعوة ٢	الربوعة/ تهامة	المكتب التعاوني	٦٠٠٠,٠٠٠ ريال
٢	وقف قفي	الخبيب/ بريدة	المكتب التعاوني بالخبيب بريدة	٣٠٠٠,٠٠٠ ريال
٣	الوقف القرآني	مكة المكرمة	جمعية تحفيظ القرآن بالكامل وقري بنى سليم	٤,٥٣١,٨٥٠ ريال
٤	الوقف الدعوي	بريدة	المكتب التعاوني في وسط بريدة	٢٠٠٠,٠٠٠ ريال
٥	وقف المشاريع الدعوية بالفارغ	الفارغ/ مهد الذهب	المكتب التعاوني بالفارغ	١,٥٠٠,٠٠٠ ريال
٦	وقف دعوي	جدة	المكتب النهائوني بشرق جدة	٥,٣٧٠,٠٠٠ ريال
٧	ربيع القلوب	محاييل عسير	جمعية تحفيظ القرآن بمحاييل عسير	٥,٥٢٢,٠٠٠ ريال
٨	وقف الدعوة بالرين	الرين/ القويعية	المكتب التعاوني بالرين	٥٠٠٠,٠٠٠ ريال
٩	الوقف الدعوي الأول	ينبع الصناعية	المكتب التعاوني بينع الصناعية	٣,٦٠٠,٠٠٠ ريال
١٠	وقف البيان	القويعية	جمعية تحفيظ القرآن بالقويعية	٢,٨٩٤,٠٠٠ ريال
١١	وقف بر الوالدين	الدليمية/ القصيم	جمعية البر بالدليمية	١,٣٥٠,٠٠٠ ريال
١٢	الوقف الخيري	تهامة قحطان	جمعية تحفيظ القرآن بتهامة قحطان	٤,٨٤٧,٥٠٠ ريال
١٣	وقف البر	عيون الجواء/ القصيم	جمعية البر بعيون الجواء	٦٠٠٠,٠٠٠ ريال
١٤	وقف الفقيد	العويقلية/ الحدود الشمالية	المكتب التعاوني بالعويقلية	٣٠٠٠,٠٠٠ ريال
١٥	وقف الوالدين الدعوي	ضباء/ تبوك	المكتب التعاوني بضباء	١,٦٠٠,٠٠٠ ريال
١٦	وقف القرآن الثاني	حوطة بنى تميم	جمعية تحفيظ القرآن بحوطة بنى تميم	٤٠٠٠,٠٠٠ ريال

اسم الوقف	مكانه	الجهة المستفيدة	قيمه
١٧ وقف خيركم	بريدة	المكتب التعاوني في وسط بريدة	٤,٣٠٠,٠٠٠ ريال
١٨ وقف الدعوة	الخرخير/ نجران	المكتب التعاوني بالخرخير	٣,٧٠٠,٠٠٠ ريال
١٩ وقف الشهادتين	بريدة	المكتب التعاوني بشرق بريدة	١,٥٠٠,٠٠٠ ريال
٢٠ وقف بر الوالدين	مرات/ شقراء	جمعية البر بمرات	٤٠٠٠,٠٠٠ ريال
٢١ دار الخير	المنطقة الشرقية	جمعية البر بالمنطقة الشرقية	٦٠٠٠,٠٠٠ ريال
٢٢ وقف زمزم الصحي ١	جدة	جمعية زمزم للخدمات الصحية	٣,٠٠٠,٠٠٠ ريال
٢٣ وقف الشفاء لعلاج أطفال السرطان	المدينة المنورة	الجمعية السعودية الخيرية لمكافحة السرطان	٨٠٠٠,٠٠٠ ريال
٢٤ وقف الأمل لدعم مرضى السرطان	المدينة المنورة	الجمعية السعودية الخيرية لمكافحة السرطان	٨٠٠٠,٠٠٠ ريال
٢٥ وقف الإيمان لرعاية مرضى السرطان	عنيزة	جمعية طهور لرعاية ومساندة مرضى السرطان	٨,٠٠٠,٠٠٠ ريال
المجموع			٩٧,٧٢٤,٣٥٠ ريال

نماذج للأوقاف في المملكة العربية السعودية

فمن خلال هذا البيان يمكن تسجيل الملحوظات الآتية:

١. أكثر الأوقاف المعلنة تدور حول ثلاثة محاور:

أ- المكاتب التعاونية لدعوة الجاليات.

ب- جمعيات تحفيظ القرآن الكريم.

ج- جمعيات البر.

وليس في هذه الأوقاف وقفاً تعليمياً، كما أن الأوقاف الصحية أقل الأوقاف

الموجودة وهي تمثل -بالنسبة لما اطلعت عليه- لا تتجاوز ٣٪.

٢. إجمالي تكلفة إنشاء ٢٥ وقفاً كما في البيان لا تتجاوز ٩٨ مليون ريال، ويمكن لواحد أو مجموعة بسيطة من رجال الأعمال أن يكلفها كلها، أو يكفل كل واحد من رجال الأعمال واحداً منها، مع العلم أن ٨٨٪ من هذه الأوقاف لا تتجاوز تكلفة الواحد منها ٦ مليون ريال، كما أن ١٠٪ منها لا تتجاوز الـ ١٥ مليون ريال، ومع ذلك يمكث أصحاب هذه المشاريع عدة سنوات ليتمكنوا من استيفاء كامل المبلغ؛ فلذا لجؤوا إلى عملية تجزأة الوقف إلى أسهم صغيرة أو استقبال مواد عينية حتى يحظوا بمشاركة أصحاب الدخول البسيطة، ولم يذكر كثير منهم التكلفة الإجمالية؛ لاستبعادهم كفالة الوقف مرة واحدة من شخص أو عدة أشخاص.

فهذه المقارنة لبند واحد من بنود مجالات الإنفاق بين المسلمين وغيرهم، وهو بند الأوقاف ووجدنا بينهما بوناً شاسعاً! وإذا كان هذا على مستوى الأفراد فإن النتيجة ذاتها على مستوى المؤسسات الخيرية إذ ذكرت بعض الدراسات أن حظ المسلمين من أغنى ٣٥ مؤسسة خيرية في العالم اثنتان فقط، بينما بقية المؤسسات لدول غير مسلمة<sup>(١٧٤)</sup>.

### المطلب الثاني: أسباب القصور في الإنفاق لدى المسلمين.

وأما عن الأسباب التي أوصلت إلى هذه المباشرة الواضحة فهي على النحو الآتي:

١. أن ابتعادنا عن الممارسات السلوكية الفعلية لتعاليم الإسلام هو الذي أبعدنا بحق عن الإسلام خاصة في مجالات التراحم والتكافل الاجتماعي والصدق في التعامل والإخلاص في أداء الواجب، والغرب توصل إلى ما توصل إليه نتيجة تفعيله وتجسيده لهذه السلوكيات فعلاً وقولاً في مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية، بل وحتى داخل المحيط الأسري.

٢. هناك بعض المعوقات البيروقراطية الإدارية والتي تحول دون تحقيق الأهداف المرسومة للأوقاف الخيرية، كما تحول دون مشاركة هذه الأوقاف في التعليم أو الصحة أو أي مشاريع خدمية، فتحولت الأوقاف في أحسن أحوالها من وسيلة لتقديم الخدمة والمنافع العامة إلى استثمار، ووجد مع نمط الاقتصاد الليبرالي

الرأسمالي نهم الاستثمار والتنمية لكامل الوقف ذاته على حساب نفعه  
وثمراته<sup>(١٧٥)</sup>.

٣. أن بعض الأثرياء العرب بعيد عن سلوكيات الحلال والربح الصافي من كل  
الشوائب المحرمة للحصول على المال، وجزء لا بأس منهم استغنوا نتاج طرق غير  
مشروعة أو بطرق يحوم حياها كل شبهات التحايل والاستغلال، وبالتالي فهم لا  
يرغبون بالبوح عن أموالهم ولا يريدون الإسهام في أفعال الخير؛ لأنها قد تكشف  
شيئاً من مكتسباتهم بطرق غير مشروعة نتيجة الفساد المالي والإداري في معظم  
الأقطار العربية، وربما يكون مثل هذه المكاسب الخبيثة مثبتة لأصحابها عن فعل  
الخير، والتنافس فيه، وغالب من يسعى للمال بطرق غير مشروعة يصرفه في لهوه  
وملذاته وفق ما تمليه عليه نزواته ورغباته.

٤. سبق أن ذكرنا أن من أهم دوافع غير المسلمين للإنفاق حرصهم على الحصول  
الإعفاءات الضريبية التي يفرضها النظام لمن يبذل ماله للأعمال الخيرية، وهذا يجد  
ذاته يُعد حافزاً مادياً لرجال الأعمال، إضافة إلى ما يحصلون عليه من حوافز  
معنوية من مجتمعهم.

٥. فلسفة النظام الاقتصادي الغربي القائم وهو النظام الخاص أو النظام الرأسمالي،  
حيث إن الدولة في النظام الخاص الرأسمالي مهيّدة عن الحياة الاقتصادية إلا  
الوظائف السياسية الثلاثة المعروفة (القضاء - الأمن - الدفاع)، فالدولة إن  
رغبت في توفير مورد مالي لها لتحقيق وظائفها أو المهام المنوطة بها فإنها تحتاج إلى  
استئذان الجهة التشريعية مثل مجلس الشيوخ أو الكونجرس للسماح لها بهذا المورد  
المالي، مع بيان الأسباب التي تتطلب هذا المورد، وفي ظل هذه القيود على  
شخصية الدولة لا يكون للدولة إلا أن تتوجه عبر وسائل الإعلام لتشجيع القطاع  
الخاص - الأكبر حجماً في الولايات المتحدة وأكثر البلاد الغربية - على التبرع  
وتقديم العمل الخيري أو التطوعي لمصلحة كثير من الأعمال والمشاريع  
الاجتماعية العامة، وتسلك في ذلك عدة مسالك دعائية ليس هذا مجال تفصيلها،

في حين أن فلسفة الأنظمة الاقتصادية القائمة في أكثر الدول الإسلامية تقوم على دور الدولة في تحقيق هذه المشاريع العامة والاجتماعية مثل مجانية التعليم، وإلزامية العلاج الصحي، والخدمة العسكرية الإلزامية، وغيرها من الجوانب، وهذا كله يقلل من الحاجة للعمل التطوعي والخيري العربي، ويقلل أيضا بل يكاد يلغى الدعايات والوسائل الإعلامية الداعية للعمل الخيري باستثناء المبادرات الفردية لبعض المراكز الصحية الخيرية الخاصة مثل علاج الأطفال المصابين بالسرطان وما شابهها.

٦. سياسة الغربيين في إدارة مؤسساتهم الخيرية، حيث يسلكون في ذلك مسلك المؤسسات التجارية كما يقول آلان أبرامسون المتخصص في شؤون قطاع الهيئات والمؤسسات الخيرية بمعهد آسن بواشنطن: "إن فعل الخير في عصرنا الراهن يحتذي حذو المؤسسات الرأسمالية الاستثمارية التي تجمع بين شركاء من صغار المستثمرين الراغبين في الاستثمار بصورة جماعية في شركة تجارية معينة"<sup>(١٧٦)</sup> فد(آلان) يقول هذا بعد أن استطاع أن يدفع بتبرعات الأميركيين نحو قمة بلغت ٢٦٠ مليون دولار خلال عام واحد، وذلك بزيادة عدد الأفراد - بمن فيهم غير الأثرياء- الذين يتبرعون بمبالغ صغيرة باستخدام الإنترنت للأغراض والقضايا التي يؤمنون بها، وفي بعض الأحيان قد يعنى التبرع تقديم المشورة أو الخبرة لمنظمة خيرية أو السعى للمشاركة في عضوية مجلس إدارة إحدى تلك المنظمات<sup>(١٧٧)</sup>.

٧. أن النشاط الاقتصادي الذي تقوده الدولة أو على الأقل تشرف عليه أدهى للقبول والتطبيق أكثر من مجرد مبادرات فردية وفق الفلسفة والتنظيمات الاقتصادية، وما يشهد لذلك في السنة ما روي عن عثمان ؓ: "إن الله كَيَزَعُ بالسلطان ما لا يَزَعُ بالقرآن"<sup>(١٧٨)</sup>، وروي عن عمر ؓ مثله في وصيته لأبى موسى الأشعري ؓ: "وَأَنْفُذِ الْحَقَّ إِذَا وَضَحَ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ يَحَقُّ لَا نَفَادَ لَهُ"<sup>(١٧٩)</sup>، فإن مجرد تشريع قانون ما لا يمكن أن تجد تطبيقه على أرض الواقع ما لم يحظ بوازع خارجي يلزم الناس بتطبيقه والعمل به، أما ترك الناس لوازعهم

الذاتى فهو وإن تحقق من فرد أو أفراد فإنه لا يمكن تحقيقه والعمل به لدى كل الأفراد، وهذا أمر آخر يفسر نجاح العمل الخيري في أمريكا وغيرها وسعة آفاقه، أكثر من توسعه وانتشاره في العالم العربى والإسلامى.

٨. النظرة السياسية لمن يقوم بالعمل الخيري خصوصاً في العالم الخارج عن الغرب، حيث يصنفونه ضمن قائمة الإرهاب العالمى، وأصبح العالم الإسلامى اليوم يحتاط لكثرة ما مارسه الإعلام من إساءة للعمل الخيري بتهم شتى كـ "الإرهاب" و "التطرف" وهذا وحده كفيلاً بتجفيف منابع العمل الخيري، في حين إن الجمعيات الخيرية الغربية بكافة اهتماماتها وكذلك اليهودية مصرح لها بالجمع بشكل كبير جداً، بل وتسخر وسائل الإعلام لهذا الهدف أيضاً.

وقد أكدت (ندوة مستقبل مؤسسات العمل الخيري الخليجي في ضوء الاتهام الأمريكى لها بتمويل الإرهاب) التى عقدها مركز الخليج للدراسات الإستراتيجية بالقاهرة: أن هناك حملات عداة تشنها الولايات المتحدة الأمريكية ضد الجمعيات الخيرية منذ أحداث سبتمبر للقضاء على دورها أو تقليص نشاطها سعياً إلى إعطاء الضوء الأخضر لمنظمات التنصير لتحل محلها... (وكذلك) تحقيق أغراض سياسية لخدمة أهداف إسرائيل التى تتلقى المعونات والدعم من واشنطن وتحاول ابتزاز أمريكا عن طريق اللوبي الصهيونى والجمعيات الموالية لها<sup>(١٨٠)</sup>.

وعند استعراض الملفات الإعلامية للحملات الغربية الموجهة ضد الأعمال الخيرية نجد أنها نالت المؤسسات الخيرية الإسلامية، بينما بقيت المؤسسات اليهودية والنصرانية وغيرها في مأمن من هذه الحملات، كما أن المطالب الموجهة لتلك المؤسسات الإسلامية ليست لتصحيح الأخطاء بقدر ما هى للبحث عن أخطاء، أو لاستصدار قرارات تجميد العمل أو الأرصدة، إضافة إلى أن تلك الحملات شاملة لمعظم دول العالم الغنى منها والفقير، وبخاصة المؤسسات المشهورة العاملة في التعليم والدعوة<sup>(١٨١)</sup>.

وبكل حال فإننا وإن اعتذرنا عن المسلمين المتقاعسين عن الأعمال الخيرية بسبب الخوف والهلع من هذا التصنيف المريع بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فإن هذا لا يُسَلِّم على إطلاقه؛ ذلك أن حال بعض المنفقين المسلمين قبل أحداث سبتمبر ليست بأفضل منها بعد هذه الأحداث، والذي اختلف هو أن بعض رجال الأعمال وجدوا شِماعَةً يُعَلِّقوا عليها تقاعسهم ومخلهم عن المسارعة في خدمة دينهم ومجتمعهم، وتخليهم عن المسؤولية الملقاة على عواتقهم، فلا يمكن مقارنة ما قدمه وأنفقه أمثال هؤلاء بما قدمه أثرياء غير المسلمين وبخاصة الغربيين منهم في الفترة نفسها، فالأرقام الفلكية التي نقرؤها لمؤسساتهم الخيرية أمر يفوق الخيال، ويُخطئ من يظن أننا نريد أن نتفوق على الغرب أو نتساوى معهم في الإنفاق؛ لكون هذه المقارنة ليست عادلة؛ لكون غير المسلمين وأثريائهم أكثر من المسلمين وأثريائهم، وإنما قصدنا هنا الموازنة بين ما تنفقه نحن المسلمون وما ينفقونه على طريقة النسبة والتناسب، بمعنى موازنة ما يقدمه رجل الأعمال المسلم أمام مدخولاته ورأس ماله مع ما ينفقه نظيره غير المسلم! وقد انتابني شيء من الفرح مقروناً بالانبهار عندما علمت بأن ميزانية مؤسسة قطر الخيرية مليار ريال قطري سنوياً<sup>(١٨٢)</sup>، ثم أصابني شيء من الإحباط عندما علمت أن عدد الجمعيات الخيرية والوقفية بأمریکا يتجاوز هذا الرقم (مليار).

٩. الجانب الدعائي: حيث يُتقن الغرب صناعة الدعاية بأسلوب احترافي متقن يجعل من السهل إقبال الناس إلى بذل أموالهم بمجرد مشاهدة الناس لها، وهذا قد يُقدم بشكل مباشر من قبل المؤسسات الخيرية، أو بشكل غير مباشر من قبل ممارسات يقدمها بعض المشاهير في برامج ذات شهرة جماهيرية واسعة لتعزيز نشاط معين والمساهمة فيه، وسبق أن ذكرنا نماذج من هذا النوع.

### المطلب الثالث: علاج أسباب القصور في الإنفاق لدى المسلمين.

في مجلس من مجالس النبوة استطاع النبي ﷺ أن يشحذ همم الناس للإنفاق إلى درجة أن النساء ألقين ما معهن من حُلِي قد لبسنه يتزين به يوم العيد، فهذه النفوس المؤمنة المترية بترية النبوة لم يجد النبي ﷺ مشقة في استخراج ما عندهم من الأموال وبذلها في سبيل الله؛ لكونه يخاطب أرضية جاهزة لل إعطاء وبذل ما في وسعها في سبيل الله.

وخلق مثل هذه الروح المتوثبة للعمل الخيري يحتاج إلى جهد جهيد في التربية على هذا السلوك منذ البدايات حتى يتقاد الناس لأعمال الخير في النهايات، فتربية النفوس على مثل هذا السلوك لا يكون بمجرد خطبة عابرة، أو كلمة بليغة، أو مقال صحفي، أو برنامج تلفزيوني؛ لأن تأثيرها يكون وليد اللحظة، ثم سرعان ما يخبو شيئاً فشيئاً حتى يتلاشى.

ونقصد بالتربية هنا التربية بمفهومها الشامل التي تشترك فيه جميع مؤسسات المجتمع المؤثرة في غرس هذا السلوك في نفوس الناشئة؛ للمساهمة في علاج القصور الحاصل لدى المسلمين في الإنفاق، وتجعل من ثقافة الإنفاق والمساهمة في الأعمال الخيرية ثقافة سائدة في المجتمع لا نادرة، وعادة مطردة لا يمكن أن يتخلى عنها أفرادها بأي حال من الأحوال؛ نتيجة لذلك الكم الضخم الذي يتلقاه المتربي من تراكمات معرفية، وأمط سلوكية، وقدوات عملية جعلت من تلك الثقافة سلوكاً متجذراً، كسائر السلوكيات التي لا يمكنه أن يتنازل عنها، ومن أهم مؤسسات المجتمع التي تخلق مثل هذه الروح، ما يلي:

#### أ- الأسرة:

تعتبر الأسرة المحضن الأساس الذي يتلقى فيه المتربي عقيدته وسلوكياته وعاداته، ومتى ما كان ذلك المحضن تربة طيبة فإن نباتها سيكون طيباً حسناً، ويمكن لهذا المحضن أن يسهم في تربية الناشئة على حب البذل والعطاء والسعي في مساعدة الآخرين بعدة طرق، منها على سبيل المثال:

١. القدوة: فلاشك أن أنجع الأساليب وأكثرها تأثيراً في تربية الناشئة التربية عن طريق القدوة، فإن أثرها أبلغ من سيل من الأوامر والنواهي والنصائح والتوجيهات، فالابن يتأثر بوالده، والبنت بوالدتها إذا وجدوهما يسارعان لإطعام جائع أو كسوة عاري أو إعانة محتاج، فيتربى الأولاد على البذل منذ نعومة أظفارهم؛ ليألفوه حتى يشبوا عليه.

٢. إشراك الناشئة في البذل في الحملات التي تقدم للمنكوبين أو المصابين بكموارث طبيعية أو حربية.
٣. إشعار النشء بقضية الجسد الواحد وأن مصاب المسلمين مهما تباعدت أقطارهم يعتبر مصاباً للمسلمين جميعاً.
٤. بالإمكان ابتكار بعض الوسائل الداخلية في المنزل كصندوق تجمع فيه التبرعات مما فضل من مصروفهم ثم إعطائها لمحتاج أو جمعية خيرية أو لتبني مشروع خيري معين.

#### ب- التعليم:

لا شك أن للتعليم الأثر البالغ على سلوكيات الناشئة، وأن أثر المعلم في كثير من الأحيان أبلغ من أثر الوالدين، وأن الأبناء متى ما وجدوا معلماً قدوة فاضلاً أحبوه بقلوبهم، وأحبوا سلوكياته وما يدعو إليه، واستطاع المعلم بذلك أن يغرس العادات والسلوكيات الإسلامية، مثل حب الخير للغير والتعاون على البر والتقوى، ومن الخطوات العملية التي يمكن اتخاذها في هذا:

١. تشجيع الطالب على بذل وقته في تقديم الأعمال التطوعية، وأن يكون ذلك إلزامياً في التعليم وذلك يربط استلام الشهادة في نهاية كل مرحلة بساعات معينة للتطوع، كما عليه العمل في الدول المتقدمة، وعلى سبيل المثال في أمريكا لا يمكن قبول الطالب في الجامعة بعد تخرجه من الثانوية إلا إذا كانت لديه ساعات في التطوع في أي مجال يختاره، ويجب أن ألا يقل عدد الساعات عن أربعين ساعة، وكلما زاد في ساعات التطوع زاد من فرصته في القبول في الجامعة، بل إن بعض الدول الغربية إذا ما عمل الطالب في المدرسة الثانوية أكثر من ٢٥٠ ساعة تطوع فإنه يمكنه الحصول على منحة دراسية مجانية في الجامعة<sup>(١٨٣)</sup>.
٢. غرس حب الإنفاق والسعي في ذلك بخطوات عملية، كصندوق لإعانة الطلاب المحتاجين في المدرسة، يتم من خلاله توفير احتياجاتهم الدراسية والغذائية طوال العام.
٣. إقامة الملتقيات والأسواق الخيرية التي يكون عائدها لمشروع أو جهة خيرية.

٤. القيام بزيارات ميدانية للمؤسسات الخيرية في مدينتهم والتي تقدم خدماتها للمستفيدين مجاناً، مع الأخذ بالاعتبار تنوع هذه المؤسسات في خدماتها، حتى لا ينحصر فهم الناشئة للأعمال الخيرية في قالب واحد.
٥. المشاركة في الحملات الرسمية كغرس الأشجار أو تنظيف المساجد أو صحة البيئة، أو غيرها من الحملات التي تربي فيهم جانب المسؤولية المجتمعية.
٦. قيام الجامعات بإجراء أبحاث ميدانية مجانية للجمعيات والمؤسسات الخيرية، بهدف تطويرها والنهوض بها والأخذ على يديها للقيام بالأعمال الخيرية المناطة بها.

### ج- الإعلام:

لا أظن أن أحداً في هذا الزمان يجهد ما لوسائل الإعلام من أثر بالغ في صياغة عقول الناس واهتماماتهم، وطرق تفكيرهم، وأن مثل هذا الدور المحوري لو وُجه إلى قضية من القضايا مهما كانت تفاهتها كفيلاً بصرف جُل اهتمام الناس وحديثهم حول تلك القضية، ومثل ذلك لو سُخرت وسائل الإعلام لترغيب الناس للإنفاق والبذل والعطاء، وتسليط الضوء على الأعمال والمشاريع الخيرية، وحث المجتمع بالمؤسسات والجمعيات الخيرية، لكانت الثقافة السائدة في المجتمع حب البذل والعطاء والتعاون والإخاء، ومن البرامج التي يمكن لوسائل الإعلام القيام بها:

١. إنتاج برامج نوعية احترافية تحفيزية للأسر لتنشئة أبنائها وبناتها على حب البذل ومساعدة الآخرين، وتغرس في نفوس الأجيال القيم العالية كالترضحية والإيثار والبذل والعطاء.
٢. تسخير وسائل الإعلام المختلفة وتكثيف الإعلانات والحملات التوعوية لتعريف أفراد المجتمع بمهية العمل الخيري ومدى حاجة المجتمع إليه، وتبصيرهم بأهميته ودوره في التنمية، وترغيبهم في العمل الجماعي فيما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالنفع.
٣. السماح للجمعيات والمؤسسات الخيرية ببث ونشر إعلاناتهم ونشاطاتهم عبر وسائل الإعلام المختلفة مجاناً.

#### د- القطاع الخاص:

لا شك أن للقطاع الخاص بكافة أنشطته أهمية بالغة في نشر ثقافة الإففاق والبذل في المجتمع، وأن على كاهلهم مسؤولية كبيرة ينبغي لهم أن يقوموا بها أحسن قيام، وأن يكون دأبهم رفع زمام المبادرة تجاه أي عمل خيري يُطرح أمامهم، بل ويُسهّموا في طرح المبادرات الخيرية وتبنيها، حتى يقتدي بهم غيرهم، ومن البرامج العملية التي يمكن للقطاع الخاص القيام بها:

١. قيام الشركات والمؤسسات التجارية والمالية ولاسيما البنوك بواجبها تجاه مجتمعاتها، ويكون ذلك إما بتخصيص شيء من أرباحها لدعم الأعمال والمشاريع الخيرية، أو بكفالة بعض الأعباء التشغيلية التي ترهق المؤسسات الخيرية ولا تكلف الشركات التجارية شيئاً، أو تقديم البنوك تسهيلات وقروض حسنة في المشاريع الخيرية.
٢. إقامة أوقاف خيرية نوعية، بحيث تتولى مجموعة من الشركات وقفاً معيناً، يكون مورداً مالياً دائماً للمؤسسات والجمعيات الخيرية، والاستفادة من تجارب الدول المتقدمة في إدارة الأوقاف وتنميتها.
٣. قيام المكاتب القانونية والاقتصادية المتخصصة في دراسات الجدوى الاقتصادية بتقديم الاستشارات للمؤسسات الخيرية حول جدوى المشاريع الاستثمارية مجاناً، وتقديم الحلول المناسبة للعقبات والمشاكل القانونية التي تعترض هذه المؤسسات.
٤. تقديم المعاهد والمراكز التدريبية دورات إدارية ومهارية احترافية للعاملين في الجمعيات والمؤسسات الخيرية مجاناً، وإكسابهم الخبرات والمهارات المناسبة في تنمية الموارد المالية والبشرية، وفق خطط مدروسة لضمان جودة المخرجات.
٥. قيام المكاتب الهندسية والمكاتب المحاسبية بتقديم خدماتهم الاستشارية والمهنية للمؤسسات والجمعيات الخيرية مجاناً، وهذا بلا شك يوفر مبالغ طائلة على هذه المؤسسات.

## هـ- مسؤولية الحكومات:

لا شك أنه يقع على كاهل الحكومات عبئاً ثقيلاً في ترغيب الناس للأعمال الخيرية والبرامج التطوعية، وأن المفترض في جانبها الدعم المستمر واللامحدود للأعمال الخيرية والتطوعية، وتسهيل إنشاء وافتتاح الجمعيات والمؤسسات الخيرية، وتذليل كافة العقبات والصعوبات التي تعترضها، وتسخير كافة الإمكانيات المتاحة في تحقيق الأعمال المناطة بهذه المؤسسات، وهي في الحقيقة بهذا تقوم بتخفيف العبء عن كاهلها، كما ينبغي لها السعي في تطويرها والرقى بها دون تدخل في شؤونها وأعمالها المالية والإدارية مادامت تسير وفق منهج إداري منظم، ومجالس إدارة موثوقون، كما يمكن للحكومات القيام ببعض هذه البرامج:

١. قيام الحكومات والوزارات بتقديم الدعم المادي والمعنوي للمؤسسات والجمعيات الخيرية، وتذليل كافة الصعوبات والعقبات التي تعترض المؤسسات الخيرية وبرامجها، وإعفائها من الرسوم أو الضرائب التي تثقل كاهل هذه المؤسسات مثل رسوم الجمارك والاستقدام وتجديد الإقامات والجوازات<sup>(١٨٤)</sup>.
٢. إلزام الشركات في القطاع الخدمي كالكهرباء والماء والهاتف بإعفاء المؤسسات الخيرية من رسوم الاستفادة من هذه الخدمات، وهذا بلا شك سيوفر مبالغ كبيرة في الميزانية التشغيلية للمؤسسات.
٣. تمكين الجمعيات والمؤسسات الخيرية من استخدام الوسائل الإعلامية المختلفة الحكومية للإعلان عن برامجها ونشر عناوينها وحساباتها مجاناً.
٤. إنشاء جوائز وطنية للتطوع، لتحفيز وتشجيع الجمهور على الانخراط في الخدمة العامة لمجتمعهم<sup>(١٨٥)</sup>.
٥. إلزام الشركات المحلية والخارجية وقطاع البنوك بالمساهمة في خدمة المجتمع بتبني بعض البرامج التي تطرحها المؤسسات الخيرية، أو تكون تحت رعايتها حتى تحظى هذه الشركات بسمعة طيبة لدى أفراد المجتمع.

٦. إذا كانت الحكومات الغربية تلزم الشركات بمقدار معين من الأرباح يُدفع للعمل الخيري، فالحكومة الأمريكية تُلزم الشركات بإخراج ما نسبته ٥% من أرباحها للعمل الخيري<sup>(١٨٦)</sup>، والنسبة المقدرة للزكاة لا تتجاوز ٢.٥%، وهي نسبة ضئيلة يتهرب كثير من الشركات ورجال الأعمال من إخراجها كاملة، فواجب الحكومات التشديد في جانب أخذها من التجار، وعقوبة المتقاعسين والمتلاعبين للفرار منها بأي شكل كان.

٧. قيام الجامعات ومراكز الأبحاث والدراسات التابعة لها بإجراء الدراسات الاستراتيجية، وتقديم الاستشارات والدورات التطويرية مجاناً للمؤسسات والجمعيات الخيرية.

#### و- الجمعيات والمؤسسات الخيرية:

لا شك أن للجمعيات والمؤسسات الخيرية دور فاعل في تحفيز الناس إلى المبادرة للإِنْفَاق والإِسْهام في الأعمال الخيرية، ولاشك أن واردات هذه المؤسسات تختلف باختلاف قدرة المؤسسات على الوصول إلى الجمهور ورجال الأعمال بأسهل الطرق، ومدى قدرتها على استخدام الوسائل التقليدية والابتكارية في استقبال التبرعات، فالمؤسسات الذكية تعتمد على اتخاذ طرق آمنة ومدروسة للوصول إلى كافة شرائح المجتمع، وثمة بعض الإشارات التي نسعى من خلالها للارتقاء بالمؤسسات والجمعيات الخيرية أوجزها في النقاط الآتية:

١. السعي لافتتاح عدد كبير من الجمعيات والمؤسسات الخيرية بما يتواءم مع مساحة الدولة وعدد السكان، فنحن إذا نظرنا لعدد الجمعيات الخيرية في المملكة مثلاً نجدها محدوداً مقارنةً بحجم المملكة ومساحتها الشاسعة، حيث لم يتجاوز عدد الجمعيات الخيرية بالمملكة والمسجلة لدى وزارة الشؤون الاجتماعية ما يقارب (٦٨٦) جمعية، وعدد المؤسسات الخيرية الخاصة المسجلة لديها ١٤٨ مؤسسة<sup>(١٨٧)</sup>، والعالم العربي بأكمله من شرقه لغربه لا يتجاوز عدد الجمعيات فيه بضعة آلاف<sup>(١٨٨)</sup>.

٢. الحرص على أن يكون العمل في الجمعية أو المؤسسة الخيرية عمل مؤسسي واضح المعالم والإجراءات، وفق دليل إجراءات معتبر بعيداً عن الارتجالية والاجتهادات.
٣. أن يتولى إدارة الجمعية أو المؤسسة ذوي الكفاءات الإدارية وأن يتم ذلك بناء على مؤهلات إدارية وخبرات تراكمية، وأن يتم ذلك عن طريق التصويت من أعضاء مجلس الإدارة، وأن يكون محددًا بوقت قابل للتجديد.
٤. ضرورة إشراك وجهاء المجتمع من رجال أعمال وأمراء ووجهاء المجتمع في المجالس التأسيسية لإدارة المؤسسات الخيرية، وعضوية مجالس الإدارة، والحرص على اختيار الأعضاء الفاعلين.
٥. ضرورة اتباع المؤسسات والجمعيات الخيرية لنظام محاسبي دقيق، وفق أعلى معايير الجودة والشفافية، والتي تكون - بإذن الله - سبباً لحماية هذه المؤسسات من كيد الكائدين، وتربص الشائئين.
٦. الابتكار والتجديد والتنوع في المشاريع المطروحة، والاستفادة من التجارب العالمية في هذا الجانب، والاهتمام بجانب التخصص الدقيق، فهو أدعى للجودة والإتقان.
٧. تسهيل طرق التواصل مع الجمعيات والمؤسسات الخيرية، وتنويع طرق الدفع التقليدي والإلكتروني للوصول إلى مختلف شرائح المجتمع بأسهل الوسائل.
٨. الاهتمام بالوسائل الإعلامية الحديثة أو مابات يُعرف بالإعلام الجديد بكافة قنواته، وتوظيف جيل من الشباب المبدع في استخدام هذه الوسائل والمتابع لكل جديد لتسخيره في خدمة الجمعية.
٩. العناية بجانب الأوقاف الخيرية والذي كان على مر القرون الإسلامية مصدر رغد ورفاهية اجتماعية لكل من كان يعيش في الدولة الإسلامية العظمى شرقاً وغرباً، من مسلمين وغير مسلمين، والحرص على الإكثار منها وتنوعها والاستفادة من المكاتب الاستشارية في الجدوى الاقتصادية لكل مشروع، ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى تجربة الصناديق الوقفية التي استُحدثت في بعض البلدان الإسلامية،

وهي صيغة مؤسسية تستقبل تبرعات الأفراد للإِنْفَاق في أحد المجالات التي يحتاجها المجتمع وتتوافق مع وصايا الواقفين<sup>(١٨٩)</sup>.

١٠. وضع نظام إداري مرن يسمح للمتطوعين بالمشاركة في القيام بأعمال مهنية معينة في أي عمل يوافق اهتمامات المؤسسة، وأن يكون هناك إدارة مستقلة في المؤسسة لإدارة هذا الفريق، فإن بذل الوقت للأعمال الخيرية لا يقل أهمية عن بذل المال، فالدول المتقدمة تنبأ في عدد الساعات التي يقضيها أفرادها في الأعمال التطوعية، وتنتشر في كل عام إحصائيات بعدد ساعات التطوع التي بذلها أبنائها.
١١. عقد المؤتمرات واللقاءات الدورية المحلية والدولية بين المؤسسات الخيرية لتبادل الخبرات، وتقويم المسار، وعقد اتفاقيات التعاون في سبيل النهوض بالعمل الخيري.

#### ز- العلماء والفقهاء:

- لا شك أن للعلماء والفقهاء دور بارز ومؤثر في المجتمع، وأن واجبهم تجاه أمتهم عظيم، فهم المصباح المنير، والقُدوة الحية، وأن أثرهم في ترغيب الناس في الخير والمساعدة إلى الإِنْفَاق ظاهر، وفي هذا الصدد يمكن للعلماء المشاركة بالآتي:
١. إعادة النظر في بعض المسائل الفقهية المالية الشائكة المتعلقة بالتصرف في أموال الأعمال الخيرية، مثل استثمار أموال الزكاة، والتوسع في مصرف (وفي سبيل الله) ليشمل كل سبيل الدعوة والجهاد باللسان، وأخذ الرسوم على الأراضي البيضاء وإعطائها للجمعيات والمؤسسات الخيرية<sup>(١٩٠)</sup>.
  ٢. المشاركة في عضوية اللجان الشرعية أو مجالس الإدارة للمؤسسات والجمعيات الخيرية، فمثل ذلك يُكسب المؤسسة زيادة ثقة لدى الجمهور.
  ٣. كتابة التزكيات والتوصيات التي تُعرّف بالمؤسسة أو الجمعية الخيرية لدى رجال الأعمال، والإشادة بما لديهم من نفع للمجتمع وأفراده.

## الخاتمة والتوصيات

في خاتمة المطاف لهذا البحث أذكر بعض النتائج التي توصلت إليها وهي على النحو الآتي:

- ١- أن بذل غير المسلمين وبخاصة الغربيين أموالهم للأعمال الخيرية أكثر من بذل المسلمين.
- ٢- أن من أسباب تفوق غير المسلمين وبخاصة الغربيين على المسلمين في جانب الإنفاق الخيري ما يلي:
  - أ- أن جانب الطبيعة الجبلية التي فُطِرَ عليها الغربيين يغلب عليها جانب الرحمة والشفقة وحب مساعدة الآخرين، وهذا له الأثر البالغ عليهم، وقد لمست هذا فيهم أثناء دراستي مدة عام- كما لمس غيري- في أمريكا من حيث عنايتهم ورأفتهم بذوي الاحتياجات الخاصة، ومصدق ذلك من كلام السلف أثر عمرو بن العاص السابق " وَخَيْرُهُمْ لِمَسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ".
  - ب- أنه ينضاف إلى جانب الجبلية البشرية جانب مهم وهو تعزيز السلوكيات الراقية المتمثلة في حب مساعدة الآخرين، وذلك بعدة طرق مثل إلزام الدارس بعدد معين من الساعات التطوعية كشرط لإكمال دراسته المتوسطة أو الثانوية أو الجامعية، ومثل هذه البرامج تولد لدى الناشئ تراكمات معرفية ومهنية تجعل من هذا السلوك سجية اعتادها وأحبها ومن ثم تصبح جزء من حياته العملية.
  - ج- أن من أسباب نجاح المؤسسات الخيرية الأجنبية التعامل معها كمؤسسة تجارية لها مواردها واستثماراتها وأرباحها، كما أن العاملين فيها لديهم من التفاني في إتقان العمل والهمة والنشاط وحسن التعامل، مما يولد ثمرات كبيرة ونتائج باهرة في نجاح كثير من المؤسسات الخيرية لديهم.

د- أن قانون الضرائب الأمريكي يقوم بإعطاء إعفاء ضريبي عن المؤسسات الخيرية مما أسهم في تشجيع الشركات ورجال الأعمال على المساهمة في هذه المؤسسات إما لقصد الإعفاءات الضريبية- وهذا هو الغالب- أو لقصد تحسين صورة الشركة لدى موظفيها وعملائها.

٣- أن من أهم أسباب تأخر المسلمين في جانب الإففاق الخيري:

أ- غياب جانب مهم في أساس نجاح الأعمال وقبولها عند الله وهو الصدق في التعامل والإخلاص في أداء الواجب، والبعد عن التوجيه النبوي في الحث على إتقان العمل، واعتبار بعض العاملين في هذه المؤسسات أنه ما دام أنه لم يجن وراء هذه المؤسسة مردوداً مادياً فإنه لا يُبالي بإنجاز العمل وإتقانه على الوجه المطلوب، ومن ثم فإنه لا يبذل لها إلا فضل وقته وجهده.

ب- بُعد كثير من المسلمين عن الممارسات السلوكية الفعلية لتعاليم الإسلام وبخاصة في مجالات التراحم والتكافل الاجتماعي، وإهمال هذا الجانب المهم التي جاءت الشريعة بالتأكيد عليه والوصية به في كثير من شعائر الدين الواجبة والمستحبة، فمن تأمل شرائع الإسلام كالزكاة والصدقات والأوقاف والنفقات والوصايا والعواري والمناح والقروض الحسنة والهدايا والهبات وغيرها مما تزخر به كتب السنة والفقهاء يجد أنها تصب جميعاً في جانب التكافل الاجتماعي والوصاية به، بل حتى الكفارات والندور جعل نفعها متعدياً للآخرين، ومثل هذه الجوانب التكافلية ينبغي إظهارها وإبرازها وتطبيقها؛ كونها من محاسن هذا الدين العظيم، وعدم قصر مفهوم العبادات على القاصرة منها فقط، وهذه مهمة يضطلع بها العلماء والخطباء والمربون والوالدان ووسائل الإعلام.

- ت- غياب مفهوم المسؤولية الاجتماعية لدى كثير من النشء - وبخاصة في دول الخليج- والركون إلى الدعة والراحة، والانغماس في الملذات والكماليات، والترف الزائد، مما نتج عنه جيل مترف بعيد كل البعد عن تحمل المسؤولية، متصفاً بسلوك اللامبالاة وعدم الشعور بالآخرين، فضلاً عن السعي في نفع الناس وقضاء حوائج المحتاجين ومحبة الخير للغير، كما نتج عنه جفاف العواطف والأحاسيس والرققة عند مشاهدة دمة يتيم أو جوع شيخ كبير.
- ث- أن بعض الأثرياء العرب بعيد عن سلوكيات الحلال والريح الصافي من كل الشوائب المحرمة، مما يشكل لديه حاجزاً نفسياً بينه وبين الأعمال الخيرية.
- ج- أن كثيراً من رجال الأعمال يُسرف في جانب الكماليات والملذات المترفة ويألفها حتى تصبح من الضروريات التي لا يُمكنه التنازل عنه، ومع تزايد هذه الكماليات الزائفة يقل في الجانب الآخر جانب الإنفاق والمساهمة في الأعمال الخيرية.
- ٤- أن الحكومات الغربية تبذل قصارى جهدها لتشجيع العمل الخيري بل ودعمه في كثير من الأحيان؛ لكونه يساهم في إلقاء العبء عن المهمات التي تضطلع بها الحكومة، بخلاف واقع الحكومات الإسلامية التي تسعى إلى تكميته والحد منه.
- ٥- أن الحملات الإعلامية والسياسية التي شنّها الغرب على العمل الإسلامي الخيري آتى ثماره في تقاعس كثير من رجال الأعمال عن المساهمة في الأعمال الخيرية خشية أن تصادر أموالهم بتهمة تمويل الإرهاب.

## التوصيات

- ١- تفعيل دور الزكاة في الدول الإسلامية، فالله عز وجل لعلمه وحكمته جعل هذه الفريضة العظيمة ركناً من أركان الإسلام، وهي أعظم وسيلة من وسائل التكافل الاجتماعي، كما فرضها على أنواع متعددة من الأموال، وفرض في كل نوع ما يناسبه، وهي نسب يسيرة بالنسبة للضرائب التي تفرضها أكثر الدول على مواطنيها، فلا غرو إن أديت الزكاة على الوجه الذي أمر الله ستصبح وسيلة من وسائل إعادة توزيع الثروة؛ لما فيها من مواساة للفقراء، وتحسين أوضاعهم المعيشية والصحية والتعليمية، وتأهيلهم ليصبحوا فاعلين في مجتمعاتهم، ومشاركين في تنميته واقتصاده.
- ٢- تعزيز مفهوم المسؤولية الاجتماعية لدى الناشئة والشباب، وغرس ذلك في نفوسهم في جميع مراحل التعليم، ووضع برامج أو مقررات عملية تؤكد هذا المفهوم.
- ٣- العناية بجانب الأوقاف، والحرص على الإكثار منها وتنوعها، فهي صمام أمان للمؤسسات الخيرية عن تقلبات المنفقين المتذبذبين، كما يمنح المؤسسات الخيرية مزيداً من الحرية والتوسع في البرامج والمشاريع.
- ٤- أن الدول العربية والإسلامية في ظل الحرب المعلنة على الأعمال الخيرية تحت ستار الإرهاب ينبغي لها أن تميز بين العمل الإرهابي الحقيقي وبين العمل الخيري المدني الذي يخدم المواطن العربي والمسلم وغير المسلم في بلادنا الحبيبة، خصوصاً إذا علمنا أن أكثر من ٥٥ ٪ من الجمعيات الخيرية الأمريكية تقوم على أساس ديني<sup>(١٩١)</sup>، كما أن الأبحاث والواقع في هذه القضية (قضية اتهام المؤسسات الخيرية بتمويل الإرهاب) أثبتت عكس تلك المزاعم مما أوجب أن يكون الطالب

مطلوباً، وأن ما كان يُزعم أنه الجاني أصبح مجنياً عليه، وحتى أصبح من حق المؤسسات الإسلامية وفق نتائج الباحثين والمحامين والقضاء أن تطالب بحققها في التعويضات المعنوية والمالية<sup>(١٩٢)</sup>، وذكر الباحث الأمريكي ماثوليفيت أن الأوربيين عبروا مراراً وتكراراً عن الإحباط بسبب طلبات الولايات المتحدة بإضافة أشخاص أو جماعات إلى القوائم الإرهابية، في الوقت الذي لا تُقدم فيه أدلة كافية، إن وجدت!!<sup>(١٩٣)</sup>

### الهوامش والتعليقات:

- (١) الشورى: ١٢.
- (٢) النور: ٣٣.
- (٣) البقرة: ٢٥٤.
- (٤) الحديد: ٧.
- (٥) صحيفة سبق الإلكترونية = [http:// sabq. org/ a7sfde?printing=](http://sabq.org/a7sfde?printing=)
- (٦) مقاييس اللغة (٥ / ٤٥٤) مادة (نَفَقَ)، مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٨٧٧) مادة (نَفَقَ)، القاموس المحيط (ص: ٩٢٦) مادة (نَفَقَ)، العين (٥ / ١٧٧) للفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠ هـ).
- (٧) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (٥ / ١٥١).
- (٨) البقرة: ٢٧٠.
- (٩) التوبة: ١٢١.
- (١٠) البقرة: ٢٦١.
- (١١) البقرة: ٢٦٥.
- (١٢) مختار الصحاح (ص: ١٧٤) القاموس المحيط (ص: ٩٠٠)، معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، ص: ٢٦٦.
- (١٣) لسان العرب (١٠ / ١٩٦).
- (١٤) مختار الصحاح (ص: ١٧٤).
- (١٥) أخرجه البخاري في الإيمان باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى (٥٥)، ١ / ٣٠، ومسلم في الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين برقم (١٠٠٢) (٢ / ٦٩٥) كلاهما من حديث عبد الله بن يزيد عن أبي مسعود.
- (١٦) لسان العرب (٨ / ٨)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١ / ٤٤)، الصحاح للجوهري والمصباح مادة: (برع).

(١٧) هذا الحديث بهذا اللفظ عند ابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ذكر عظة الإمام النساء وتذكيره إياهن وأمره إياهن بالصدقة بعد خطبة العيدين (١ / ٧٠٧)، وهو عند مسلم وغيره بلفظ ((فَجَعَلْنَ يَتَصَدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ، يُلْقِينَ فِي تَوْبِ بِلَالٍ مِنْ أَقْرَاطِهِنَّ وَخَوَاتِمِهِنَّ))، صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين (٢ / ٦٠٣).

(١٨) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٧ / ٥١)، والأصفهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١ / ٢٤٨).

(١٩) الموسوعة الفقهية الكويتية (١٠ / ٦٦).

(٢٠) الشرح الكبير للشيخ الدردير، وحاشية الدسوقي (٤ / ٩٧)، الموسوعة الفقهية الكويتية (١٠ / ٦٦)، معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ص: ٢٦٦.

(٢١) المصادر السابقة.

(٢٢) آل عمران: ١٣٤.

(٢٣) السجدة: ١٦.

(٢٤) الشورى: ٣٨.

(٢٥) تفسير ابن كثير: ٢ / ٤٦١.

(٢٦) البقرة: ٢٧٤.

(٢٧) التوبة: ١٠٣.

(٢٨) سبأ: ٣٩.

(٢٩) البقرة: ٢٦١.

(٣٠) البقرة: ١٩٥.

(٣١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية، ص: ٣١، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث - القاهرة، ط: الثالثة، ١٩٩٩ م.

(٣٢) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، العلامة السعدي، ص: ٢٠، ط الأولى دار المنهاج، القاهرة، ١٤٢٦ هـ.

- (٣٣) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب مثل المتصدق والبخيل (٢ / ١١٥)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب مثل المنفق والبخيل (٢ / ٧٠٨).
- (٣٤) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٣ / ٤٤١).
- (٣٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التمني، باب تمني القرآن والعلم (٩ / ٨٤)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه فضل من تعلم حكمة من فقهه أو غيره فعمل بها وعلمها (١ / ٥٥٩).
- (٣٦) رواه مسلم في كتاب صلاة العيدين، (٢ / ٦٠٥).
- (٣٧) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها صحيح مسلم (٢ / ٧٠٢)، ومعنى (فَلَوْهٌ) كما قال النووي: "الْفُلُوُّ الْمُهْرُ،.. وَفِي الْفُلُوِّ لُعْنَانٌ فَصِيحَتَانِ أَفْصَحُهُمَا وَأَشْهَرُهُمَا فَتُحُ الْفَاءِ وَضَمُّ اللَّامِ وَتَشْدِيدُ الْوَاوِ، وَالثَّانِيَةُ كَسْرُ الْفَاءِ وَإِسْكَانُ اللَّامِ وَتَخْفِيفُ الْوَاوِ، (قُلُوصَةٌ) هِيَ يَفْتَحُ الْقَافَ وَضَمُّ اللَّامِ وَهِيَ النَّاقَةُ الْفَتِيَّةُ". شرح صحيح مسلم للنووي (٧ / ٩٩).
- (٣٨) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (٢ / ٧٠٣).
- (٣٩) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، برقم (٢٩٨٥) (٤ / ١٧٩٧).
- (٤٠) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف (٢ / ٦٩٠).
- (٤١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة (٨ / ١١).
- (٤٢) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: {لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْافًا} [البقرة: ٢٧٣] وكم الغنى (٢ / ١٢٥).
- (٤٣) رواه البخاري في كتاب الصوم، باب الريان للصائمين (٣ / ٢٥)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر (٢ / ٧١١).
- (٤٤) آل عمران: ١٥٢

(٤٥) صحيفة الرياض الأحد ٩ رجب ١٤٣٤ هـ - ١٩ مايو ٢٠١٣ م - العدد ١٦٤٠٠.

<http://www.alriyadh.com/article836488.html>

(٤٦) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (٤/ ٢٠)،

باب من قاتل للمغنم، هل ينقص من أجره؟ (٤/ ٨٦)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب من

قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٣/ ١٥١٢).

(٤٧) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (٣/ ١٥١٣).

(٤٨) البداية والنهاية، لابن كثير ط إحياء التراث (١٣/ ١٨٦).

(٤٩) تاريخ الإسلام، للذهبي، تحقيق بشار عواد (١٤/ ٨).

(٥٠) المصدر السابق

(٥١) مقدمة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، لابن خلدون، ص: ٥٤٩.

(٥٢) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص: ١٩٢، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة

(٢/ ٢٦٤).

(٥٣) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (٢/ ٢٦٩)

(٥٤) ناصر بن بن إبراهيم الرشيد: وهو رجل أعمال سعودي ولد في حائل عام ١٩٣٩، وهو

صاحب مكتب الرشيد للهندسة، تبلغ ثروته نحو ٨ مليار دولار، وصنفته مجلة أربيان بيزنس

على أنه رابع أغنى شخصية عربية عام ٢٠٠٩، وكانت وفاته بتاريخ ٥ / ٤ / ٢٠١١ رحمه

الله.

(/https://ar.wikipedia.org/wiki)، <http://www.arabianbusiness.com>

(٥٥) موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) <http://ar.wikipedia.org>، صحيفة الرياض

الخميس ١٠ شوال ١٤٣٢ هـ - ٨ سبتمبر ٢٠١١ م - العدد ١٥٧٨١، صحيفة الشرق

الأوسط الجمعة ١١ شوال ١٤٣٢ هـ ٩ سبتمبر ٢٠١١ العدد ١١٩٧٣.

(٥٦) موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) <http://ar.wikipedia.org>

(٥٧) سليمان بن عبدالعزيز الراجحي: ولد في محافظة البكيرية وهي إحدى محافظات منطقة القصيم عام ١٣٨٨هـ الموافق ١٩٢٠م، وهو أحد أشهر رجال الأعمال في المملكة العربية السعودية، شريك مؤسس مصرف الراجحي، يملك العديد من الشركات المساهمة في التنمية الزراعية والغذائية والصناعية في المملكة وخارجها مثل الوطنية للصناعة، الوطنية للنقل بالإضافة إلى دواجن الوطنية.

(٥٨) الموسوعة الحرة ويكيبيديا. [http:// ar. wikipedia. org/ wiki](http://ar.wikipedia.org/wiki)

(٥٩) الخبر نقلته أكثر الوكالات العربية والعالمية عن مجلة.

(/http:// www. businessinsider. com)

(٦٠) موقع المؤسسة الإلكترونية [http:// www. rf. org. sa](http://www.rf.org.sa)

(٦١) الشيخ ناصر بن محمد الخرافي: وهو من رجال الأعمال المعروفين بالأعمال الخيرية في الكويت من مواليد الكويت عام ١٩١٩م، وتوفي عام ١٩٩٣م، الموافق لعام ١٤١٤هـ -رحمه الله.

(٦٢) المركز الدولي للأبحاث والدراسات.

[http:// www. medadcenter. com/ cv/ 1110#](http://www.medadcenter.com/cv/1110#)

(٦٣) الأمير الوليد بن طلال بن عبدالعزيز آل سعود: وهو أمير ورجل أعمال سعودي يعد من أكبر المستثمرين في العالم، صنفته مجلة فوربس الأمريكية عام ٢٠١٠ في الترتيب ١٩ من أغنياء العالم بثروة تقدر بـ ١٩.٤ مليار دولار.

(٦٤) [https:// twitter. com/ Alwaleed\\_ Talal](https://twitter.com/Alwaleed_Talal)

(٦٥) الشيخ حمد بن محمد الغماس هو أحد رجال الأعمال المعروفين في مدينة مكة ومدينة بريدة بمنطقة القصيم، وهو رئيس مجلس إدارة شبكة قنوات المجد الفضائية وقناة هدى الناطقة باللغة الإنجليزية وقنوات أخرى، وهو عضو مساهم في عددٍ من الشركات الكبرى (صحيفة سبق الإلكترونية [http:// sabq. org/ wVZfde](http://sabq.org/wVZfde) بتاريخ ١٣ / ٧ / ١٤٣٥هـ).

(٦٦) البقرة: ٢١٥.

(٦٧) روضة الناظر وجنة المناظر / ٢ / ١٢٣.

(٦٨) المزمل: ٢٠

(٦٩) سورة البقرة: ٢١٩.

(٧٠) تفسير ابن كثير ت سلامة (١ / ٥٨٠)

(٧١) الأنفال: ٦٠.

(٧٢) رواه البخاري في كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت (٧ / ١٢١).

(٧٣) روضة الناظر وجنة المناظر (٢ / ١٢٤)، مذكرة في أصول الفقه (ص: ٢٤٦).

(٧٤) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ١٢٩).

(٧٥) سيأتي تخريجه في الحديث التالي.

(٧٦) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦ / ١٣٩)، والصغير (٢ / ١٠٦)، والكبير (١٢ / ٤٥٣)، وينظر

صحيح الجامع الصغير وزيادته (١ / ٩٧)، وقال الألباني: حسن لغيره، صحيح الترغيب

والترهيب (٢ / ٣٥٩).

(٧٧) رواه ابن ماجه في الإيمان وفضائل الصحابة، باب ثواب معلم الناس الخير (١ / ٨٧)، وحسنه

الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١ / ٤٤٣)، وينظر المشكاة ٢٥٤، أحكام الجنائز

١٧٦، الإرواء (١٠٧٩).

(٧٨) ذكره في المغني ٨ / ١٨٥، والزرکشي ٤ / ٢٦٩، قال ابن حزم: "رَوَى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ حَبِيبٍ

الوَاقِدِيُّ قَالَ: (مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَقَدَّ أَوْقَفَ

وَحَبَسَ أَرْضًا، إِلَّا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ الْحَبْسَ) وَهَذِهِ رَوَايَةٌ أَخْبَثَ الْمَحَلَّى

(٩ / ١٧٦)، وقال الشيخ عبدالعزيز الطريفي: "ذَكَرَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الْإِرْوَاءِ: (٦ / ٢٩) وَأَغْفَلَهُ

مِنَ التَّخْرِيجِ، وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَيْهِ، فَقَدْ أَخْرَجَهُ أَبُو بَكْرٍ الْخِصَافُ فِي أَحْكَامِ الْأَوْقَافِ: (١٥) قَالَ:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْوَاقِدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي قَدَامَةُ بْنُ مُوسَى بْنِ بَشِيرٍ مَوْلَى الْمَازِنِيِّينَ قَالَ:

سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: لَمَّا كَتَبَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَدَقْتَهُ فِي خِلَافَتِهِ

دَعَا نَفَرًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَأَحْضَرَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَانْتَشَرَ خَبَرُهَا، قَالَ جَابِرُ:

فَمَا أَعْلَمُ أَحَدًا ذَا مَقْدَرَةٍ مِنَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ إِلَّا حَبَسَ مَالًا

من ماله صدقه موقوفة لا تشتري ولا تورث ولا توهب. قال قدامة بن موسى: وسمعت محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة يقول: ما أعلم أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر من المهاجرين والأنصار إلا وقد وقف منماله حبساً لا يشتري ولا يورث ولا يوهب حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وإسناده "ه. ه. التحجيل في تخريج ما لم يخرج في إرواء الغليل، ص: ١٨١.

(٧٩) الوقف وتمويل التنمية البشرية على ضوء التجربتين الإسلامية والغربية - فتحة لمعاشي، ورقة مقدمة إلى الملتقى الدولي الثاني حول: المالية الإسلامية، صفاقس - الجمهورية التونسية، والذي تنظمه جامعة صفاقس - تونس، بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية - جدة خلال الفترة ٢٧ - ٢٩ / ٦ / ٢٠١٣، والورقة منشورة في موقع موسوعة الاقتصاد والتمويل الإسلامي <http://iefpedia.com/arab/> بتاريخ ١٢ / ١١ / ١٤٣٤هـ.

(٨٠) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب من بنى مسجداً (١ / ٩٧)، ومسلم في كتاب الزهد والرفائق، باب فضل بناء المساجد (٤ / ٢٢٨٧).

(٨١) أخرجه الإمام أحمد (٢ / ٥٤٨)، وهو في سنن ابن ماجه بلفظ (من بنى مسجداً لله كمفحص قطاة، أو أصغر، بنى الله له بيتاً في الجنة)، كتاب المساجد والجماعات، باب من بنى لله مسجداً (١ / ٢٤٤).

(٨٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفضائل، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ٤ / ١٩١٩ رقم ٤٧٣٩.

(٨٣) بعض الحلقات لا يتجاوز افتتاحها مع راتب أستاذها ألف ريال!

(٨٤) فصلت: ٣٣.

(٨٥) أخرجه أحمد في مسنده ٧ / ٦، والنسائي في الصغرى، كتاب الوصايا، باب فضل الصدقة عن الميِّت (٣٦٦٤)، وأبو داود في كتاب الزكاة، باب في فضل سقي الماء (١٦٨١) ٢ / ٣١٣، وابن ماجه في الأدب (٣٦٨٤)، وابن خزيمة في صحيحه إلا أنه قال إن صح الخبر وابن حبان في صحيحه، والحاكم (١ / ٤١٤) وقال: "صحيح على شرط الشيخين! وردّه الذهبي بقوله: "قلت: لا؛ فإنه غير متصل". وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم: (١١١٣)، وقال في صحيح الترغيب والترهيب ١ / ٢٣٣: حسن لغيره.

- (٨٦) تبلغ تكلفة بعض الآبار في بعض الدول ٢٠٠٠ ريال، وبعضها أقل من ذلك.
- (٨٧) تبلغ تكلفة البئر الاتوازي في هذه الدولة ٣٠,٠٠٠ ريال فأكثر، بينما الآبار العادية التقليدية التي يستخرج الماء منها يدوياً فهي كثيرة فتبلغ تكلفتها ٥٠٠٠ ريال، وقد أخذت هذه الأسعار من أحد مندوبي تنفيذ الآبار في غينيا كوناكري وهو تابع لإحدى المؤسسات الخيرية في الرياض.
- (٨٨) رواه مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم (٤/ ٢٢٨٧).
- (٨٩) يبلغ عدد الأيتام المكفولين لدى هذه الجمعية فرع الرياض ٤٢٠٠ يتيم بتاريخ ١/ ١١/ ١٤٣٦ هـ. <http://www.ensan.org.sa/home/>
- (٩٠) ويبلغ عدد الأيتام المكفولين لديهم أكثر من ٦٥٠٠٠ يتيم، منهم ٥٠٠٠ داخل المملكة، والباقي خارج المملكة، بحسب موقع المؤسسة الإلكتروني بتاريخ ٢/ ١١/ ١٤٣٦ هـ. <http://www.mc.org.sa/UI/Default.aspx>
- (٩١) تبلغ كفالة اليتيم لدى جمعية إنسان ٣٦٠٠ ريال سنوياً أو ٣٠٠ ريال شهرياً وفق موقع جمعية إنسان <http://www.ensan.org.sa/home/orphans.html> بتاريخ ٣/ ١٢/ ١٤٣٦ هـ، وأما في خارج المملكة فقيمة الكفالة السنوية في الخارج ١٨٠٠ ريال بمعدل ١٥٠ ريال شهرياً، وفق موقع مؤسسة مكة الخيرية بتاريخ ٣/ ١٢/ ١٤٣٦ هـ. <http://www.mc.org.sa/UI/MakkaPage.aspx?Id=5>
- (٩٢) الولاية هي يوتا (Utah) وعاصمتها مدينة سولت ليك سيتي (Salt Lake City)، وكانت الزيارة في شتاء ١٤٣٦ هـ/ ٢٠١٤.
- (٩٣) كان هذا أثناء جولتي لبعض دول غرب أفريقيا كغينيا كوناكري صيف عام ١٤٣٤ هـ، وقد زرت مدارس أخرى في غامبيا والسنغال وموريتانيا قبل هذا التاريخ، كما زرت مدارس في الهند وسريلانكا واندونيسيا صيف عام ١٤٣٢ هـ.
- (٩٤) موقع مفكرة الإسلام بتاريخ ٤/ ١٢/ ١٤٣٦ هـ. <http://islammemo.cc/akhbar/arab/2015/01/13/226183.html>
- (٩٥) تسعى إيران إلى فتح جامعات على مستوى عالي من البناء والتجهيزات في أفريقيا وشرق آسيا، وهي دولة واحدة تبنت نشر مذهب التشيع وللأسف الشديد.

(٩٦) تقرير واقع الإنفاق على البحث العلمي والتطوير في المملكة العربية السعودية للعام المالي ١٤٣٤ / ١٤٣٣ هـ (٢٠١٢م)، صادر عن وزارة التعليم العالي وكالة الوزارة للتخطيط والمعلومات (نسخة إلكترونية).

<http://he.moe.gov.sa/ar/Ministry/Deputy-Ministry-for-Planning-and-Information-affairs/The-General-Administration-of-Planning/Documents/555.pdf>

(٩٧) أزمة البحث العلمي . والتنمية، د. فهد العرابي الحارثي ورقة علمية مقدمة للمتدنى الثاني للشراكة المجتمعية في البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتاريخ ٢٧/٤/٢٠١١، ونشرت في موقع أسبار للدراسات والبحوث بتاريخ ٢٨/٥/١٤٣٥ هـ.

<http://www.asbar.com/ar/monthly-issues994/article.htm>

(٩٨) <https://ar.wikipedia.org/wiki> بتاريخ ٢٣/١٠/١٤٣٦ هـ.

(٩٩) مجسب تقرير وزارة التعليم العالي فإن وزارة العليم العالي قد أبلغت «اليونسكو» بنتائج هذه الدراسة، ومن المتوقع - كما ذكر التقرير - أن تظهر في بياناتها الدولية في المستقبل القريب.

(١٠٠) تقرير بعنوان واقع الإنفاق على البحث العلمي والتطوير في المملكة العربية السعودية للعام المالي ١٤٣٤ / ١٤٣٣ هـ (٢٠١٢م)، صادر عن وزارة التعليم العالي وكالة الوزارة للتخطيط والمعلومات، ص: ٢١.

(١٠١) عودة السعودية إلى خريطة البحث والتطوير العالمية، من إعداد محمد الضبيعي، صحيفة اليوم (النسخة الإلكترونية) الأربعاء الموافق ١ يناير ٢٠١٤ العدد ١٤٨١٠، بتاريخ ٦/١٢/١٤٣٦ هـ.

(١٠٢) التنمية الوقفية في الجامعات السعودية، د. علي القرني، مقال في صحيفة الجزيرة بتاريخ ١٦ صفر ١٤٣٥ هـ الموافق ١٩/١٢/٢٠١٣م، العدد.

<http://www.al-jazirah.com/2013/20131219/ar6.htm> .

(١٠٣) موقع الجمعية <http://www.enayah.org>

(١٠٤) موقع الجمعية <http://www.rahmah.org>

(١٠٥) موقع الجمعية <http://www.zmzm.org>.

(١٠٦) وهي الجمعية السعودية الخيرية لمكافحة السرطان وهي أكثرها فروعاً، وجمعية السرطان السعودية بالمنطقة الشرقية وفروعها ثلاثة جميعها في المنطقة الشرقية، وجمعية الإيمان لرعاية مرضى السرطان بجده، وجمعية طهور لرعاية ومساندة مرضى السرطان بعنيزة.

(١٠٧) المعدل العالمي لانتشار مرض السرطان ٢٪، بينما هو في السعودية ١٢٪، وفق دراسة بثتها الجمعية السعودية لمكافحة السرطان في فيلمها التعريفي بتاريخ ٢ / ١٢ / ١٤٣٦ هـ.

<https://www.youtube.com/watch?v=H56tA0icsPs>

(١٠٨) ١٧ / ١٠ / ١٤٣٥ هـ من خلال موقع الجمعية على الإنترنت.

(١٠٩) وفقاً لإحصائيات المرصد الحضري لمدينة الرياض لعام ١٤٣٤ هـ، والذي يعمل تحت مظلة الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، وقد نشر التقرير في صحيفة الجزيرة

<http://www.al-jazirah.com/2014/20140504/ln51.htm>

(١١٠) المؤسسة العالمية للإعمار والتنمية إحدى المؤسسات الخيرية التابعة لرابطة العالم الإسلامي، وكان تأسيسها في عام ١٤٢٠ هـ، ومقرها في مدينة الرياض، وهي تقوم بأعمال خيرية متنوعة من مشاريع إغاثية ودعوية وتنموية، كان على يدها بناء آلاف المساجد والمدارس والمعاهد، وحفر الآلاف من الآبار، وكفالة الآلاف من الأيتام، وقد شرفت بالمساهمة في تأسيسها والعمل بضع سنوات، مع مديرتها العام الدكتور عبدالله المرزوقي، ثم الدكتور عبدالله القعيد.

(١١١) موقع السوق المالية السعودي (تداول) بتاريخ ٨ / ١٢ / ١٤٣٦ هـ.

[http://www.tadawul.com.sa/wps/portal/Press?PRESS\\_REL\\_NO=3537](http://www.tadawul.com.sa/wps/portal/Press?PRESS_REL_NO=3537)

(١١٢) موقع وزارة العدل بتاريخ ٨ / ١٢ / ١٤٣٦ هـ.

[http://www.moj.gov.sa/ar-sa/Notary/Rspointer/Dashboards/300\\_PointerRsRegion/303\\_Yearly/Pointer303\\_01.aspx](http://www.moj.gov.sa/ar-sa/Notary/Rspointer/Dashboards/300_PointerRsRegion/303_Yearly/Pointer303_01.aspx)

(١١٣) صحيفة سبق <http://sabq.org/a7sfde?printing=>

(١١٤) مقتبسات عن تجربة العمل الخيري في الولايات المتحدة الأمريكية موقع عالم التطوع العربي، <http://www.arabvolunteering.org/corner/avt10449.html> وقد

شملت الأعمال الخيرية لكارنيجي إنشاء المكتبات العامة والوكالات الأخرى التي يمكن أن توفر المصاعد التي تمكن أصحاب الطموح من تسلقها.

(١١٥) مقال بعنوان: أثرياؤنا. . وأثرياؤهم!، د. عبدالله القفاري، صحيفة الرياض،

<http://www.alriyadh.com/2013/03/04/article814712.html>

(١١٦) كيف يمكن استثمار نظام الوقف في دعم قضايا الأقليات الإسلامية، ورقة مقدمة لندوة الجمعية الخيرية الإسلامية، محمد شوقي الفنجري (٢٠٠١) القاهرة ١٥-٥-٢٠٠١، ص ٢٠، وينظر الوقف وتمويل التنمية البشرية على ضوء التجربتين الإسلامية والغربية - فيحة لعاشي، ورقة مقدمة إلى الملتقى الدولي الثاني حول: المالية الإسلامية، صفاقس - الجمهورية التونسية، والذي تنظمه جامعة صفاقس - تونس، بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية - جدة خلال الفترة ٢٧ - ٢٩ / ٦ / ٢٠١٣.

(١١٧) بحث بعنوان: التجربة الأمريكية في العمل الخيري- الترس-، د. عبدالعزيز الكبيسي، بحث مقدم للمؤتمر الثاني للأوقاف (الصيغ التنموية، والرؤى المستقبلية)، ١٤٢٧هـ.

(١١٨) الأنفال: ٣٦.

(١١٩) ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب، د. محمد السلومي، ص: ٢٠٤.

(١٢٠) جامعة ريجينت، تقع في فيرجينيا بيتش بولاية فيرجينيا، وتعتبر مركزاً أكاديمياً للفكر المسيحي، بمقراتها المنتشرة حول العالم، وبرامجها الدراسية المتاحة عبر الانترنت.

<http://www.regent.edu/>

(١٢١) موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا بتاريخ ٢٣ / ١١ / ١٤٣٦هـ، وينظر الموقع الرسمي لبات روبرتسون

<https://ar.wikipedia.org/wiki> <http://www.patrobertson.com> .

(١٢٢) ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب، د. محمد السلومي، ص: ٢٠٤.

(١٢٣) مقتبسات عن تجربة العمل الخيري في الولايات المتحدة الأمريكية، موقع عالم التطوع العربي، <http://www.arabvolunteering.org/corner/avt10449.html>

(١٢٤) مقال أمريكا ونحن والعمل الخيري، المهندس محمد أحمد حبيب، جريدة المدينة-ملحق الرسالة الاثنين ١٤ / ١١ / ١٤٢٢هـ، موقع صيد الفوائد.

<http://www.saaaid.net/Anshatah/dole/24.htm> .

(١٢٥) المصدر السابق.

(١٢٦) مقال بعنوان مقاربات العطاء، للكاتب روبن إل ياغر، ضمن دراسة بعنوان مقتبسات عن تجربة العمل الخيري في الولايات المتحدة الأمريكية، موقع عالم التطوع العربي. بتاريخ ١٣ / ١١ / ١٤٣٤هـ.

<http://www.arabvolunteering.org/corner/avt10449.html>

(١٢٧) المصدر السابق.

[http://youth.fdncenter.org/youth\\_celebrity.html](http://youth.fdncenter.org/youth_celebrity.html) (١٢٨)

<http://www.looktothestars.org> (١٢٩)

(١٣٠) كثير من نشاطات أوبرا وينفري الخيرية موجودة على موقعها الإلكتروني

<http://www.oprah.com>

(١٣١) ثقافة التطوع في الغرب.. كيف يمكننا الاستفادة منها في مجتمعاتنا الإسلامية ومؤسساتنا الخيرية؟ مركز مداد (المركز الدولي للأبحاث والدراسات) وهو مركز متخصص في العمل الخيري، وقد أعد الدراسة إسراء البدر بتاريخ ٢٣ / ١١ / ١٤٣٦هـ.

<http://www.medadcenter.com/investigations/283>

(١٣٢) الدكتور بشر محمد موفق الخبير في الاقتصاد الإسلامي (مدير موسوعة الاقتصاد الإسلامي)، ضمن مشاركته في دراسة أجراها مركز مداد (المركز الدولي للأبحاث والدراسات) وهو مركز متخصص في العمل الخيري، وقد أعد الدراسة إسراء البدر عام ٢٠١٠ بتاريخ ١٩ / ١١ / ١٤٣٦هـ.

<http://www.medadcenter.com/investigations/283>

(١٣٣) مقتبسات عن تجربة العمل الخيري في الولايات المتحدة الامريكية، موقع عالم التطوع العربي، <http://www.arabvolunteering.org/corner/avt10449.html>

(١٣٤) هي هكذا. كيف نفهم الأشياء من حولنا، أ. د. عبدالكريم بكار ص: ١٦٩.

(١٣٥) ثقافة التطوع في الغرب. كيف يمكننا الاستفادة منها في مجتمعاتنا الإسلامية ومؤسساتنا الخيرية؟ مركز مداد (المركز الدولي للأبحاث والدراسات) وهو مركز متخصص في العمل الخيري، وقد أعد الدراسة إسراء البدر شهر أكتوبر عام ٢٠١٢م بتاريخ ٢٣ / ١١ / ١٤٣٦ هـ. <http://www.medadcenter.com/investigations/283>

(١٣٦) تختلف مسميات القطاع الخيري بين دول العالم، فبعض دول العالم تطلق عليه القطاع غير الحكومي وبعضها القطاع المستقل، وبعضها القطاع غير الربحي، وتسمية الأمم المتحدة بالقطاع الثالث (Third Sector)، ينظر كتاب ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب، د. محمد السلومي، ص: ١٩٧.

(١٣٧) الأهمية التنموية للقطاع الثالث، د. رجا المرزوقي، موقع صحيفة الاقتصادية الالكترونية.

[http://www.aleqt.com/2010/11/22/article\\_471303.html](http://www.aleqt.com/2010/11/22/article_471303.html)

(١٣٨) دراسة للمؤسسات الوقفية الأجنبية وإمكانات الاستفادة من تجاربها، أ. د. نعمت عبداللطيف مشهور، بحث مقدم للمؤتمر الثاني للأوقاف ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦.

(١٣٩) المصدر السابق، مقال أمريكا ونحن والعمل الخيري، بقلم محمد أحمد حبيب، جريدة المدينة - ملحق الرسالة الاثنين ١٤ / ذي القعدة / ١٤٢٢هـ، موقع صيد الفوائد ٢٩ / ١٢ / ١٤٣٦.

<http://www.saaaid.net/Anshatah/dole/24.htm>

(١٤٠) وليام هنري غيتس الثالث: بالإنجليزية (William Henry Gates III): المشهور باسم بيل غيتس، وبيل هو اختصار لاسم وليام في الولايات المتحدة الأمريكية، ولد في سياتل، واشنطن في 28 أكتوبر 1955م، وهو من أصل إيرلندي - اسكتلندي (بريطاني)، وهو رجل أعمال ومبرمج أمريكي ومحسن. أسس عام 1975 شركة مايكروسوفت مع بول آلان وقد صنع ثروته بنفسه ويملك أكبر نصيب فردي من أسهمها المقدر بتسعة بالمئة من الأسهم المطروحة.

(١٤١) موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) بتاريخ ٢٩/١٢/١٤٣٦ هـ.

<https://ar.wikipedia.org>، <http://www.gatesfoundation.org/>

(١٤٢) موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) <https://ar.wikipedia.org/wiki/> بتاريخ ٢٥/٥/١٤٣٧ هـ.

(١٤٣) الأوقاف السياسية في مصر، غانم البيومي، ص: ٦٠، ٦٨، الاستثمار الآمن لموارد المؤسسات الخيرية، د. صادق حماد، ص: ١٥١، هي هكذا. كيف نفهم الأشياء من حولنا، أ. د. عبدالكريم بكار ص: ١٦٩، مقال بعنوان (العمل الخيري السعودي) متى يستعيد عافيته؟، أمين بن بخيت الزهراني، موقع صيد الفوائد، بتاريخ ١٣/١١/١٤٣٤ هـ.

<http://www.saaaid.net/Anshatah/dole/86.htm>

(١٤٤) بحث بعنوان: عولة الصدقة الجارية: نحو أجندة كونية للقطاع الوقفي، د. طارق عبدالله، مجلة أوقاف، العدد ١٤ السنة الثامنة، ٥/١٤٢٩ هـ، ص: ٣٨.

(١٤٥) موقع الشركة [www.unitedway.org](http://www.unitedway.org) بتاريخ ٢٨/١٢/١٤٣٦ هـ.

(١٤٦) مقال أمريكا ونحنو العمل الخيري - إحصائيات وأرقام - أفكار وتوصيات، بقلم المهندس/ محمد أحمد حبيب، جريدة المدينة - ملحق الرسالة الاثنين ١٤/ ذي القعدة/ ١٤٢٢ هـ موقع صيد الفوائد، <http://www.saaaid.net/Anshatah/dole/24.htm>، موقع شبكة العاصمي <http://www.alasmy.com/vb/t7402.html>.

(١٤٧) كتاب الاستثمار الآمن لموارد المؤسسات الخيرية، د. صادق حماد، ص: ١٥٤، العمل الخيري. حلال لهم. حرام علينا للكاتب محمد خير عوض الله، موقع مفكرة الإسلام.

<http://islammemo.cc/2004/01/28/3854.html>

بتاريخ ٢٩/١٢/١٤٣٦ هـ، مقال أمريكا ونحنو والعمل الخيري، المهندس محمد أحمد حبيب، جريدة المدينة - ملحق الرسالة، الاثنين ١٤/١١/١٤٢٢ هـ، موقع صيد الفوائد.

(١٤٨) مقتبسات عن تجربة العمل الخيري في الولايات المتحدة الأمريكية، موقع عالم التطوع العربي، <http://www.arabvolunteering.org/corner/avt10449.html>

(١٤٩) بيانات عام ١٩٩٩ مأخوذة من كتاب Non profit Kit for Dummies P 13، وعمامي ٢٠١٠، ٢٠٠٠ من كتاب Giving USA 2002 Report P: 6، نقلاً عن كتاب الاستثمار الآمن لموارد المؤسسات الخيرية، د. صادق حماد، ص: ١٥٤.

(١٥٠) [http:// www. theguardian. com/ news/ datablog/ 2012/ apr/ 24/ top-](http://www.theguardian.com/news/datablog/2012/apr/24/top-1000-charities-donations-britain)  
1000-charities-donations-britain بتاريخ ٢٤ / ٥ / ١٤٣٧هـ.

(١٥١) [www. theguardian. com/ news/ datablog/ 2012/ apr/ 24/ top-//](http://www.theguardian.com/news/datablog/2012/apr/24/top-1000-charities-donations-britain)  
1000-charities-donations-britain  
وقد نقلت الصحيفة من موقع ( الجمعيات الخيرية مؤسسة المعونة.

(CAF) ( [http:// www. charitytrends. org/ Default. aspx](http://www.charitytrends.org/Default.aspx) )

(١٥٢) موقع ويكيبيديا [https:// en. wikipedia. org/ wiki/ Wellcome\\_Trust](https://en.wikipedia.org/wiki/Wellcome_Trust)،  
بتاريخ ٢٤ / ٥ / ١٤٣٧هـ.

(١٥٣) ورقة بعنوان: دراسة للمؤسسات الوقفية الأجنبية وإمكانات الإفادة من تجاربها أ. د. نعمت عبد اللطيف مشهور، مقدمة للمؤتمر الثاني للأوقاف الصيغ التنموية والرؤى المستقبلية ٢٠٠٦ / ٢٧ / ١٤٢٧هـ، بتاريخ ١١ / ٦ / ١٤٣٥هـ.

(١٥٤) يخطئ بعض الباحثين عندما يعزو نزعة الإففاق والتعاون مع الآخرين لدى البوذيين إلى أساس غير ديني كسياسي أو علمي مع العلم أن من أهم تعاليم الديانة البوذية الدعوة إلى المحبة والتسامح والتعامل بالحسنى والتصدق على الفقراء وترك الغنى والترفع وحمل النفس على التقشف والحشونة بتاريخ ٤ / ١١ / ١٤٣٦هـ.

[/https:// ar. wikipedia. org/ wiki ،http:// www. saaid. net/ feraq/ mthahb/ 84. htm](https://ar.wikipedia.org/wiki/http://www.saaaid.net/feraq/mthahb/84.htm)  
(١٥٥) ورقة بعنوان دراسة للمؤسسات الوقفية الأجنبية وإمكانات الإفادة من تجاربها، أ. د. نعمت عبد اللطيف مشهور، بحث مقدم للمؤتمر الثاني للأوقاف ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦، ١١ / ٦ / ١٤٣٥هـ.

(١٥٦) بحث بعنوان: التجربة الأمريكية في العمل الخيري - الترس -، د. عبدالعزيز الكبيسي، بحث مقدم للمؤتمر الثاني للأوقاف (الصيغ التنموية، والرؤى المستقبلية)، ١٤٢٧هـ، كتاب الاستثمار الآمن لموارد المؤسسات الخيرية، د. صادق حماد، ص: ١٥٤.

(١٥٧) التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته - النملة (ص: ٧) و بعض المصادر تذكر ضعف هذا الرقم، وينظر دراسة أجراها مركز مداد (المركز الدولي للأبحاث والدراسات) وهو مركز متخصص في العمل الخيري، وقد أعد الدراسة إسراء البدر وشارك فيها الدكتور خالد المصري متخصص في الشأن التنصيري، بتاريخ ١٩ / ١١ / ١٤٣٦ هـ.

<http://www.medadcenter.com/investigations/283>

(١٥٨) موقع صيد الفوائد، مقال بعنوان أمريكا ونحن والعمل الخيري - إحصائيات وأرقام - أفكار وتوصيات، المهندس / محمد أحمد حبيب.

<http://www.saaaid.net/Anshatah/dole/24.htm>

(١٥٩) كما يمكن إيجاد مشروع الأعمال الخيرية الرياضية على الموقع.

<http://www.sportsphilanthropyproject.com>

مقتبسات عن تجربة العمل الخيري في الولايات المتحدة الأمريكية، موقع عالم التطوع العربي.

<http://www.arabvolunteering.org/corner/avt10449.html>

(١٦٠) مقتبسات عن تجربة العمل الخيري في الولايات المتحدة الأمريكية، مقتبس من إي جورنال يو أس أيه، ونشر في موقع مبرة الشاكري.

[http://shakirycharity.org/index\\_A.php?id=145&artid=82&article\\_type=2](http://shakirycharity.org/index_A.php?id=145&artid=82&article_type=2) .

(١٦١) المصدر السابق.

(١٦٢) بحث بعنوان: التجربة الأمريكية في العمل الخيري - الترس - د. عبدالعزيز الكبيسي، بحث مقدم للمؤتمر الثاني للأوقاف (الصيغ التنموية، والرؤى المستقبلية)، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، وبحث بعنوان الوقف وأثره على الناحية الاجتماعية، عبر من التجربة الأمريكية في استعمال الأوقاف الغربية، للدكتور بيتر مولان، بحث مقدم لندوة (الوقف الإسلامي) من تنظيم كلية الشريعة والقانون بجامعة الإمارات في الفترة ٦-٧ ديسمبر ١٩٩٧ م، والأبحاث منشورة في موقع موسوعة الاقتصاد والتمويل الإسلامي.

<http://iefpedia.com/arab/20171-20171> .

(١٦٣) التنمية الوقفية في الجامعات السعودية، د. علي القرني، مقال في صحيفة الجزيرة بتاريخ ١٦ صفر ١٤٣٥ هـ الموافق ١٩ / ١٢ / ٢٠١٣ م، العدد.

15057 <http://www.al-jazirah.com/2013/20131219/ar6.htm>.

(١٦٤) المصدر السابق.

(١٦٥) تقرير بعنوان واقع الإنفاق على البحث العلمي والتطوير في المملكة العربية السعودية للعام المالي ١٤٣٤ / ١٤٣٣ هـ (٢٠١٢ م)، صادر عن وزارة التعليم العالي وكالة الوزارة للتخطيط والمعلومات.

(١٦٦) أزمة البحث العلمي.. والتنمية، د. فهد العرابي الحارثي ورقة علمية مقدمة للمنتدى الثاني للشراكة المجتمعية في البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتاريخ ٢٧ / ٤ / ٢٠١١، ونشرت في موقع أسبار للدراسات والبحوث

<http://www.asbar.com/ar/monthly-issues994/article.htm>

بتاريخ ٢٨ / ٥ / ١٤٣٥ هـ، وقد نقل الإحصائية من تقرير لليونسكو ٢٠١٠ م.

<http://www.unesco.org>.

(١٦٧) تقرير بعنوان واقع الإنفاق على البحث العلمي والتطوير في المملكة العربية السعودية للعام المالي ١٤٣٤ / ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، صادر عن وزارة التعليم العالي وكالة الوزارة للتخطيط والمعلومات، ص: ٢١.

(١٦٨) التقرير السابق ص: ٢١.

(١٦٩) البيانات مأخوذة من كتاب (عطاء أمريكا) (Giving USA p. 163) نقلاً عن كتاب الاستثمار الآمن لموارد المؤسسات الخيرية، د. صادق حماد، ص: ١٥٤

<http://www.medadcenter.com/Investigations/ItemDetails.aspx?ID=283>

(١٧٠) مصدر هذا الجدول كتاب:

Nonprofit kit 2007 stanhutton&frances Phillips P. 18

نقلاً عن الاستثمار الآمن لموارد المؤسسات الخيرية، د. صادق حماد، ص: ١٥٧.

(١٧١) المائة: ٨.

(١٧٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب "تقوم الساعة والرؤم أكثر الناس رقم الحديث: ٥١٦٢.

(١٧٣) حسن عبد الرحمن رئيس تحرير مجلة أريبيان بنس.

(١٧٤) موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) بتاريخ ٢٤ / ٥ / ١٤٣٧ هـ.

[https://en.wikipedia.org/wiki/List\\_of\\_wealthiest\\_charitable\\_foundations](https://en.wikipedia.org/wiki/List_of_wealthiest_charitable_foundations)

(١٧٥) بحث بعنوان: أبرز المعوقات: جناية الأنظمة (البيروقراطية الحكومية) على الأوقاف،

للدكتور محمد السلومي، وقد نشر في مجلة البيان اللندنية عدد رقم ٣١٢ بتاريخ ٢١ شعبان

١٤٣٤ هـ، كما تم تقديمه في ملتقى الأوقاف الثاني الذي تنظمه لجنة الأوقاف في الغرفة

التجارية الصناعية بالرياض بتاريخ ٣ / ١ / ١٤٣٥ هـ.

(١٧٦) موقع (iipdigital) الأمريكي النسخة العربية بتاريخ ١٩ / ١١ / ١٤٣٦ هـ

<http://iipdigital.usembassy.gov/st/arabic/texttrans/2006/12/20061220152539aaywalhsib-le0.4975092.html#axzz3kiXToYq9>

(١٧٧) المصدر السابق

(١٧٨) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (٣ / ٩٨٨) من طريق موسى بن إسماعيل عن حماد بن

سلمة عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن عثمان رضي الله عنه أنه قال: ثم ساقه، ورجاله ثقات. غير

أنه مرسل؛ فيحيى بن سعيد لم يدرك عثمان لكونه من صغار التابعين، ورواه أبو بكر بن

العربي - في «أحكام القرآن» - من طريق أشهب بن عبد العزيز - تلميذ مالك - عن الإمام

مالك بن أنس عن عثمان - رضي الله عنه - أنه قال: «مَا يَزَعُ النَّاسَ السُّلْطَانُ أَكْثَرَ مِمَّا

يَزَعُهُمُ الْقُرْآنُ»، وهو مرسل أيضاً، وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٥ / ١٧٣) من

طريق الهيثم بن عدي عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر؛ قال: سمعت عمر بن

الخطاب يقول: «لَمَّا يَزَعُ اللَّهُ بِالسُّلْطَانِ أَعْظَمُ مِمَّا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ» والهيثم بن عدي متروك متهم

بالكذب، وصحح الشيخ ابن باز رحمه الله هذا الأثر وقال: "هذا أثر معروف عن عثمان -

رضي الله عنه-، وثابت عن عثمان بن عفان الخليفة الراشد الثالث - رضي الله عنه-،

ويروى عن عمر رضي الله عنه. ه

<http://www.binbaz.org.sa/node/19318>

(١٧٩) أَخْرَجَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ ٤/ ٢٠٦، وَابْنُ بَيْهَقِيٍّ ١٠/ ١٥٠ برقم (٢٠٣٢٤)، وقال الزيلعي في نصب الراية (٤/ ٨٢): ضعيف، وقال ابن حجر في التلخيص ٤/ ١٩٦: وَسَاقَهُ ابْنُ حَزْمٍ مِنْ طَرِيقَيْنِ، وَأَعْلَهُمَا بِالِاتِّقَاعِ لَكِنَّ اِخْتِلَافَ الْمَخْرَجِ فِيهِمَا مِمَّا يُقَوِّي أَصْلَ الرَّسَالَةِ، لَأَنَّ سَيِّمًا وَفِي بَعْضِ طُرُقِهِ أَنَّ رَأْوِيَهُ أَخْرَجَ الرَّسَالَةَ مَكْتُوبَةً، وصححه الألباني في الإرواء: ٨/ ٢٤٤ برقم (٢٦١٩).

(١٨٠) موقع الإسلام اليوم بتاريخ ١٣/ ١٢/ ١٤٣٦هـ.

<http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow-58-1610.htm>

(١٨١) كتاب ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب، د. محمد السلومي، ص: ٨٥.

(١٨٢) كان هذا في العرض الذي قدمته المؤسسة في مؤتمر الإبداع التقني في العمل الخيري والمقام في مملكة البحرين خلال الفترة ١٠-١١/ ١٠/ ٢٠١٥.

(١٨٣) ثقافة التطوع في الغرب. . كيف يمكننا الاستفادة منها في مجتمعاتنا الإسلامية ومؤسساتنا الخيرية؟ مركز مداد (المركز الدولي للأبحاث والدراسات) وهو مركز متخصص في العمل الخيري، وقد أعد الدراسة إسراء البدر بتاريخ ٢٣/ ١١/ ١٤٣٦هـ.

<http://www.medadcenter.com/investigations/283>

(١٨٤) بلغت هذه الرسوم في إحدى المؤسسات الخيرية ربع مليون ريال سنوياً.

(١٨٥) ثقافة العمل الخيري، عبدالكريم بكار.

(١٨٦) مقال أمريكا ونحن، والعمل الخيري - إحصائيات وأرقام - أفكار وتوصيات، بقلم المهندس/ محمد أحمد حبيب، جريدة المدينة، ملحق الرسالة، الاثنين ١٤/ ذي القعدة/ ١٤٢٢هـ، وهو موجود في موقع صيد الفوائد ثقافة العمل الخيري، عبدالكريم بكار، ص: ٦٨.

<http://www.saaaid.net/Anshatah/dole/24.htm>

(١٨٧) موقع وزارة الشؤون الاجتماعية.

<http://www.mosa.gov.sa/ar/services/615>

(١٨٨) الجمعيات الخيرية.. وقفة للتأمل، د. سليمان العريني، صحيفة الاقتصادية، الاثنين ١٤٣١/ ٠٤/ ٦هـ. الموافق ٢٢ مارس ٢٠١٠ العدد ٦٠٠٦، بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ١٤٣٦هـ.

(١٨٩) تأسست بالكويت عدة صناديق وقفية متخصصة لخدمة غرض محدد ومن أبرزها: الصندوق الوقفي للثقافة والفكر؛ الصندوق الوقفي لرعاية المعاقين والفئات الخاصة؛ الصندوق الوقفي للمحافظة على البيئة؛ الصندوق الوطني للتنمية المجتمعية (ويهتم بالبرامج الاجتماعية والتنمية المحلية في المناطق السكنية المختلفة)، الصندوق الوقفي لرعاية الأسرة، الصندوق الوقفي للتنمية الصحية داهي الفضلي: ملامح من التجربة الوقفية الكويتية المعاصرة، ندوة التجارب الوقفية لدول المغرب العربي، الرباط مرجع سابق، ص ٢٤٠-٢٤١.

(١٩٠) أفادت وحدة التقارير الاقتصادية بصحيفة الاقتصادية أن إيرادات الرسوم على الأراضي البيضاء لو تم إقرارها فستصل إلى ١٠٣ مليار ريال سنوياً في مدينة الرياض. (صحيفة الاقتصادية، الخميس ٩ / ١ / ١٤٣٧ هـ العدد ٨٠٤٦).

(١٩١) الدكتور بشر محمد موفق الخبير في الاقتصاد الإسلامي (مدير موسوعة الاقتصاد الإسلامي)، ضمن مشاركته في دراسة أجراها مركز مداد (المركز الدولي للأبحاث والدراسات) وهو مركز متخصص في العمل الخيري، وقد أعد الدراسة إسراء البدر عام ٢٠١٠ بتاريخ ١٩ / ١١ / ١٤٣٦ هـ. <http://www.medadcenter.com/investigations/283>

(١٩٢) رسالة مقتبسة من جمعية أصدقاء المؤسسات الخيرية بأمريكا (FOCA) - نقلاً عن كتاب ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب، د. محمد السلومي، ص: ٣.

(١٩٣) نقلاً عن كتاب ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب، د. محمد السلومي، ص: ١٣٥.

### فهرس المصادر

- ١- القرآن الكريم
- أولاً: الكتب.
- ٢- أحكام الجنائز ١٧٦، نشر مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- ٣- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي بيروت، ١٣٩٩هـ.
- ٤- الاستثمار الآمن لموارد المؤسسات الخيرية، د. صادق حماد، نشر دار كنوز أشبيليا بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ.
- ٥- الأعمال الخيرية في الإسلام، د. عبدالله المرزوقي، بدون دار نشر الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.
- ٦- الأوقاف السياسية في مصر، غانم البيومي، ص: ٦٠، ٦٨، ط دار الشروق.
- ٧- البداية والنهاية، لابن كثير، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى.
- ٨- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، نشر دار الكتب العلمية ١٤٢٢هـ.
- ٩- التحجيل في تخريج ما لم يخرج في إرواء الغليل، عبدالعزيز الطريفي، ط الثانية.
- ١٠- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي سلامة، الناشر: دار طيبة، ط: الثانية ١٤٢٠هـ.
- ١١- التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، د. علي النملة، نشر مجلة التبيان.
- ١٢- ثقافة العمل الخيري، د. عبدالكريم بكار، نشر دار وجوه بالرياض، ١٤٣٣هـ.
- ١٣- الجامع الصحيح للترمذي أو سنن الترمذي، ط مكتبة البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٩٦هـ.
- ١٤- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، للدسوقي (ت ١٢٣٠هـ)، مطبعة البابي الحلبي.
- ١٥- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية ١٩٩٧.

- ١٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)، ط دار الحديث بالقاهرة.
- ١٧- روضة الناظر وجنة المناظر، نشر مكتبة المعارف، ط الثانية ١٤٠٤هـ.
- ١٨- الرياض الناضرة والحداثق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، العلامة السعدي، ط المكتبة العصرية.
- ١٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ.
- ٢٠- سلسلة الأحاديث الضعيفة، الألباني، نشر المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ.
- ٢١- سنن ابن ماجه، ط شركة الطباعة العربية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- ٢٢- السنن الكبرى النسائي، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ٢٣- شرح الزركشي على مختصر الخرقفي، نشر دار أولي النهى، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.
- ٢٤- الشرح الكبير للشيخ الدردير، دار المعارف بمصر ١٣٩٣هـ.
- ٢٥- شرح صحيح البخاري، لابن بطال (ت ٤٤٩هـ)، نشر مكتبة الرشد بالرياض.
- ٢٦- الصحاح، أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، ط دار العلم للملايين ١٣٩٩هـ.
- ٢٧- صحيح ابن خزيمة الناشر: المكتب الإسلامي، ط: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م-
- ٢٨- صحيح البخاري، نشر دار ابن كثير، دار الإمامة، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ.
- ٢٩- صحيح الترغيب والترهيب، نشر المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
- ٣٠- صحيح مسلم، نشر دار ابن حزم، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.
- ٣١- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، نشر المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ.
- ٣٢- صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

- ٣٣- صحيح سنن أبي داود، الألباني، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
- ٣٤- ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب، د. محمد السلومي، نشر مجلة البيان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
- ٣٥- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، نشر دار الكتب والوثائق القومية ٢٠١٠م.
- ٣٦- عودة السعودية إلى خريطة البحث والتطوير العالمية، دراسة أجراها إعداد محمد الضبيعي، صحيفة اليوم الأربعاء الموافق ١ يناير ٢٠١٤ العدد ١٤٨١٠.
- [http:// www. alyaum. com/ article/ 3112828](http://www.alyaum.com/article/3112828)
- ٣٧- فتح الباري لابن حجر العسقلاني، نشر المكتبة السلفية بدون تاريخ نشر.
- ٣٨- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر - بيروت الطبعة الأولى.
- ٣٩- المحلى، لابن حزم، (المتوفى: ٤٥٦هـ)، نشر دار الآفاق الجديدة. بيروت.
- ٤٠- مختار الصحاح، الرازي، ط: مكتبة لبنان ١٩٨٦م.
- ٤١- مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر، للشنقيطي، نشر منظمة المؤتمر الإسلامي الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
- ٤٢- المستدرک على الصحيحين، الحاكم (المتوفى: ٤٠٥هـ)، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ٤٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة- مصر.
- ٤٤- مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي، الدارمي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، المحقق: نبيل هاشم الغمري، الناشر: دار البشائر (بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- ٤٥- مشكاة المصابيح للتبريزي، بتحقيق الألباني، نشر المكتبة الإسلامي ببيروت.
- ٤٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الناشر: المكتبة العصرية
- ٤٧- المعجم الأوسط، الطبراني، نشر دار الكتب العلمية ٢٠١٢.

- ٤٨- المعجم الصغير الطبراني، نشر دار الكتب العلمية ٢٠١٢.
- ٤٩- معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، ط دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة ١٤٢٦ هـ.
- ٥٠- المعجم الكبير، الطبراني، ط دار الفكر للطباعة والنشر ١٤١٨ هـ.
- ٥١- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للشربيني، ط شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي ١٣٧٧ هـ.
- ٥٢- المغني، ابن قدامة، تحقيق د. عبدالله التركي، د. عبدالفتاح الحلو، ط دار هجر ١٤١٠ هـ.
- ٥٣- مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، دار نهضة مصر للطباعة - القاهرة.
- ٥٤- المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج، النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، مؤسسة قرطبة، ط الأولى ١٤١٢ هـ.
- ٥٥- الموسوعة الفقهية الكويتية، إصدار وزارة الأوقاف الكويتية، ط ذات السلاسل، الكويت ط الثانية ١٤٠٨ هـ.
- ٥٦- نصب الراية لأحاديث الهداية، الزيلعي، نشر وزارة الشؤون الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ.
- ٥٧- هي هكذا.. كيف نفهم الأشياء من حولنا، أ. د. عبدالكريم بكار، نشر دار وجوه بالرياض، ط الأولى ١٤٣٣ هـ.
- ٥٨- الوايل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية، ط دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥ هـ، الطبعة الأولى.
- ٥٩- الوقف وتمويل التنمية البشرية على ضوء التجربتين الإسلامية والغربية، فتيحة لمعاشي، ورقة مقدمة إلى الملتقى الدولي الثاني حول: المالية الإسلامية، صفاقس - الجمهورية التونسية، والذي تنظمه جامعة صفاقس - تونس، بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية - جدة خلال الفترة ٢٧ - ٢٩ / ٦ / ٢٠١٣، والورقة منشورة في موقع موسوعة الاقتصاد والتمويل الإسلامي. <http://iefpedia.com/arab/>

### ثانياً: البحوث والدراسات.

٦٠- أزمة البحث العلمي والتنمية، د. فهد العرابي الحارثي ورقة علمية مقدمة للمتدري الثاني للشراكة المجتمعية في البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتاريخ ٢٧ / ٤ / ٢٠١١، ونشرت في موقع أسبار للدراسات والبحوث.

[http://www.asbar.com/ar/monthly-issues/994 article. htm](http://www.asbar.com/ar/monthly-issues/994%20article.htm)

٦١- تقرير واقع الإنفاق على البحث العلمي والتطوير في المملكة العربية السعودية للعام المالي ١٤٣٤ / ١٤٣٣ هـ (٢٠١٢م)، صادر عن وزارة التعليم العالي وكالة الوزارة للتخطيط والمعلومات (نسخة إلكترونية

[http://he.moe.gov.sa/ar/Ministry/Deputy-Ministry-for-Planning-and-Information-affairs/The-General-Administration-of-Planning/Documents/555. pdf](http://he.moe.gov.sa/ar/Ministry/Deputy-Ministry-for-Planning-and-Information-affairs/The-General-Administration-of-Planning/Documents/555.pdf)

٦٢- التنمية الوقفية في الجامعات السعودية، د. علي القرني، صحيفة الجزيرة بتاريخ ١٦ صفر ١٤٣٥ هـ الموافق ١٩ / ١٢ / ٢٠١٣م، العدد ١٥٥٧.

[http://www.al-jazirah.com/2013/20131219/ ar6. htm](http://www.al-jazirah.com/2013/20131219/ar6.htm)

٦٣- كيف يمكن استثمار نظام الوقف في دعم قضايا الأقليات الإسلامية، ورقة مقدمة لندوة الجمعية الخيرية الإسلامية، القاهرة ١٥-٥-٢٠١١، ص ٢٠، محمد شوقي الفنجري (٢٠١١).

٦٤- بحث بعنوان: التجربة الأمريكية في العمل الخيري- الترس-، د. عبدالعزيز الكبيسي، بحث مقدم للمؤتمر الثاني للأوقاف (الصيغ التنموية، والرؤى المستقبلية)، ١٤٢٧ هـ.

٦٥- دراسة للمؤسسات الوقفية الأجنبية وإمكانات الاستفادة من تجاربها، أ. د. نعمت عبد اللطيف مشهور، بحث مقدم للمؤتمر الثاني للأوقاف ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦.

٦٦- ثقافة التطوع في الغرب.. كيف يمكننا الاستفادة منها في مجتمعاتنا الإسلامية ومؤسساتنا الخيرية؟ مركز مداد (المركز الدولي للأبحاث والدراسات) وهو مركز متخصص في العمل الخيري، وقد أعد الدراسة إسراء البدر بتاريخ ٢٣ / ١١ / ١٤٣٦ هـ.

<http://www.medadcenter.com/investigations/283>

- ٦٧- مؤتمر الإبداع التقني في العمل الخيري والمقام في مملكة البحرين خلال الفترة ١٠-١١ / ١٠ / ٢٠١٥.
- ٦٨- مراكز البحث العلمي في إسرائيل، د. عدنان أبو عامر ص: ٦٨-٧٢، من إصدارات مركز نماء للبحوث والدراسات، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية / <http://rawabetcenter.com/archives/6138>
- ٦٩- بحث بعنوان الوقف وأثره على الناحية الاجتماعية، عبر من التجربة الأمريكية في استعمال الأوقاف الغربية، للدكتور بيتر مولان، بحث مقدم لندوة (الوقف الإسلامي) من تنظيم كلية الشريعة والقانون بجامعة الإمارات في الفترة ٦-٧ ديسمبر ١٩٩٧م، والأبحاث منشورة في موقع موسوعة الاقتصاد والتمويل الإسلامي، <http://iefpedia.com/arab/20171-20171>
- ٧٠- بحث بعنوان: التجربة الأمريكية في العمل الخيري - الترس -، د. عبدالعزيز الكبيسي، بحث مقدم للمؤتمر الثاني للأوقاف (الصيغ التنموية، والرؤى المستقبلية)، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ٧١- الأهمية التنموية للقطاع الثالث، د. رجا المرزوقي، صحيفة الاقتصادية، الاثنين ١٦ ذو الحجة ١٤٣١هـ. الموافق ٢٢ نوفمبر ٢٠١٠ العدد ٦٢٥١.
- ٧٢- مقال أمريكا ونحن والعمل الخيري - إحصائيات وأرقام، محمد أحمد حبيب، جريدة المدينة - ملحق الرسالة الاثنين ١٤ / ذي القعدة / ١٤٢٢هـ.
- ٧٣- بحث بعنوان: عولمة الصدقة الجارية: نحو أجندة كونية للقطاع الوقفي، د. طارق عبدالله، مجلة أوقاف، العدد ١٤ السنة الثامنة، جمادى الأولى ١٤٢٩هـ، ص: ٣٨.
- ٧٤- العمل الخيري.. حلال لهم.. حرام علينا للكاتب محمد خير عوض الله، موقع مفكرة الإسلام. <http://islammemo.cc/2004/01/28/3854.html>.
- ٧٥- مقال بعنوان نحن وأمريكا وإسرائيل) والعمل الخيري، منذر سميح الحاج حسن.
- ٧٦- موقع إنسان أون لاين. [http://insanonline.net/news\\_details.php?id=8061](http://insanonline.net/news_details.php?id=8061)
- ٧٧- دراسة مقارنة بين الدول العربية وإسرائيل في البحث العلمي وبراءة الاختراع، منشورة في مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. <http://www.alzaytouna.net/permalink/5421.html>

- ٧٨- إشكاليات البحث العلمي في الوطن العربي، نهال قاسم، موقع NNA  
[http:// www. anntv. tv/ new/ showssubject. aspx?id=5693#. ViFdUvIViko](http://www.anntv.tv/new/showsubject.aspx?id=5693#.ViFdUvIViko) .
- ٧٩- ورقة بعنوان: دراسة للمؤسسات الوقفية الأجنبية وإمكانات الإفادة من تجاربها أ. د. نعمت عبد اللطيف مشهور، مقدمة ل المؤتمر الثاني للأوقاف الصيغ التنموية والرؤى المستقبلية ٢٠٠٦ هـ / ١٤٢٧، بتاريخ ١١ / ٦ / ١٤٣٥ هـ.
- ٨٠- ورقة بعنوان دراسة للمؤسسات الوقفية الأجنبية وإمكانات الإفادة من تجاربها، أ. د. نعمت عبد اللطيف مشهور، بحث مقدم للمؤتمر الثاني للأوقاف ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦، ١١ / ٦ / ١٤٣٥ هـ.
- ٨١- ورقة بعنوان معوقات الأوقاف وآلية التغلب عليها(جناية الأنظمة البيروقراطية الحكومية على الأوقاف، للدكتور محمد السلومي، وقد نشر في مجلة البيان اللندنية عدد رقم ٣١٢ بتاريخ ٢١ شعبان ١٤٣٤ هـ، كما تم تقديمه في ملتقى الأوقاف الثاني الذي تنظمه لجنة الأوقاف في الغرفة التجارية الصناعية بالرياض بتاريخ ٣ / ١ / ١٤٣٥ هـ.

#### ثالثاً: الصحف والمجلات

- ٨٢- مجلة أريابان بيزنس [http:// www. arabianbusiness. com](http://www.arabianbusiness.com)
- ٨٣- صحيفة الشرق الأوسط.
- ٨٤- صحيفة الرياض.
- [http:// www. alriyadh. com/ 2013/ 03/ 04/ article814712. html](http://www.alriyadh.com/2013/03/04/article814712.html)
- ٨٥- صحيفة الجزيرة [http:// www. al-jazirah. com](http://www.al-jazirah.com)
- ٨٦- صحيفة اليوم (النسخة الإلكترونية). [http:// www. alyaum. com](http://www.alyaum.com)
- ٨٧- صحيفة الاقتصادية الإلكترونية.
- [http:// www. aleqt. com/ 2010/ 11/ 22/ article\\_471303. html](http://www.aleqt.com/2010/11/22/article_471303.html)

#### رابعاً: المواقع الإلكترونية.

- ٨٨- موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) [http:// ar. wikipedia. org](http://ar.wikipedia.org)
- ٨٩- المركز الدولي للأبحاث والدراسات.

<http://www.medadcenter.com/cv/1110#> [https://twitter.com/Alwaleed\\_Talal](https://twitter.com/Alwaleed_Talal)  
٩٠- موقع مفكرة الإسلام.

<http://islammemo.cc/akhbar/arab/2015/01/13/226183.html>  
٩١- موقع عالم التطوع العربي.

<http://www.arabvolunteering.org/corner/avt10449.html>  
٩٢- موقع وزارة العدل بتاريخ ٨ / ١٢ / ١٤٣٦

[http://www.moj.gov.sa/ar-sa/Notary/Rspointer/Dashboards/300\\_PointerRsRegion/303\\_Yearly/Pointer303\\_01.aspx](http://www.moj.gov.sa/ar-sa/Notary/Rspointer/Dashboards/300_PointerRsRegion/303_Yearly/Pointer303_01.aspx)  
٩٣- موقع السوق المالية السعودي (تداول).

[http://www.tadawul.com.sa/wps/portal/Press?PRESS\\_REL\\_NO=3537](http://www.tadawul.com.sa/wps/portal/Press?PRESS_REL_NO=3537)  
٩٤- موقع صيد الفوائد. <http://www.saaaid.net/Anshatah/dole/86.htm>

٩٥- موقع أوبرا وينفري. <http://www.oprah.com>

٩٦- الموقع الرسمي لبات روبرتسون <http://www.pat robertson.com>

٩٧- موقع جمعية مكافحة السرطان بإسرائيل (النسخة العربية)

<http://ar.cancer.org.il/template/publications.aspx?maincat=93>  
٩٨- الجمعية السعودية لمكافحة السرطان.

<https://www.youtube.com/watch?v=H56tA0icsPs>  
٩٩- موقع الإسلام اليوم.

<http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow-58-1610.htm>  
١٠٠- موقع الشيخ ابن باز <http://www.binbaz.org.sa/node/19318>

١٠١- موقع مؤسسة بيل قيتسوميلندا <http://www.gatesfoundation.org>

١٠٢- مؤتمر الإبداع التقني في العمل الخيري والمقام في مملكة البحرين خلال الفترة ١٠-١١ / ٢٠١٥.

## خامساً: التاريخ والحضارة الإسلامية



**الأمن في مكة المكرمة  
في عهد الملك عبد العزيز آل سعود  
١٣٤٣-١٣٧٣هـ / ١٩٢٤-١٩٥٣م  
دراسة تاريخية تحليلية**

إعداد

**د. منصور بن معاضه العمري**

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد  
قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
جامعة الباحة



## الأمّن في مكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود

١٣٤٣-١٣٧٣هـ / ١٩٢٤-١٩٥٣م

### دراسة تاريخية تحليلية

د. منصور بن معاضه العمري

#### ملخص الدراسة:

أن هذا البحث المعنونة بـ"الأمّن في مكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود ١٣٤٣-١٣٧٣هـ / ١٩٢٤-١٩٥٣م دراسة تاريخية تحليلية" يشتمل على مقدمة، وأربعة محاور، وخاتمة إضافة، إلى قائمة المصادر والمراجع. وتحتوي المقدمة على توضيح لأهمية الموضوع، ويتضمن المحور الأول معنى الأمن لغة واصطلاحاً مدعماً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، أما المحور الثاني فقد ركز على ما لمكة المكرمة من شأن وقدسية عن غيرها من بقاع الدنيا. وفي المحور الثالث تم تبيان ما كانت تعانيه مكة المكرمة من انفلات أمني أثر بدوره على الأوضاع عموماً، كما أنه عكس صورة سلبية لقاصدي البيت الحرام. وفي المحور الرابع تحدث البحث عن ما آلت إليه الحالة الأمنية من استقرار، وانضباط رافق ضم جلاله الملك الموحد عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - مدعماً بالشواهد والأدلة. وأخيراً ذيلت الدراسة بخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع.

## مقدمة:

مما هو معلوم بالفطرة أن الأمن من أهم دعائم نشوء الحضارات وتطورها، وبث روح الحيوية في مسيرة الأمم وتقدمها، لذلك فقد دُكر الأمن في كثير من آيات الذكر الحكيم، وجرى به الحديث على لسان سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

من هذا المنطلق فإن هذا البحث يحاول في طيه إيضاح مظاهر الحالة الأمنية في أقدس وأطهر بقعة على وجه الأرض، وهي مكة المكرمة في فترة تاريخية مهمة (١٣٤٣-١٣٧٣هـ / ١٩٢٤-١٩٥٣م)، وتبيان ما كان عليه الشأن الأمني في مكة المكرمة قبيل ضم الملك عبدالعزيز لمكة المكرمة، وما آل إليه الأمن حين تولى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود -رحمه الله- حكم مكة المكرمة.

وتأتي أهمية البحث من أهمية البقعة المراد تسليط الدراسة عليها وهي مكة المكرمة مهوى الأفتدة، وشعاع الحق، ومهبط الرسالة، ومنطلق الدعوة، وقبله المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. حيث أخذ البحث في تقصي الحالة الأمنية لمكة المكرمة منذ أن آلت مقاليد الحكم لجلالة المؤسس الملك عبدالعزيز، وللوقوف على حقيقة الحالة الأمنية كان لابد أن يعرج البحث على ما كان قبل الحكم السعودي لاستيضاح الفرق، وإظهار الحقيقة البحثية.

وعلى ضوء ما سبق، فقد تم تقسيم البحث إلى أربعة محاور على النحو التالي:

### المحور الأول: معنى الأمن لغة واصطلاحاً.

تضمن معنى الأمن لغة واصطلاحاً مستشهداً بالعديد من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، بالإضافة إلى قواميس اللغة.

### **المحور الثاني: قدسية مكة المكرمة وأمنها.**

سُلط الضوء فيه على عظمة مكة المكرمة وقدسيتها مستشهداً بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية.

### **المحور الثالث: مكة قبيل حكم الملك عبد العزيز آل سعود - طيب الله ثراه-.**

تناول في طياته إيضاح ما كانت عليه مكة المكرمة من الناحية الأمنية، وانعكاس ذلك على الحالة الاقتصادية والمعيشية لسكانها، وكذلك قاصدي الحرم الشريف.

### **المحور الرابع: مكة المكرمة في ظل حكم الملك عبد العزيز آل سعود.**

تم فيه إيضاح سياسة الملك عبدالعزيز الأمنية التي تبناها في مكة المكرمة، وتبيان الوسائل المفضية إلى ذلك، وما أفضت تلك السياسة إليه من نتائج، وانعكاساتها على المستوى المحلي والدولي.

## المحور الأول: معنى الأمن لغة واصطلاحاً.

أمن: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان. أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق<sup>(١)</sup>.

وقيل: أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر<sup>(٢)</sup>.

والأمن: ضد الخوف. والأمانة ضد الخيانة. والإيمان: ضد الكفر. والإيمان بمعنى التصديق، ضده التكذيب. يقال: آمن به قوم، وكذب به قوم، فأما أمانته فهو ضد أخفته<sup>(٣)</sup>. وقيل: الأمن عدم توقع مكروه في الزمن الآتي<sup>(٤)</sup>. والأمن والأمن، كصاحب: ضد الخوف<sup>(٥)</sup>.

ومما سبق يمكن القول: إن الأمن هو طمأنينة النفس وسكونها عن كل ما من شأنه أن يروعها، وهو على النقيض من الخوف ضمن خط سير عكسي، فمتى حل الأمن ذهب الخوف، ومتى كان الخوف زال الأمن. قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ النحل: ١١٢.

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور: ٥٥.

فاقتضت عبادة الواحد الديان حلول الأمن وزوال الخوف.

وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ قرّيش: ٤. فالأمّن والخوف بعضها نقيض بعض متى ذهب أحدهما حل الآخر مكانه.

فالأمّن نعمة من نعم الله تعالى، إذ يعتبر البوابة التي من خلالها تستطيع الأمم صياغة تاريخها وفق معطيات الإنجاز والتقدم، فالأمّن ميدان الحضارة، ومنبع الفكر، وطمأنينة النفس، ومركب الازدهار، وريحانة الإبداع، ووفق ذلك فقد امتن الله سبحانه وتعالى بهذه النعمة العظيمة على من يشاء.

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ النحل: ١١٢.

فضرب الله، سبحانه وتعالى، لأهل مكة مثلاً بالأمّن وأهميته في نهضة الشعوب وتقدمها مذكراً إياهم بما امتن عليهم من الأمن والأمان في الوقت الذي تتعاضد فيه العرب ويقتل بعضها بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً، وأهل مكة لا يغار عليهم، ولا يجاربون في بلدهم. وقوله "مطمئنة" أي: قارة بأهلها، لا يحتاج أهلها إلى الترحال والتنقل، كما يفعل أهل البوادي. وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ النحل: ١١٢ أي: يأتي أهلها معاش واسع كثيرة. وقوله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ النحل: ١١٢ يعني: من كل فج<sup>(٦)</sup>. وإنما كان ذلك نتيجة للأمن الذي كانوا ينعمون به، فقد توفرت بسببه جميع سبل الراحة والطمأنينة، مما ساعد على رغد العيش وسعة الأرزاق.

وكتيجة طبيعية فإنه عند زوال الأمن يحل الخوف بدلاً عنه ويتبعه الجوع الذي ساد الحياة بعد أن كان الأمن منبع السعة والرزق. وحول نعمة الأمّن قال تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ قرّيش: ٤.

أي: آمنهم مما يخاف منه من لم يكن من أهل الحرم مثل الغارات والحروب والقتال والأمور التي كانت العرب يخوف بعضها بعضاً<sup>(٧)</sup>. وإنما كان ذلك الامتنان من المولى عز وجل لما يمثله الأمن من بقاء الأمم ورفقيها.

ولأهمية الأمن أولت السنة المطهرة أيضاً اهتماماً بالغاً به، فقال - ﷺ -: (إذا مر أحدكم في مسجدنا، أو في سوقنا، ومعه نبل، فليمسك على نصالها - أو قال: فليقبض بكفه - أن يصيب أحداً من المسلمين)<sup>(٨)</sup>. في تحذير منه - ﷺ - مما قد يسببه ذلك من الإقدام على عمل مالا تحمد عقباه قد يكون من نتائجه الإخلال بالأمن.

وقال - ﷺ -: (من حمل علينا السلاح فليس منا)<sup>(٩)</sup>. لما قد يمثله السلاح من خطر في زعزعة الأمن واختلاله، فكانت السنة المطهرة حريصة كل الحرص على حفظ أمن المجتمع المسلم وسلامته.

ومن جملة أحاديث المصطفى، عليه الصلاة والسلام، في الحفاظ على أمن المجتمع المسلم، قوله ﷺ: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)<sup>(١٠)</sup>. وقال - ﷺ -: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم)<sup>(١١)</sup>. ومما قاله - ﷺ -: (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن، قيل: ومن يا رسول الله. قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه)<sup>(١٢)</sup>. وقال - ﷺ -: (لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً)<sup>(١٣)</sup>.

ولم يكن ما تقدم منه - ﷺ - إلا من باب التهيب لكل من تسول له نفسه الإخلال بالأمن، لما يترتب في زوال الأمن من أضرار جسام قد تعصف ريجها بطمأنينة المجتمع المسلم وسكونه، ومما قد يؤدي إلى سرعة انهياره وتلاشيه، ولم يكتف - ﷺ - بذلك، بل أرشد الأمة إلى الوسائل الكفيلة بحفظ الأمن والأمان، فقال - ﷺ -: (أفشوا السلام بينكم)<sup>(١٤)</sup> في سابقة منه - ﷺ - لطمس كل ما من شأنه أن يعكر صفو الأمن والأمان.

هكذا الشارح الحكيم الذي يأمرنا بكل ما فيه مصلحة العباد والبلاد، ومن المصلحة إشاعة الأمّن لتطمئن القلوب، وتستقر الأنفس، ليكون ذلك أدعى إلى مجتمع متحضر ومنتج في آن واحد.

ولأهمية الأمّن في وقتنا الحاضر انبثقت العديد من المصطلحات الخاصة بالأمّن فقيل: الأمّن القومي، والأمّن الإقليمي، والأمّن الدولي. وقيل أيضاً: الأمّن السياسي، والأمّن الاقتصادي، والأمّن الاجتماعي، والأمّن العسكري، والأمّن العلمي. كما قيل: الأمّن الفكري، والأمّن النفسي إلى غير ذلك من مجالات الأمّن المتعددة التي تصب جميعها في ميزاب الأمّن.

وبناءً على ما سبق فمن الطبيعي أن تختلف مصطلحات الأمّن وتتعدد تبعاً لاختلاف ما أنيط بالأمّن من معنى، فقيل: الأمّن هو: "الحالة التي تتوفر حين لا يقع في البلاد إخلال القانون، إما في صورة جرائم معاقب عليها، أو في صورة نشاط خطر يدعو إلى اتخاذ تدابير الوقاية والأمّن لمنع هذا النشاط الخطر من أن يترجم نفسه إلى جريمة من الجرائم"<sup>(١٥)</sup>.

ويعرف البعض الأمّن على أنه: "الحالة الناجمة من إيجاد وإدامة إجراءات الحماية تجاه الأعمال أو التأثيرات المعادية"<sup>(١٦)</sup>.

وبالتالي فإن ما تقدم ليعبر بوضوح عما تم اتخاذه من الإجراءات التربوية والعقابية للمحافظة على الأمّن، لأن عاقبة زوال الأمّن هو الخوف وانتشار الجريمة بشتى صورها.

وعلى ضوء ذلك يمكن تعريف الأمّن بأنه: الحالة التي من شأنها اتخاذ الوسائل الكفيلة بطمأنينة النفس، وسكون القلب، والباعثة على التقدم والازدهار.

### المحور الثاني: قدسية مكة المكرمة وأمنها:

كان من عظمة مكة وقدسيتها أن تعددت مسمياتها ف قيل: سميت مكة بالميم لأنها تمك الجبارين: أي تذهب نخوتهم. وقيل: لأنها تمك الفاجر عنها أي تخرجه. وقيل: لأنها تجهد أهلها، من قولهم تمكمت العظم إذا أخرجت مخه. وقيل: لأنها تجذب الناس إليها. وقيل: لقله مائها. واختلف في معنى تسميتها بكة بالباء، ف قيل: لأنها تبك أعناق الجبابرة إذا ألدوا فيها، أي تدقها. وقيل: لازدحام الناس بها. وقيل: لأنها تضع من نخوة المتكبرين. وقيل: أم القرى. لأنها أعظم القرى شأنًا. وقيل: لأن فيها بيت الله الحرام، بينما سميت أم لأنها قبله تؤمها جميع الأمة. وقيل القرية، من قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ النحل: ١١٢ ف قيل القرية مكة. ومنها البلد، قال تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ البلد: ١

قال ابن عباس: هي مكة والبلد في اللغة الصدر أي صدر القرى. ومنها البلد الأمين، قال تعالى: ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ التين: ٣. ومنها: البلدة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ النمل: ٩١. ومنها: معاد، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلُوبِي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ القصص: ٨٥.

فهذه ثمانية أسماء لمكة مأخوذة كلها من القرآن الكريم ولم يكن ذلك إلا لعظمة مكة وقدسيتها<sup>(١٧)</sup>.

وبالتالي فقد كان أمّن مكة تبعاً لتلك القدسية التي أنيطت بها، فاقرن ذكر الأمّن بمكة في أكثر من موضع في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ البقرة: ١٢٥. فقيل: البيت الذي جعله الله مثابة للناس، هو البيت الحرام<sup>(١٨)</sup>. فلا يكون الحرم أمناً دون توفر الأمّن في ربوع مكة، ومعنى ذلك فإنه لإقامة العبادة لا بد من توفر الأمّن، لذا قدم سبحانه وتعالى الأمّن على إقامة الصلاة، لأهمية الأمّن في شعور المسلم بلذة العبادة، وطمأنينة القرب من الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ البقرة: ١٢٦.

ومعنى قوله "أمناً" في الآية السابقة، أي: أمناً من الجابرة وغيرهم، أن يسلطوا<sup>(١٩)</sup> وقيل لا يخاف من دخله<sup>(٢٠)</sup>. وكانت العرب لا تتعرض لأهل مكة ويقولون: هم أهل الله، ويتعرضون لمن حوله<sup>(٢١)</sup>، وقد كانوا في الجاهلية يتخطف الناس من حولهم وهم آمنون لا يسلبون<sup>(٢٢)</sup>، ويرى الرجل منهم قاتل أبيه في الحرم فلا يتعرض له<sup>(٢٣)</sup>، وكانت العرب تقول: آمن من حمام مكة، لأنها لا تهاج ولا تصاد<sup>(٢٤)</sup>.

قال أبو حنيفة: "من لجأ إلى الحرم لا يقتل فيه ولا يتابع". ومن استعاذ بالحرم أمّن من أن يغار عليه<sup>(٢٥)</sup>، ومن ذلك قول الشاعر.

فسحت دموع العين تجري لبلدة بها حرم آمن وفيها المشاعر

وقال تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ

الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: ٩٧.

ومن دخله كان آمناً. قيل: كان هذا في الجاهلية، كان الرجل لو جر كل جريرة على نفسه، ثم لجأ إلى حرم الله، لم يتناول ولم يطلب. فكان الحرم مفزع كل خائف، وملجأ كل جان<sup>(٢٦)</sup>، وقيل: آمنا من النار<sup>(٢٧)</sup>.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ إبراهيم: ٣٧.

الحرم "أي: محرم على الجبابرة، وأن تنتهك حرمة، ويستخف بحقه<sup>(٢٨)</sup>، وقيل: إنما جعله محرماً، ليتمكن أهله من إقامة الصلاة عنده<sup>(٢٩)</sup>. وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الإسراء: ١. فتكرر ذكر المسجد متبوعاً بأنه ذو حرمة كما في الآيات السابقة.

وفي سورة النمل قال تعالى في سياق حرمة مكة وقدسيتها: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ رَبِّكَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ النمل: ٩١.

فقيل: إنما أضيفت الربوبية إلى البلدة مكة على سبيل التشريف والاعتناء بها، وقوله: الذي حرّمها، إنما صارت حراماً قدراً وشرعاً<sup>(٣٠)</sup>، وقيل: عظيم حرمتها، أي جعلها محرماً آمناً، لا يسفك دمها، ولا يظلم فيها أحد، ولا يُصَاد فيها صيد، ولا يُعضد فيها شجر<sup>(٣١)</sup>.

وفي موضع آخر من القرآن الكريم امتن سبحانه وتعالى على قريش بنعمة الأمن في توفير سبل الرزق وسعة العيش دون غيرهم من العرب قال تعالى: ﴿وَقَالُوا

إِنْ نَّبَيْحَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنَخِّطُكَ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجَيِّحُ إِلَيْهِ ثَمَرَتُ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وقال تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُنَخِّطُكَ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِيَا لَبَطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ يعني العرب، يسبي بعضهم بعضاً، وأهل مكة آمنون<sup>(٣٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ التين: ٣. أي: الأمّن من أعدائه أن يجاربوا أهله، أو يغزوهم<sup>(٣٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ قريش: ٤. أي: تفضل عليهم بالأمّن والرخص<sup>(٣٤)</sup>. وإن كان مما سبق من آيات بينه كلها متصلة بأمّن مكة، ولم يكن ذلك لمكة، إلا للدلالة على مكانتها وقدسيتها التي شرفها بها المولى عز وجل.

### المحور الثالث: مكة قبيل حكم الملك عبد العزيز آل سعود – طيب الله ثراه:

كانت مكة المكرمة قبيل ضم الملك عبدالعزيز في حالة من فقدان الأمّن الذي أدى بدوره إلى فوضى عارمة صاحبها الكثير من جرائم القتل والسلب والنهب، فالقبائل في حالة من عدم الاستقرار والفوضى والسلب والنهب واراقة الدماء؛ حتى وصل الأمر ببعض القبائل إلى الاقتتال أمام ديوان حكم عون الرفيق ١٢٩٩-١٣٢٣هـ<sup>(٣٥)</sup> دون أن تحرك الحكومة ساكناً<sup>(٣٦)</sup>.

وعن آلام الحجيج وشكواهم مما يجيق بهم في بلد الله الحرام أوردت جريدة المؤيد ما يعانیه الحجيج من القتل والسلب والخوف مرفوعاً إلى جناب السلطان "عبد الحميد الثاني" مستغيثة به، ما يلي: "علا الضجيج يا أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين، فملاً الآفاق من حجاج بيت الله الحرام، ومن الذي يتألمون لهم من المسلمين وغير المسلمين من أهل الشفقة والمرحمة. يا إمام الهدى وظهير الحق، إن الأيدي

الطاهرة التي بسطها الحجاج في السماء في بيت الله حول الكعبة للدعاء بنصره قد قطعها الأعراب، ورموا بها على الأرض تقطر دماً يقرأ منها الغادي والرائح حروف (وا خليفته).. يعود يا أمير المؤمنين حجاج البيت إلى بلادهم وقد فقدت الأم ولدها، والزوجة زوجها، والولد أمه، والزوج زوجته، والفتى ماله، والفقير ثيابه<sup>(٣٧)</sup>

وقد ذهب بعض الصحفيين إلى توجيه نداء إلى جميع أرباب الأقلام لشهرها والدفاع عما ألم بحجاج بيت الله الحرام من القتل والسلب، واحتمال أخذ الدول الاستعمارية الحالة السيئة لمكة المكرمة وما تعانيه من اختلال الأمن وكثرة الجرائم ذريعة لها لدخول قواتها لحفظ رعاياها من المسلمين؛ حيث قال: "خير ما يهدى من المسلم لأخيه المسلم الدعاء، وقد فعلت، وأرجو من الله سبحانه أن يعينكم ومن نحا نحوكم من الصحفيين وأرباب الأقلام على القيام بالواجب تلقاء ما ألم بحجاج بيت الله في هذا المقام من خطر، وأصابهم من ضيم وضر، وإني وغيري من المسلمين لتتألم أشد الألم لما أصاب إخواننا؛ وكيف لا نتألم لدماء تسفك، وأموال تنهب، ومصونات تهتك فتنبد بالعراء، وكل ذلك كان أمانة في حمى بيت الله الحرام، فخاب الأمل في الأمانة، ووقعت الخيانة من المؤمنين عليها، وكان الشكوى من شريف مكة مثل الشكوى من أعراب أجلاف غلاظ الأكباد قساة القلوب يزعمون أنهم مسلمون والإسلام من أعمالهم براء، السيد الشريف هو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤدي على رغبة منه واختيار ما وجب عليه لدينه وسلطانه وقومه؛ وليس هو ذلك الأمر بالفساد وقطع الطريق، الدافع المسلمين عن زيارة بيت ربهم، أملاً في نيل ذهب ذاهب وفضة منقوضة ومتاع غرور، ولا يدري أنه بما أمر يجني على نفسه وعلى ذريته، بل وعلى أهل دينه وأنه بما يسلب وينهب وأتباعه وأعوانه، كأنما ينادي بتشهير سلطانه، ويعلن عجز دولته عن تأديب أعرابه وحراسته الأمن في جزيرة العرب؛ وكأنه يدعو بذلك دول أوروبا التي لها رعايا مسلمون، أن تحتج للتدخل في شؤون

الجزيرة بحماية رعاياها الحجاج فترسل كل عام جيوشاً تنزل الجزيرة تخبر أحوالها وتعمل على اختلاق الأسباب لاحتلالها، وهناك البلاء الطام والداهية المدلّمة للإسلام وأهله<sup>(٣٨)</sup>.

ولما بلغه الأمر في مكة المكرمة، فقد حق لهذا الصحفي الخوف على ما قد يحيق بأمر القرى من مكر الدول الاستعمارية في ظل هذه الأوضاع المريعة التي قد تتخذها بعض الدول ذريعة لدخول قواتها بقصد حفظ الأمن والاطمئنان على رعاياها؛ فالوضع في مكة المكرمة أصبح لا يطاق، ولتقريب الصورة أكثر يطالعنا أحد الحجاج بوضع الحجيج في مكة المكرمة بقوله: "قد توجد في الجهات البربرية التي لا يزال أهلها في طور الهمجية، بلاد يظلم فيها الناس ويسامون الخسف، ولكننا لو فتننا في كل بقاع المعمورة على بقعة يصاب فيها عباد الله بكل أنواع المظالم والعنف والاستبداد وسوء المعاملة بمثل ما يصابون به في مكة المكرمة حيث بيت الله الحرام ما وجدنا لها نظيراً (وا حسرتاه)! يهجر الحجاج بلادهم ويفارقون بيوتهم وأولادهم ونساءهم وأموالهم، ويكابدون من وعناء السفر ومتاعب المحتجرات الصحية عن طيب نفس ورضا خاطر؛ حباً في الثواب، وطلباً للأجر من الله، مؤمنين أنهم متى وصلوا إلى مكة فقد آن لهم أن يستريحوا وتطمئن نفوسهم، ولكن لا يطؤون أرض الحرمين حتى ينقض عليهم الأعراب سلباً ونهباً ويسومونهم سوء العذاب<sup>(٣٩)</sup>".

وبدل استعداد الحجاج الروحي بالتكبير والاستغفار لأداء فريضة الحج أصبح استعدادهم بالسلاح أهم ما يسعى الحاج الحصول عليه لحماية نفسه وأهله وماله وكأنه ذاهب إلى دار حرب، على النقيض من ذلك حيث تبلغ الفرحة تمامها عند عودة هؤلاء الحجيج إلى أوطانهم سالمين إذ يستقبلهم ذويهم بإقامة الأفراح والليالي الملاح فرحاً بعودتهم أكثر من فرحهم بتأديتهم شعيرة الحج<sup>(٤٠)</sup>، وهذه الفرحة من قبل

الأهالي إنما هي خير دليل على الحالة التي بلغتها أم القرى من فقدان الأمن وانتشار الخوف وارتفاع معدل الجريمة.

ويطالعنا أحد المستشرقين عن الأوضاع الأمنية في مكة المكرمة بقوله: "كان الحجاز بدون إدارة، وفي الكثير من عدم الأمن، فلم تكن الطرقات آمنة، ولم يكن الناس يجرؤون على السفر دون أن تتخذ خطوات لحمايتهم، وكان القتل شيئاً عادياً يرتكب من أجل دراهم معدودة، أو من أجل سلة من الخبز"<sup>(٤١)</sup>.

كما أن الوضع السياسي قد انعكس على الناحية الأمنية، فكثرة تنازع الأشراف واقتتالهم على السلطة في مكة المكرمة أوجد نوعاً من الفراغ السياسي الذي أحدث بدوره اختلال الناحية الأمنية لمكة المكرمة<sup>(٤٢)</sup>، حتى أصبح الوضع في مكة من الأمور التي تفيض لها المشاعر أسى لما وصلت إليه، وممن فاضت مشاعرهم أمير الشعراء أحمد شوقي<sup>(٤٣)</sup> الذي أطلق قصيدة "ضحجج الحجيج" التي يصور فيها مشاهد الظلم المنتشرة في مكة التي لم يسلم منها أحد، كما يعبر فيها عن معاناة الحجاج وما يتعرضون له من المعاناة في سبيل أداء أحد أركان الإسلام، موجهاً خطابه ذلك إلى جلالة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني مستنصراً به في رد المظالم وإعادة الأمن إلى مكة المكرمة التي سُلبت قدسيتها. ومما جاء فيها<sup>(٤٤)</sup>:

ضج الحجيج وضج البيت والحرم	واستصرخت ربها في مكة الأمم
قد مسها في حماك الضر فاقض لها	خليفة الله أنت السيد الحكيم
لك الربوع التي ربع الحجيج بها	أ للشريف عليها أم لك العلم
أهين فيها ضيوف الله واضطهدوا	إن أنت لم تنتقم فالله منتقم
أفي الضحى وعيون الجند ناظرة	تُسى النساء ويؤذى الأهل والحشم
ويُسفك الدم في أرض مقدسة	وتستباح به الأعراض والحرم

هكذا كان حال أم القرى التي تئن تحت وطأة الهروب الأمّني في ظل شيوع القتل والسلب الذي استمر على وتيرة متصاعدة قبيل دخول الملك عبد العزيز آل سعود مكة المكرمة، وحتى مع تسلّم الحسين بن علي (١٣٢٦-١٣٤٣هـ/ ١٩٠٨-١٩٢٤م)<sup>(٤٥)</sup> مقاليد السلطة هناك، فإن الوضع كان يسير من سيئ إلى أسوأ.

بل على العكس من ذلك فإن حكومة الحسين بن علي دفعت عجلة الاختلال الأمّني إلى الأمام وبقوة، فقد وصفت على أنها من أسوأ حكومات العالم فساداً حيث أضحت ملاذاً لكثير من المجرمين والنصابين الذين أخذوا في التهافت عليها طمعاً في الاضطهاد في ماء الحجاز العكر، وأصبح الشيء الوحيد المنظم في الحجاز في ظل حكومة الحسين هو مؤسسات النصب والاحتيال<sup>(٤٦)</sup>. وقد بلغ من الانحلال الأمّني بمكة المكرمة أن سكان الحارات المكية أنفسهم لا يستطيعون الانتقال من حارة إلى أخرى إلا بشكل جماعي خوفاً على أنفسهم<sup>(٤٧)</sup>.

بل إن مما يحزن القلب ويدمع العين أن سبيل القتل والغزو والسلب أصبح، بالنسبة لقبائل الحجاز، منهج حياة من أجل لقمة العيش، نتيجة للأوضاع الاقتصادية السيئة هناك، مما انعكس بظلاله على الحركة التجارية<sup>(٤٨)</sup>.

ومن الطرق العملية التي درجت قبائل الحجاز على الأخذ بها هي الخوة حيث لم تكن تسمح لأحد المرور من أراضيها دون دفع شيء مقابل ذلك<sup>(٤٩)</sup>، ومعنى هذا أن الحل والعقد أصبح بيد القبائل دون رقيب أو حسيب أو حكومة تراعي مصالح العامة على الخاصة، ولم يكن هذا الأمر راجعاً إلى قوة تلك القبائل بقدر ما هو موكل إلى ضعف حكومة الحسين بن علي التي سمحت بمثل تلك الفوضى دون أن تحرك ساكناً في الأخذ على يد المعتدين وإنزال العقاب بالمجرمين.

وبالكلية فقد كان حكم الحسين غير صالح، إذ لم يكلف نفسه كف البلاء عن سكان الحجاز عامة ومكة المكرمة خاصة؛ ناهيك عما كان يحيق بالحجيج، بل على العكس من ذلك فقد بلغت مكة مبلغاً عظيماً من فقدان الأمن في ظل قيادة الحسين لم تبلغه في الحكم العثماني قبيل إعلان الثورة العربية واستقلال الحجاز سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م، فقد كان الجندي التركي يقف بالمرصاد لحماية الحجاج وعدم السماح بسوء معاملتهم، أما الحسين بن علي فهو عاجز بالكلية عن توفير الأمن للحجاج أو السيطرة على عمليات القتل والسلب التي تقوم بها القبائل ضدهم<sup>(٥٠)</sup>.

فالحياة إذًا في الحجاز قد أصبحت في ظل حكم الحسين بن علي "صعبة لا تحتمل: مئات الحجاج يسلبون أو يقتلون كل عام، وجرائم القتل يومية مألوفة كانوا يقتلون طمعاً بكوفية أو بضعة نقود أو حفنة تمر، وكانت السرقة مستشرية كالوباء، فما من طريق آمن، وما من قرية في منحى من السالبيين، ولما كان الفساد والرشوة سائدين في الدولة، فغالباً ما كانت الجرائم على اختلافها تظل بغير عقاب"<sup>(٥١)</sup>.

وقد بلغ من ضعف حكومة الحسين بن علي أن تعرض الحجاج للسلب حتى وهم داخل المسجد الحرام، مما صعد كثيراً الشكاوى من قبل المسلمين في جميع أنحاء العالم مطالبة السلطة العثمانية بالوقوف على هذا الأمر الذي أصبح لا يطاق، والتدخل لمنع هذه الأعمال الإجرامية وحماية الحجاج<sup>(٥٢)</sup>.

#### **المحور الرابع: مكة المكرمة في ظل حكم الملك عبد العزيز آل سعود:**

"إني مسافر إلى مكة، لا للتسلط عليها، بل لرفع المظالم عنها. إني مسافر إلى مهبط الوحي، لبسط أحكام الشريعة، ولن يكون في مكة بعد الآن سلطان لغير الشرع"<sup>(٥٣)</sup>.

بهذه الكلمات سار سلطان نجد وملحقاتها<sup>(٥٤)</sup> عبد العزيز آل سعود - طيب الله ثراه - في ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م متجهاً من الرياض إلى مكة المكرمة، راسماً خط سياسته في الأرض المقدسة مبكراً، وقبل دخولها أو حتى تحركه من الرياض، موضحاً الغرض من سيره إلى أم القرى في رفع المظالم عنها مما أصاب الناس وأثقل كاهلهم، مستنداً إلى شرع الله كسلطان يحكم البلاد والعباد، متبعاً جلالته في ذلك قوله تعالى:

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة: ٥٠.

وكان هذا ديدنه - طيب الله ثراه - فما أن علم بتمكن الإخوان من الطائف وعزمهم المضي نحو مكة المكرمة إلا وبعث جلالته بالمنشور التالي إلى أهل مكة وجدة مطمئناً إياهم بقوله: " من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود إلى كافة من يراه من إخواننا أهالي مكة وجدة وتابعهما من الأشراف والأعيان والمجاورين والسكان، وفقنا الله وإياهم لما يحبه ويرضاه، آمين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد: فالموجب لهذا الكتاب، هو شفقتنا على المسلمين، لصلاح أحوالهم، في أمر دينهم وديناهم... وأما الأمر الذي عندي لكم، فهو أنني أقول لكم: يا أهل مكة وأتباعها من الأشراف وأهل البلد عموماً، والمجاورين والملتجئين من جميع الأقطار، عهد الله وميثاقه، أن نحافظ على أموالكم ودمائكم، وأن تحترموا بجرمة هذا البيت، كما حرمه الله على لسان خليله إبراهيم ورسوله محمد عليهما أفضل الصلاة والتسليم، وألا نعاملكم بعمل تكرهونه، وألا يمضي فيكم دقيق أو جليل إلا بحكم الشرع، لا في عاجل الأمر ولا آجله، وأن نبذل جلدنا وجهدنا فيما يؤمن هذا الحرم الشريف وسكانه وطرقه للوافدين إليه، الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً، وألا نولي عليكم من تكرهونه، وألا نعاملكم بمعاملة الملك والجبروت، بل نعاملكم بمعاملة النصح والسكينة والراحة<sup>(٥٥)</sup>.

فترى أن سلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز آل سعود - طيب الله ثراه - في خطابه السابق يخاطب أهالي مكة وجدة بإخوانه، بل يشمل كذلك عموم الناس من غير سكان مكة وجدة في رسالة منه ملئها الرأفة والرحمة، كما أنه يوجه عنايتهم إلى عهد قطعه على نفسه من غير أن يطلب منه في حفاظه على الأنفس والأموال في دلالة إلى الغرض من مسيرته تلك التي أتت لرفع الظلم وإشاعة الأمن، وليس الغزو أو السلب والنهب.

كما يشير الخطاب إلى معرفته بجرمة مكة المكرمة والتي لا تتسنى إلا من خلال الخلفية الدينية التي يمتلكها، كما أكد الخطاب على المعاملة الشرعية الحسنة لسكان المدينتين وبذل جهده في توفير الأمن سواء للسكان أو قاصدي بيت الله الحرام في دلالة واضحة بمعرفة لما كان يعانيه سكان مكة المكرمة وكذلك حجاج بيت الله الحرام من مهالك وفقدان للأمن في سبيل الوصول إلى بيت الله الحرام.

وفي ظل تأكيد سلطان نجد وملحقاتها أن هدفه من ضم مكة المكرمة إنما هو ناشئ من عزمه على الإصلاح واستتباب الأمن في ربوع أم القرى خاصة والحجاز عامة، فقد وجه في عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م مذكرة لبعض حكومات العالم مبيناً فيها أنه ليس لديه أي طموحات شخصية في الحجاز. وأن غرضه من ذلك إيجاد حكم عادل، يضمن الأمن للجميع، ويحافظ على الأرواح والممتلكات، وحماية الحجاج في ظل دستور مستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ<sup>(٥٦)</sup>.

كما أكد سعيه في تحقيق تلك الرغبة في حديثه الذي دار بينه وبين الشيخ مصطفى المراغي - مبعوث الملك فاروق للصلح بينه وبين علي بن الحسين - عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م بأن الغرض من ضم الحجاز هو استتباب الأمن، لينعم به أهل الحجاز ومن جاء قاصداً الحجاز من الحجاج وغيرهم، وإنما كان سعي جلالته في ذلك

عملاً بقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ لَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَنكُم عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ هود: ٨٨

وبالفعل قد بدأت بوادر الإصلاح - ومنها الأمّني - مبكراً قبيل دخول مكة المكرمة حوزة سلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز آل سعود - طيب الله ثراه - وذلك بفتوى علماء الرياض إلى الإخوان بعدم دخول أم القرى بنية القتال فما كان منهم إلا أن دخلوها عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م بملايس الإحرام متجهين إلى البيت الحرام منادين بالأمان<sup>(٥٧)</sup> مكبرين مهللين كما دخلها رسول الله ﷺ وصحابته الكرام في عمرة القضاء حذو القذة بالقذة في اتباع منهج خير البشر ﷺ .

وقبيل دخول سلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز آل سعود - طيب الله ثراه - إلى مكة المكرمة قرر إرسال وفد من قبله إلى سكان أم القرى لبث الطمأنينة والسكينة في قلوبهم، ومن بين الوفد حافظ وهبة<sup>(٥٨)</sup> الذي نقل إلينا التقرير التالي حول مكة المكرمة: "إن الحجاز فقير قليل الموارد يعجز عن القيام بجميع النواحي الإصلاحية، التي يتوق المسلمون إلى تحقيقها في أحب البلاد إليهم، والحجاز في ذلك الوقت - يقصد سنة (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م) - بالرغم من قداسته، يقل شأناً عن كثير من الحواضر الإسلامية، لا طرق معبدة، ولا إدارة صحيحة منظمة، ولا مياه صحية للشرب، والبعض يعكر صفو الراحة... لقد كانت مكة وقت دخولنا إليها من المدن المتأخرة في تخطيطها وطرقها، وحياة أهلها، لقد كانت ولا تزال - وقت كتابة التقرير - تحتاج إلى عناية عظيمة، لما لها من الإجلال والقدسية في نفوس المسلمين، ولا غرابة ولا عجب إذا رجعت طوائف كثيرة من الحجاج المتعلمين، والمثقفين، غير راضين عما شاهدوه في الحجاز، مما لم يكونوا ينتظرونه"<sup>(٥٩)</sup>.

هكذا كانت مكة المكرمة في ظل تراكمات من سنين الجهل والتأخر بعيدة كل البعد عن المدنية والتقدم، من سوء الإدارة، وفوضى السياسة، وانفلات الأمن، وكثرة الجرائم وانتشار الخوف، ترزخ تحت حكم لا ينظر إلا إلى مصلحته الشخصية ضارباً قدسية المكان وشرف الزمان عرض الحائط، مما يندى له جبين كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها على ما آلت إليه أمور الأرض المقدسة.

ومما لا شك فيه أن تلك الأوضاع لم تكن لترضي سلطان نجد وملحقاتها عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - الذي صمم على إسدال فصل من أسوأ ما وصلت إليه أم القرى وبداية عهد سعودي جديد ينعم الناس فيه بظل الشريعة الإسلامية، متذوقين نعمة الأمن وحلاوة الإيمان.

ولم تكن تلك الأمانى مما يعجز - يرحمه الله - عن الإيفاء بها، فقد كان ألد أعدائه يعترف له بما تحقق على يديه من الأمن والأمان لكل ما دخل تحت حكمه من تطهيره تلك البقاع من رجس الجاهلية ووثن الفوضى، حتى أصبح حكمه مضرب الأمثال مذكراً في الوقت نفسه بما كان من عهد النبي ﷺ وصحبه الكرام<sup>(٦٠)</sup>.

حتى إن صيته وحزمه واهتمامه بالأمن والأمان والأخذ على يد من تسول له نفسه، قد بلغ خارج الجزيرة العربية، وكان هذا مدعاة لجمعية أهل الحديث والعلماء، وجمعية الخلافة بالهند إلى تأييده في دخول مكة المكرمة وتطهيرها مما لحق بها وفرض الأمن هناك<sup>(٦١)</sup>.

بل إن أهل الحجاز أنفسهم رأوا في سلطان نجد وملحقاتها مخلصاً لهم مما هم فيه، وضابطاً من ناحية أخرى للأمن الذي طالما انتظروه، فقد جاء في تقرير القنصل البريطاني في جدة السير "ريدر بولارد" في ٢٨ سبتمبر ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م: "إن سكان جدة تلقوا نبأ دخول الإخوان الطائف بسعادة غامرة"<sup>(٦٢)</sup>. وفي موضع آخر يذكر السير

"ريدر بولارد" رغبة أهل الحجاز الأكيدة في التخلص من حكم الحسين بن علي ما نصه: "أنهم رأوا في النجديين محررين لهم منه"<sup>(٦٣)</sup>.

أضف إلى غياب المنظومة الأمنية تدهور الوضع الاقتصادي في كافة المدن الحجازية، ومنها مكة، من انخفاض موارد الرزق بين سكانها، وشح العيش مما جعل سكان الحجاز يتطلعون إلى حكم عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - كمنقذ لهم مما وصلت إليه الأمور.

ومما يدل على ذلك تلك الشكاوى التي بعث بها أهل الحجاز إلى سلطان نجد وملحقاتها مستنجدين به ليخلص السكان والحجاج في الحجاز من ظلم الحسين وأعدائه<sup>(٦٤)</sup>، وما كان ذلك منهم إلا لعلمهم اليقين بعدالته وسعيه لتحقيق الأمن والأمان على كافة البلدان التي كان يحكمها كشاهد عيان.

ولم يكن ذلك من أهل الحجاز إلا ليأسهم من تحرك عجلة الإصلاح والتقدم في ظل حكم الحسين بن علي، بعد أن أصبح الحجاز موطناً للقتل والسلب والجهل والتخلف، مما جعل أفئدة أهله تتجه نحو سلطان نجد وملحقاتها الذي رأوا فيه مخلصاً لهم مما هم فيه بعد أن ذاع صيته وأمنه وعدالته متخذاً من القرآن الكريم والسنة المطهرة منهجاً ودستوراً.

وحول هذا الأمر يقول محمد شطا موجهاً خطابه لجلالته في أحد الاحتفالات قائلاً: "لقد بسطتم على هذا الشعب من حمايتكم ما يجعل أمتك موضع الإعجاب ومضرب الأمثال، ونشرتم في ربوعه العدل فبدلتكم من روعه أمناً، ومن فزعه طمأنينة وسلاماً. وقد مضى عليه ربح من الزمن كان يرزح تحت نير الظلم والاستعباد، ويتخبط في ظلمات الجهل والفساد، ويرتطم بصخور الفوضى والاضطراب. مضى عليه ربح من الزمن لم يشهد من أمرائه وسلوكهم عدلاً كعدلكم، ولا رحمة كرحمتكم،

ولا رعاية كرايتكم.. لقد ملكتم القلوب قبل الأعنة، والأرواح قبل الأجساد، فخضعت لكم النفوس عن حب ورغبة، لا عن سلطان ورهبة<sup>(٦٥)</sup>. وبالتالي فقد كانت سيرة عبد العزيز آل سعود-رحمه الله-العطرة فاتحة للقلوب قبل المدن مما جعل الحجاز تتطلع إلى حمايته وقيادته.

وبالفعل فقد كان عبد العزيز آل سعود-رحمه الله- عند حسن ظن المسلمين جميعاً، وأهل مكة خصوصاً، فما كاد يدخل أم القرى في الثامن من جمادى الأولى ١٣٤٣هـ/ ٥ ديسمبر ١٩٢٤م حتى بدأ فوراً باتخاذ الإجراءات الكفيلة باستقرار أمن مكة المكرمة، وبث الطمأنينة بين أهلها وزائريها مما يعتبر نقطة تحول جوهرية في تاريخ أم القرى.

وكان ديدنه -رحمه الله- إقامة العدل، وإشاعة الأمن، ورفع الظلم وقد ظهر ذلك جلياً في حديثه إلى أهل مكة قائلاً " لا كبير عندي إلا الضعيف حتى أخذ له الحق، ولا ضعيف عندي إلا الظالم حتى أخذ الحق منه وليس عندي في إقامة حدود الله هوادة ولا أقبل فيها شفاعة"<sup>(٦٦)</sup>.

كما أخذ - رحمه الله- في دعوة شيوخ القبائل وإعلامهم بما هو محظور على أفراد قبائلهم الإقدام على فعله، وإلا تعرضت تلك القبائل للعقوبات من قبله، فحظر عليهم القتل، أو الجري على ما كانت عليه تلك القبائل من قبل في أخذ "الخوة"<sup>(٦٧)</sup>، كما حذرهم من السلب والغزو والتعرض للحجاج أو غيرهم بسوء، أيضاً أفهمهم أن الدولة هي المسؤولة الوحيدة عن معاقبة المجرمين دون العشائر من الاقتصاص بالثأر أو نحوه، كما حظر على القبائل إقامة مضاربها على الطرق العامة، ليكون المارون منها أكثر شعوراً بالأمن والطمأنينة<sup>(٦٨)</sup>.

وقد حذر من مخالفة تلك الأوامر أو قيام من تسول له نفسه الإقدام بعمل يؤدي إلى زعزعة الأمّن وترويع الناس؛ بأنه سوف ينزل بحقه أشد العقوبات، وكذلك من يدافع عنه أو يحميه من تلك القبائل. وما كان هذا منه، إلا لتعلم تلك القبائل أن الأمر تغير عما اعتادوا عليه في الماضي بل أصبح هناك دولة يعيش الناس تحت ظلها مستأنسين فيها بالأمّن والأمان.

ومما يذكر في حزمه - رحمه الله - وعزمه في إنفاذ الأوامر فيما يعود على البلاد والعباد بالخير والفلاح، أن أحد رؤساء العشائر الحجازية اعترض على منع الغزو وسلب الحجاج وأخذ "الخوة" باعتبارها عادات درجوا على فعلها، فكان مما قاله لجلالة الملك عبد العزيز ما يلي: "يا عبد العزيز! العرب تقول قطع الحشوم ولا قطع الرسوم". فما كان من الملك الموحد أمام هذا الاستكبار على الحق ومحاولة زعزعة الأمّن، إلا أن أنزل أشد العقاب بذلك الجاهل لحدود الله، المعارض لولي الأمر، الساعي في الأرض بالإفساد<sup>(٦٩)</sup>.

وعلى طريق الإصلاح الأمّني في مكة المكرمة بدأ جلالتة في إنشاء قوة بوليسية من حرسه الخاص، كما عين مراقبين في سائر المدن، وأنشأ دوريات الجمال السريعة التي كانت تتحرك بسرعة وتظهر فجأة في المعسكرات والقرى، وتسير في العادة بالليل وتنزل على الناس دون إنذار مسبق. وقد نفذ جند ابن سعود القانون بكل قوة، إذ كانوا يأخذون القصاص من القتلة، ويقطعون الأيدي في جرائم السرقة، ويمارسون الجلد في الجرائم الأخلاقية. ولم تأخذهم شفقة في تطبيق القانون بحسب مقتضيات الشريعة، ولم يكونوا يكلّون أو يملّون في ملاحقة المجرمين، ولا يهدأ لهم بال حتى يلقوا القبض عليهم. ولم يستثنون أحداً في تطبيق القانون، إذ لم تكن العاطفة تتدخل في أمور الأمّن، ولم يمض وقت طويل حتى بثوا الرعب في قلوب المجرمين، وبدأت مكة المكرمة تشهد عهداً من الأمّن لم تعرفه منذ زمن طويل، واختفت الجرائم الخطيرة، وأصبحت

طرق القوافل آمنة حتى بالنسبة للمسافرين المنفردين، وربما ترك الرجل بضاعته إلى جانب الطرق دون حراسة، ويعود بعد أسبوع ليجدها في مكانها. وكان المشاة يتعدون عن البضائع الملقاة على قارعة الطريق حتى لا يمسوها بالصدفة، وهكذا بدأ الناس يشعرون بيد ابن سعود في كل موقع من أراضي الحجاز<sup>(٧٠)</sup>.

كما عمد جلالته - رحمه الله - إلى جعل الدولة هي المسئولة عن معاقبة المجرمين وحفظ الأمن، في دلالة واضحة لقوة الدولة وقدرتها على فرض الأمن والاقتصاص من الجناة. ونحو التمكين للأمن رأى جلالته إقامة الهجر لعشائر الحجاز في خطوة منه إلى تمدن تلك العشائر وانتشالها من الجاهلية، وتعليمها شعائر دينها، على غرار ما حصل مع عشائر نجد. ومن الإجراءات التي عمد جلالته أيضاً إلى اتباعها، في طريق فرض الأمن، حظره التام على القبائل الإقامة في الطرقات العامة حتى يبقى المسافرون أكثر شعوراً بالأمن والطمأنينة على أنفسهم وأموالهم، وقد نفذت أوامره - طيب الله ثراه - بدقة بالغة حتى إن جلالته لم يحتج إلى إقامة مخافر إضافية للجند، بل إنه لم يكن في حاجة إلى استخدام المخافر القديمة التي أقيمت زمن العثمانيين<sup>(٧١)</sup>.

وهذا هو المقصود في سياسته الأمنية - رحمه الله - أن يكون كل مواطن رجل أمن في ضبطه للنظام وحفظه للأمن على مستواه الشخصي وعلى مستوى الوطن.

وقد آتت سياسته ثمارها، ومن ذلك ما روي أن هناك بدوياً في مكة المكرمة يبيع الفجل - وهذه المهنة غير مقبولة عند البدو - مما جعل العملة يستحضره ويناقشه. فقال ذلك البدوي: "إن الحكومة السابقة - يعني حكومة الحسين بن علي - لا خوف منها لأنها عاجزة عن حماية نفسها، وهذا ما أطمعني أنا وغيري من الأعراب باغتنام الفرص كقطع الطريق بين مكة المكرمة والمدينة المنورة وتخويف الحجاج بإطلاق النار

في الهوء لإجبارهم على دفع الرسوم، وحدث أن قتلت حاجاً؛ لأنني ظننت أنه يحمل في حقيته نقوداً، فلما فتشتها وجدت فيها خبزاً يابساً. أما الآن في عهد ابن سعود العادل فأنا أكسب عيشي بالحلال، وحضرت مكة المكرمة لأقضي آخر عمري بجوار البيت عسى الله أن يغفر لي ويعفو عني<sup>(٧٢)</sup>.

فرحم الله عبد العزيز آل سعود رحمة واسعة الذي تمكن بسياسته الراشدة من تحويل هذا البدوي من السلب والنهب والقتل إلى الوسيلة الكفيلة بكسب لقمة عيشه بالحلال؛ بالإضافة إلى معرفة ذلك البدوي بحدود الله والمحافظة عليها.

ولما اقترب موسم الحج، وجه جلالته نداءً إلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بتاريخ ١ شعبان ١٣٤٣هـ / ٢٥ فبراير ١٩٢٥م مبيناً فيه زوال دولة الظلم بما كان في عهدها من الجور والقتل والسلب، وارتفاع راية "لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله" في ظل تطبيق الشريعة الإسلامية، كما تضمن الخطاب دعوة جميع المسلمين الراغبين في الحج بالقدوم إلى مكة المكرمة وطمأنتهم وتوجيههم إلى الموانئ التي دخلت حوزة الحكم السعودي - ميناء رابع، والليث، والقنفذة - مع التنويه لجميع حجاج بيت الله الحرام بأن جلالته سوف يسعى بشتى الوسائل والطرق لتأمين سلامة الحجيج وراحتهم<sup>(٧٣)</sup>.

حيث اتخذ جلالته كافة الإجراءات التي من شأنها راحة الحجاج، وسلامتهم، ومن ذلك تخصيص دوريات متنقلة وثابتة في الطرق لتأمين سلامة الحجاج، والسهرة على راحتهم وتلبية رغباتهم وتوفير المواد الصحية اللازمة حتى عودتهم سالمين غانمين إلى بلادهم<sup>(٧٤)</sup>.

وقد كان حج ذلك العام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م محل ترقب وانتظار من قبل حجاج بيت الله الحرام ودولهم بعد أن آلت الأمور إلى جلالته - رحمه الله - في رغبة

المسلمين جميعاً بتحقيق الأمن والأمان في بلد الله الحرام؛ ورجوع حجاج بيت الله سالمين غانمين بعد أن أدوا مناسكهم وهم بصحة جيدة، ذلك الحلم الذي راود مسلمي العالم والذي أصبح تحقيقه معجزة في نظرهم.

وبالفعل فما كان حلماً تحقق، وما كان خيلاً أصبح حقيقة في ظل حكم سلطان نجد وملحقاتها، فكان حج عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م حجاً مميزاً على كافة الأصعدة الأمنية والصحية؛ مما كان أمراً لا يصدق في نظر الكثيرين، إلا أن إصرار جلالته وعزمه على استتباب الأمن وجهده وجهاده في راحة المسلمين جميعاً، واعتماده على الله أولاً وأخيراً قد هيا السبل الكفيلة بتحقيق المعجزات.

وحول حج ذلك العام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م تطلعنا مجلة الكويت بمقال لها تبين فيه ما كان يلقاه حجاج بيت الله الحرام من معاناة قبل حكم عبد العزيز آل سعود - سلطان نجد وملحقاتها آن ذاك- وما آل إليه الأمن بعد حكمه جاء فيه: " نهض الشريف وزالت دولة الترك في الحجاز، وقلنا عسى أن يكون زمنه زمن خير وأمن في ربوع الحجاز، فجاء الموسم وأتى المحمل المصري إلى مكة عن طريق البحر بحسب عادته، ولم يأت المحمل الشامي طبعاً، وانتهى الحج، وعاد المحمل المصري إلى مصر ولم يذهب إلى المدينة، فاستغربنا وقلنا هذه أول سنة والأمور لم تستقر، فجاءت السنة الثانية والثالثة والرابعة فإذا الحالة كما هي والمحمل لم يذهب إلى المدينة.. وإذا بحالة الحجاج في طريق المدينة كما كان عليه الحال في زمن الترك، بل أفضع، وفي آخر سني الشريف حسين ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م عاد الحجاج من منتصف الطريق إلى مكة في أسوأ حال بدون زيارة بعد أن تشتت شملهم، وتفرق جمعهم، ونهب ما لهم. خرج الشريف حسين من الحجاز، وسلم ابنه الملك علي زمام الأمر عبد العزيز آل سعود، وجاء موسم الحج وأتى الحاج، وحج وزار وعاد إلى أهله سالماً. فقلنا: هذه أول سنة، وسنرى ما بعدها، وإذا بالسنة الثانية أتت، وإذا بالبحر قذف بحجاج بيت الله من عموم

أقطار العالم. وإذا بالأمم تتكّسد في مكة حتى ضاقت بهم البلاد بما رحبت حتى بلغ حج ذلك العام ما يربو على ثلاثمائة ألف من عرب وعجم، وإذا بوارد البحر وحده بلغ مائة وأربعين ألفاً<sup>(٧٥)</sup>.

وبذلك زالت الموانع التي كانت تحرم كثيراً من مسلمي العالم أداء فريضة الحج، وحل محله الأمن والأمان وراحة الحاج، مما جعل أعداد الحجاج تزداد بنسب مرتفعة في ارتياد البيت الحرام، وكان أولئك الحجاج خير سفراء لبلدانهم لما لمسوه من مستوى أمّني مرتفع، بالإضافة إلى توفير كافة السبل لراحتهم في ظل حكم جلالته رحمه الله.

وحول المستوى الأمّني الذي أخذ ينعم به ضيوف بيت الله الحرام تثبت السجلات الأمّنية تكّسد المقار الأمّنية بأغراض حجاج بيت الله الضائعة منهم، على أن أكثر تلك الحاجات أحضرها البدو الذين يقطنون على دروب الحاج<sup>(٧٦)</sup>.

وفي سعي جلالته الدؤوب والمتواصل لسلامة حجاج بيت الله الحرام وسلامتهم فقد أمر جلالته بوضع نظام شامل للأمن والسلامة في البيوت التي يقطنها الحجاج<sup>(٧٧)</sup>.

وانطلاقاً نحو مسيرة الأمن من خلال فكر القائد المؤسس - رحمه الله - فما كادت تصفو له الحجاز بتسليم جدة وانضوائها تحت حكمه ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م إلا وجه جلالته خطاباً إلى أهل الحجاز مؤكداً فيه على أهمية الأمن في حفظ البلاد واستقامة أمور العباد، مشدداً على ضرورة التقيد بالأنظمة، والحرص على تطبيقها، محذراً في الوقت نفسه من الاسترسال في الأهوال التي من شأنها زعزعة الأمن. وكان مما جاء في ذلك الخطاب ما يلي: "إن البلاد لا يصلحها غير الأمن والسكون، لذلك أطلب من الجميع أن يخلدوا للراحة والطمأنينة، وإنني أحذر الجميع من نزعات الشياطين، والاسترسال وراء الأهواء التي ينتج عنها فساد الأمن في هذه الديار. فإنني

لا أراعي في هذا الباب صغيراً ولا كبيراً، وليحذر كل إنسان أن تكون العبرة فيه لغيره<sup>(٧٨)</sup>.

واستكمالاً للمنظومة الأمنية تأسست في مكة المكرمة، سنة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م، مديرية عامة للشرطة، تبعها إنشاء مدرسة للشرطة بمكة المكرمة عام ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م، تخرج فيها حتى سنة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م (٨٢) ضابطاً ومساعداً، وكان الطلبة فيها يتقاضون رواتب شهرية لتشجيعهم على الاستمرار في الدراسة<sup>(٧٩)</sup>.

ولم يكن ذلك من الملك الموحد - طيب الله ثراه - إلا سعياً منه لاكتمال المنظومة الأمنية، ومن جهة أخرى فإن إنشاء مدرسة الشرطة في مكة المكرمة بالذات فيه رسالة واضحة أن مكة لم تعد آمنة فقط، بل أصبحت مناراً ومشعلاً لتصدير الأمن، من العلوم الأمنية المختلفة، وكذلك الرجال المسئولين عن حفظ الأمن.

بهذا الفكر الراقي عن المنهجية الأمنية استطاع الملك المؤسس توطيد أركان الأمن في مكة المكرمة بما يضمن للسكان المحليين والوافدين إليها وحجاج بيت الله الحرام الأمن والسلامة، وحول هذا كتب محمود أبو الفتوح بعد أن كان في زيارة للحجاز سنة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م ما نصه: "كان بعض الأعراب يذبحون الحاج وإن كان فقيراً لاستلاب ما معه. كانوا يذبحون الحاج في رابعة النهار. لا يسلم من أذاهم أحد. ولم يجدوا من يردعهم، فعاثوا فساداً. حتى كان المسلم يخرج وهو لا يدري أيعود إلى وطنه أم يقتله السفاحون هناك؟ وجاء ابن سعود فضرب أمثلة قاسية. كان يأمر بالسارق فتقطع يمينه وبالقاتل فيجز رأسه في السوق العامة. وكان يغير على البدو الباغين. وقيل: إنه في إغارة منه أفنى قبيلة بأسرها. تلك أمثلة قاسية ولكنها كانت درساً نافعاً. فقد قطع ابن سعود عشرات رؤوس اللصوص والقتلة، وأنقذ بذلك

رؤوس الألوّف من حجاج بيت الله الحرام. الآن تسير الفتاة من طرف الجزيرة إلى طرفها الآخر، تحمل الذهب لا يتطلع إليها أحد. بل يرى الناس قطعة الذهب أو الفضة ملقاة على الأرض، تسقط من بعض المارة. فلا يقربوها وإنما يبلغوا عنها الشرطة، وهكذا حتى أصبحت لا تضيع ذرة متاع لإنسان في الحجاز... الأمّن في الحجاز لا مثيل له في بلد من بلاد العالم الآن. لا مثيل له في أي قطر من أقطار الدنيا بدون استثناء. هذا الملك الواسع، هذا النظام المحكم، هذه الحكومة الراقية. هذه النهضة المباركة، هذا كله أقامه رجل واحد. رجل كان منذ سنوات طريداً من دياره، مشرداً من أهله رجل لم يخرج من جزيرة العرب طوال حياته. لم يعرف الغرب ويحتك به وبمدنيته. لم ينتسب لجامعة ولم يدرس السياسة في مدرسة. ولا تعلم الحرب في كلية، ومع ذلك فهو من دهاء الساسة، دائماً بعيد النظر، ثاقب الفكر، راجح العقل، صحيح الرأي. وكان جندياً باسلاً ومخططاً ماهراً.. ذلك الرجل هو عبدالعزيز آل سعود<sup>(٨٠)</sup>.

وفي نفس السياق يقول فؤاد شاکر ما نصه: "لقد نعمت هذه البلاد في عهد جلالة الملك عبد العزيز بما لم يسبق لها أن تتخيله أو تظنه فيما سبق لها من العهود؛ وقد نعم الناس في عهد جلالته أيضاً بما رأوه من التقدم العام الذي شمل البلاد وانتفعت منه العباد، فكان لهم من وسائل الرفاهية والاستقرار وشيوع الأمن وتقدم العلوم والفنون ما لم يكن من قبل وما لم يكن يظن أنه في الإمكان... إلى جانب ما هو معروف للجميع من حرص جلالته على إقامة العدل بين الناس وتوطيد الأمن ونشر العلوم والمعارف وسعي جلالته الأكيد لتأمين استقرار البلاد في حياته الخاصة والعامّة في كل نواحي الحياة"<sup>(٨١)</sup>.

بل ذهب بعضهم إلى ما لمسه من الأمن والتعايش السلمي في الحجاج والذي تحقق على يد جلالته - طيب الله ثراه - إلى تشبيه الحجاز بالمدينة الفاضلة المذكورة في الأساطير والأقرب إلى الخيال منها إلى الواقع<sup>(٨٢)</sup>.

وفي رسالة بعث بها ملك المغرب الملك محمد الخامس سنة ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م إلى القائد المؤسس عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - يبلغه فيها عما طارت به الركبان، وتسامر به الشيوخ والولدان، عن عدل جلالته وحرصه على تطبيق الشريعة الإسلامية وتيسيره كافة السبل الكفيلة براحة الحجاج وسلامتهم. قوله: "فلطالما روت لنا الأنباء ما لجلالتكم من باهر المآثر، وعظيم المزايا والمفاخر، في صيانة دعائم الدين، والمحافظة على شريعة النبي ﷺ، والاهتمام بتسهيل سبل الحج على المسلمين، ليؤدوا فريضتهم ويشهدوا منافع لهم"<sup>(٨٣)</sup>.

ومن العوامل المهمة التي ساعدت الملك عبد العزيز - رحمه الله - على تحقيق ما كانت تصبو إليه الأمة الإسلامية والعربية، وتراه قادراً على تحقيقها التريبة الإيمانية التي بثها في أبناء شعبه المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وتطبيقها مما كان لها الأثر الواضح في ذلك الأمن.

ولنقف هنا مع كلمة لجلالته - طيب الله ثراه - التي ألقاها في الحفل السنوي الذي أقامه جلالته تكريماً لكبار الحجاج في القصر الملكي بمكة المكرمة، بتاريخ ٦ من ذي الحجة ١٣٥١هـ (١٢ نيسان / إبريل ١٩٣٢م)، مستعرضاً فيه أحوال الحجاج قائلًا: "وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، والحجاج قد تولاه ناس قبلنا من الأتراك والأشراف، والرجال الموجودون اليوم هم أبناء الرجال السابقين، يعرفون حال الحجاج السابقة، ولا يخفاكم أيضاً ما كان فيه من سفك الدماء وعمل المعاصي وعدم الأمن، فلما ولانا الله عملنا ما نستطيع نحن عباد مستعبدون لله، ليس لنا طريقة وليس لنا مذهب غير الدين الحنيف، وهذا كتاب الله بين أيدينا، وهذا شرع الإسلام نتبعه.. يقولون: ابن سعود يأخذ قرصاً من الإنجليز... وابن سعود يريد أن يفعل ويصنع.. فأنا لم آخذ مال أهل الحجاج ولا حلالهم.. بل أصلحت حال الحجاج وحال أهله... في هذه البلاد الطاهرة.. لقد أمنت الطريق، وضربت على يد الظالم، وأقمت

شرع الله في جميع أنحاء المملكة من الخليج إلى البحر الأحمر... ومن صيباً إلى جيزان إلى قريات الملح<sup>(٨٤)</sup>. وهنا يستعرض جلالته ما كان عليه الحجاز من سفك الدماء وسلب ونهب في ظل حكومات عدة لم تستطع أن تغير من تلك الحالة شيئاً يذكر، فلما آل الأمر إلى جلالته تغيرت الأمور في وقت وجيز، وأصبح الأمّن في كل ناحية من نواحي الحجاز بأسرها، مؤكداً جلالته أن ذلك لم يكن إلا بفضل من الله وأتباع للقرآن الكريم والسنة المطهرة وتطبيقها من لدن جلالته، مستشهداً بجلالته في تغير الحال بعد أن أصبح تغيره محالاً من وجهة نظر أهل الحجاز وغيرهم من مسلمي العالم، الذين عاصروا الحكومات السابقة لحكم جلالته، ولم يكن ذلك من جلالته إلا ليكون هؤلاء شهداء على أنفسهم لما حصل على يده الكريمة من تغير واضح ملموس.

وبالتالي فقد حق للقائل أن يقول: "إذا كانت نجد تفخر بمحمد بن سعود مؤسس هذه الأسرة، وفيصل العظيم جد عبد العزيز، فإن جزيرة العرب تفخر بعبد العزيز، فقد خلق عهداً من الأمان والطمأنينة في جزيرة العرب، ولاسيما في البلاد المقدسة، لم تعرفه الجزيرة من قبل"<sup>(٨٥)</sup>.

بهذه السيرة العطرة، والأخلاق الزكية، والإخلاص في القول والعمل، والاعتماد على الله أولاً وأخيراً، والعدل بين الناس، وتطبيق شرع الله، استطاع الملك عبد العزيز فرض حبه واحترامه بين رعيته، وتطبيق شرع المولى عز وجل، والأخذ على أيدي المعتدين، حتى أصبحت مكة المكرمة مضرب الأمثال في الأمن والأمان في ظل حكم الملك عبد العزيز آل سعود - طيب الله ثراه - ولم يكن ذلك قاصراً على مكة المكرمة وحدها بل شمل ذلك الأمن كل البقاع التي دخلت ضمن حكم جلالته رحمه الله.

## الختامة

ختاماً لهذه الدراسة التي أبرزت أهمية الأمن في ازدهار الحضارات، ونشوء الأجيال، والتمكن من التعليم والبناء وبالتالي فقد كان هذا المنهج القويم ديدن القائد المؤسس الملك عبدالعزيز آل سعود -رحمه الله- في مسيرة التوحيد والبناء، وقد بين البحث في طياته ما كانت عليه مكة المكرمة من تذبذب أمني انعكس بدوره على كافة مناحي الحياة وكيف أن هذا الأمر قد تلاشى وأضحى من الماضي بعد ضم الملك عبدالعزيز -رحمه الله- لمكة المكرمة.

وعلى ضوء الدراسة يمكن استنتاج ما يلي:

- ١- عاشت مكة المكرمة قبيل ضمها لحكم الملك عبدالعزيز آل سعود حالة من الانعدام الأمني أثر بدوره على كافة مناحي الحياة.
- ٢- انعكس فقدان الأمن في مكة المكرمة على قاصدي البيت الحرام سلباً بالقتل والسلب.
- ٣- كانت القبائل الحجازية في حالة من الفوضى وعدم الانضباط واتخاذ السلب والنهب مهنة تراوحتها.
- ٤- استنجد اهالي الحجاز بالملك عبدالعزيز لما شعروا به من الأمن في المناطق التي انضوت تحت لوائه.
- ٥- هدف الملك عبدالعزيز -رحمه الله- من ضم الحجاز اشاعة الأمن والطمأنينة وخدمة قاصدي البيت الحرام.
- ٦- تغير أوضاع مكة المكرمة من تثبيت النظام والحساب والعقاب من قبل الملك عبدالعزيز -رحمه الله- مما لوحظ من زيادة أعداد الحجاج.
- ٧- كف القبائل عن الأعمال الاجرامية السابقة التي كانت تراوحتها قبل حكم الملك عبدالعزيز -رحمه الله- وانخراطها في منظومة البناء والوحدة السعودية.

٨- تحقيق الملك عبدالعزيز-رحمه الله-للمنظومة الأمنية التي عجز عنها الكثير ممن كانوا قبله في حكم الحجاز.

وما كان ذلك كله إلا بتوفيق من المولى عز وجل ثم بالعمل الدؤوب الخالص من جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود-رحمه الله-لتنعم هذه البلاد وابتناؤها بالخير والأمن والازدهار.

تم بحمد الله،،،



### الهوامش والتعليقات:

- (١) أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج١، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص١٣٣.
- (٢) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، بيروت: دار القلم، ١٤١٢هـ، ص٩٠.
- (٣) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت: دار صادر، ج١٣، ط٣، ١٤١٤هـ، ص٢١.
- (٤) علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م، ص٣٧.
- (٥) الفيرز آبادي، مجد الدين: القاموس المحيط، تحقيق: مؤسسة الرسالة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج١، ط١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص١١٧٦.
- (٦) الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج١٧، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ص٣١٠-٣١١.
- (٧) المصدر السابق، ج٢٤، ص٦٢٣.
- (٨) أخرجه البخاري (٧٠٧٥) (٩ / ٤٩)، ومسلم (٢٦١٥) (٤ / ٢٠١٩).
- (٩) أخرجه البخاري (٦٨٧٤) (٩ / ٤)، ومسلم (١٠٠) (١ / ٩٨).
- (١٠) أخرجه البخاري (٤٨) (١ / ١٩)، ومسلم (٦٤) (١ / ٨١).
- (١١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٦٢٧) (٥ / ١٧)، وكذلك النسائي في سننه (٤٩٩٥) (٨ / ١٠٤).
- (١٢) أخرجه البخاري (٦٠١٦) (٨ / ١٠).
- (١٣) أخرجه أبو داود في سننه (٥٠٠٤) (٤ / ٣٠١).

- (١٤) أخرجه البخاري (٥٤) (١/ ٧٤).
- (١٥) حسين بن محمد علي: المدخل المعاصر لمفاهيم ووظائف العلاقات العامة، القاهرة، مكتبة الانجلو، ١٩٨٦م، ص ٢٣٧.
- (١٦) محمد فتحي أمين: قاموس المصطلحات العسكرية، بغداد، ١٩٨٢م، ص ٥٩.
- (١٧) للمزيد حول تسمية مكة انظر:
- الفاسي، محمد بن أحمد: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، ج ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ٦٧٦٨.
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، ج ١، المصدر السابق، ص ١٤٠.
- ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ج ٥، ط ٢، ١٩٩٥م، ص ١٨١-١٨٢.
- (١٨) الطبري، محمد بن جريد: جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢، المصدر السابق، ص ٢٥.
- (١٩) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٤.
- (٢٠) مجاهد بن جبر: تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام، مصر، دار الفكر الإسلامي الحديث، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، ص ٢١٤.
- (٢١) الحسين بن محمود البغوي: تفسير البغوي، تحقيق: محمد النمر وآخرون، دار طيبة، ج ١، ط ٤، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ١٤٦.
- (٢٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ٤١٣.
- (٢٣) علي بن محمد الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان داوودي، بيروت، دار القلم، ١٤١٥هـ، ص ١٣٠.

- (٢٤) محمد بن أحمد ابن الضياء: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المنورة والقبر الشريف، تحقيق: علاء إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ص ١٦٥.
- (٢٥) عبد الله بن محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (تفسير الطبري)، تحقيق: أحمد البردوني وآخرون، القاهرة، دار الكتب المصرية، ج٢، ط٢، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، ص ١١١.
- (٢٦) الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن، ج٦، المصدر السابق، ص ٢٩-٣٠.
- (٢٧) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد: تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: عادل الشدي، الرياض، دار الرياض، ج٢، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م، ص ٧٣٣.
- (٢٨) عبد الله بن محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ج٩، المصدر السابق، ص ٣٧١.
- (٢٩) ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، ج٤، المصدر السابق، ص ٥١٤.
- (٣٠) المصدر السابق، ج٦، ص ٢١٨.
- (٣١) عبد الله بن محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ج١٣، المصدر السابق، ص ٢٤٦.
- (٣٢) الحسين بن مسعود البغوي: تفسير البغوي، ج٦، المصدر السابق، ص ٢٥٥.
- (٣٣) الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن، ج٤، المصدر السابق، ص ٥٠٥.
- (٣٤) ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، ج٨، المصدر السابق، ص ٤٩٢.
- (٣٥) عون الرفيق (١٢٥٦-١٣٢٣هـ / ١٨٤١-١٩٠٥م): عون الرفيق "باشا بن عبد المعين بن عوف. شريف حسني، من أمراء مكة. ولد في مكة. وولي إمارتها سنة ١٢٩٩هـ، كان جباراً طاغية، خافه الناس. توفي بالطائف. خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، ج٥، ط١٥، ٢٠٠٢م، ص ٩٧.
- (٣٦) إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين، ج٢، دت، ص ٧١.

(٣٧) المؤيد، ع (٤٢٣٠)، ٢٣ محرم ١٣٢٢ هـ / ٩ إبريل ١٩٠٤ م، نقلاً عن إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٥-٧٦.

(٣٨) المؤيد: ع (٤٢٣٠)، ٢٣ محرم ١٣٢٢ هـ / ٩ إبريل ١٩٠٤ م، نقلاً عن: إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٦-٧٧.

(٣٩) المؤيد، ع (٤٢٤٥)، ١١ صفر. نقلاً عن: إبراهيم باشا، المصدر السابق، ج ١، ص ٧٨.

(٤٠) محمد ليبب البتوني: الرحلة الحجازية، القاهرة، مكتب الثقافة الدينية، دت، ص ٣٦٥.

(٤١) هـ. س أرمسترونج: عبد العزيز آل سعود سيد الجزيرة العربية، ترجمة/ يوسف نور، مطابع الأهرام، د. ت، ص ٢١٣.

(٤٢) محمد ليبب البتوني: الرحلة الحجازية، المرجع السابق، ص ٣٦٤.

(٤٣) أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي (١٢٨٥-١٣٥١ هـ / ١٨٦٨-١٩٣٢ م): أشهر شعراء العصر الأخير. يلقب بأمير الشعراء. مولده ووفاته بالقاهرة: للمزيد انظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ١، المصدر السابق، ص ١٣٦-١٣٧.

(٤٤) للاطلاع على القصيدة كاملة. انظر: أحمد شوقي: الشوقيات، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ١٩٥٣ م، ج ١، ص ٢٥٢-٢٥٥.

(٤٥) الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون (١٢٧٠-١٣٥٠ هـ / ١٨٥٤-١٩٣١ م) أول من قام في الحجاز باستقلال العرب عن الترك، وآخر من حكم مكة من الأشراف الهاشميين. ولد في الأستانة. وعين أميراً على مكة سنة ١٣٠٩ هـ. للمزيد انظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٢، المصدر السابق، ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٤٦) محمد جلال كشك: السعوديون والحل الإسلامي، لندن، ط ٣، ١٩٨١ م، ص ٥٠١.

(٤٧) إبراهيم عويض العتيبي: الأمن في عهد الملك عبد العزيز "تطوره وآثاره" (١٣١٩-١٣٧٣ هـ / ١٩٠٠-١٩٥٣ م)، رسالة ماجستير، الرياض، جامعة الملك سعود، ص ١٦.

(٤٨) المرجع السابق، ص ١٦.

(٤٩) مديحة أحمد درويش: تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، جدة، دار الشروق، ط ٢، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ١٦٥.

(٥٠) وليد محمد جميل: مرافق الحج وخدماتها المدنية في عهد الملك عبد العزيز ١٣٤٣-١٣٧٣هـ / ١٩٢٤-١٩٥٣م، رسالة ماجستير، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص ١٥.

(٥١) بنو ميشان: عبد العزيز آل سعود سيرة بطل ومولد مملكة، ترجمة: عبد الفتاح ياسين، بيروت، دار الكتاب العربي، ص ٢٠٥.

(٥٢) وليد محمد جميل: مرافق الحج وخدماتها المدنية في عهد الملك عبد العزيز ١٣٤٣-١٣٧٣هـ / ١٩٢٤-١٩٥٣م، المرجع السابق، ص ١٤-١٥.

(٥٣) انظر:

- أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث، بيروت، دار الجيل، ص ٣٥٩.
- خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٧م، ج ٧، ص ٣٣٥.
- بيار روفيل: صقر الصحراء، بيروت، منشورات حمد ومحيو، ١٩٧٢م، ص ٣٣٠.

(٥٤) تعددت القاب الملك عبد العزيز فكان يُعرف بأمير نجد ورئيس عشائرها أثناء انشغاله بتوحيد نجد، وانفرد الترك بمخاطبته والي نجد وقائدها عبدالعزيز باشا، بينما اقر مؤتمر الرياض سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢١م منحه لقب "السلطان"، واستكمالاً لمنظومة الوحدة بعد ضم إمارة آل عائض في عسير وأمارة حائل في الشمال سنة ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م لقب ب"سلطان نجد وملحقاتها"، وبعد دخول جدة ضمن حكمه ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م أصبح لقبه "جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها"، وفي رجب ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م لقب ب"جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها"، وبعد اكتمال توحيد المملكة ككل صدر المرسوم الملكي في ١٧ / ٥ /

- ١٣٥١هـ بالتسمية الحالية للمملكة العربية السعودية ولقب جلالة ملك المملكة العربية السعودية لمن يتولى حكم البلاد. للمزيد انظر: خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ٢، المرجع السابق، ص ٦٤٩-٦٥١.
- (٥٥) حافظ وهبه: خمسون عاماً في جزيرة العرب، القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٥٧ - ٥٨ - ٥٩.
- (٥٦) إيف بيسون: ابن سعود ملك الصحراء تأسيس المملكة العربية السعودية، ترجمة: عبدالله الدليمي وآخرون، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز، ١٤١٩هـ، ص ٢٤٧-٢٥٢.
- (٥٧) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ١، المرجع السابق، ص ٣٣٣.
- (٥٨) حافظ وهبة (١٣٠٧-١٣٨٧هـ/ ١٨٨٩-١٩٦٧م): مصري الأصل والمولد والمنشأ، تعلم بالأزهر وبمدرسة القضاء الشرعي. عمل في حزب صحافة الحزب الوطني بالقاهرة والأستانة. تنقل بين عدد من الدول مثل: الهند والكويت والمملكة العربية السعودية. عينه الملك عبدالعزيز وزيراً مفوضاً بلندن ثم سفير عام ١٩٣٨م. توفي في روما سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م. للمزيد أنظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ج ٢، ط ١٥، ٢٠٠٢م، ص ١٦٠.
- (٥٩) حافظ وهبة: خمسون عاماً في جزيرة العرب، المصدر السابق، ص ٦٤-٦٥.
- (٦٠) محمد جلال كشك: السعوديون والحل الإسلامي، المرجع السابق، ص ٥٠١.
- (٦١) مديحة أحمد درويش: تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، المرجع السابق، ص ١٢٧.
- (٦٢) إيف بيسون: ابن سعود ملك الصحراء تأسيس المملكة العربية السعودية، المرجع السابق، ص ٢٤٠.
- (٦٣) المرجع السابق، ص ٢٤٤.

- (٦٤) وليد محمد جميل: مرافق الحج وخدماتها المدنية في عهد الملك عبد العزيز ١٣٤٣-١٣٧٣هـ/  
١٩٢٤-١٩٥٣م، المرجع السابق، ص٢٨-٢٩.
- (٦٥) رابح لطفي جمعة: حالة الأمّن في عهد الملك عبد العزيز، الرياض، مطبوعات دار الملك عبد  
العزيز، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص١٤٥-١٤٦.
- (٦٦) أحمد عسة: معجزة فوق الرمال، بيروت، المطابع الأهلية اللبنانية، ١٩٦٥م، ص٩٧.
- (٦٧) أحد موارد دخل القبائل الحجازية قبل حكم الملك عبدالعزيز-رحمه الله- إذ لم تكن تسمح  
لأحد بالمرور عبر مناطق سيطرتها إلا بعد أخذ الإذن منها والدفع لتلك القبائل مقابل المرور  
وحميته وهذا ما يُعرف بالخوة.
- للمزيد أنظر: أحمد عسة: معجزة فوق الرمال، المرجع السابق، ص١٠٦.
- (٦٨) المرجع السابق، ص١٠٧.
- (٦٩) رابح لطفي جمعة: حالة الأمّن في عهد الملك عبد العزيز، الرياض، المرجع السابق، ص٥٤.
- (٧٠) هـ. س أرمسترونج: عبد العزيز آل سعود سيد الجزيرة العربية، المرجع السابق، ص٢١٣.
- (٧١) مديحة أحمد درويش: تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، المرجع  
السابق، ص١٦٥-١٦٦.
- (٧٢) إبراهيم عويض العتيبي: الأمّن في عهد الملك عبد العزيز "تطوره وآثاره" (١٣١٩-١٣٧٣هـ/  
١٩٠٠-١٩٥٣م)، المرجع السابق، ص٢٤-٢٥.
- (٧٣) للمزيد انظر:
- أحمد عسة: معجزة فوق الرمال، المرجع السابق، ص٩٩-١٠٠.
- حافظ وهبه: خمسون عاماً في جزيرة العرب، المصدر السابق، ص٦٧-٦٨-٦٩.
- (٧٤) وليد محمد جميل: مرافق الحج وخدماتها المدنية في عهد الملك عبد العزيز ١٣٤٣-١٣٧٣هـ/  
١٩٢٤-١٩٥٣م، المرجع السابق، ص١٠٧.

- (٧٥) مجلة الكويت العراقي، أندونيسيا، ع(١٠)، ١ صفر ١٣٥١هـ / يونية ١٩٣٢م، نقلاً عن: عبد الله الشهيل، فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة ١٣٣٣هـ-١٣٥١هـ / ١٩١٥م - ١٩٣٢م، دراسة تاريخية تحليلية، ص ١٩٧.
- (٧٦) عبد الله سعد الداود: الطرق وأمنها في عهد الملك عبد العزيز، الرياض، مطابع الأوفس، د. ت، ص ٢١٢.
- (٧٧) المرجع السابق، ص ٢١٣.
- (٧٨) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ١، المرجع السابق، ص ٣٥١.
- (٧٩) خير الدين الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، بيروت دار العلم للملايين، ط ٦، ٢٠٠٠م، ص ١٠٤-١٠٥.
- (٨٠) نقلاً عن: خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز، ج ١، المرجع السابق، ص ٤٥٣-٤٥٤.
- (٨١) نقلاً عن: رابع لطفي جمعة: حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، الرياض، المرجع السابق، ص ٧١.
- (٨٢) أحمد عسة: معجزة فوق الرمال، المرجع السابق، ص ١٠٧.
- (٨٣) عبد الكريم الحاج: الأمن في مكة المكرمة من خلال مخطوطات الرحالة المغاربة، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، والمنعقد في رحاب جامعة أم القرى خلال الفترة من ١٣-١٥ / ٨ / ١٤٢٦هـ - ١٧-١٩ / ٩ / ٢٠٠٥م، ص ٣٤٥.
- (٨٤) محيي الدين القابسي: المصحف والسيوف، دار الصحراء السعودية للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ص ٧٥-٧٧.
- (٨٥) حافظ وهبه: خمسون عاماً في جزيرة العرب، المصدر السابق، ص ٣١.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً: الكتب العلمية:

- ١- إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين، ج٢، دت.
- ٢- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، بيروت: دار القلم، ١٤١٢هـ.
- ٣- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني: سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ج٤، دت.
- ٤- أبو عبد الرحمن بن شعيب بن علي الخراساني النسائي: المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ج٨، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٥- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج٦، ط٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٦- أحمد عسة: معجزة فوق الرمال، بيروت، المطابع الأهلية اللبنانية، ١٩٦٥م.
- ٧- إسماعيل بن عمر بن ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، ج٨، ط٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٨- أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث، بيروت، دار الجيل.
- ٩- أيف بيسون: ابن سعود ملك الصحراء تأسيس المملكة العربية السعودية، ترجمة: عبد الله الدليمي وآخرون، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز، ١٤١٩هـ.
- ١٠- بنو ميشان: عبد العزيز آل سعود سيرة بطل ومولد مملكة، ترجمة: عبد الفتاح ياسين، بيروت، دار الكتاب العربي.
- ١١- بيار روفایل: صقر الصحراء، بيروت، منشورات حمد ومحيو، ١٩٧٢م.
- ١٢- حافظ وهبه: خمسون عاماً في جزيرة العرب، القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

- ١٣- الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: عادل الشدي، الرياض، دار الرياض، ج ٥، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م.
- ١٤- الحسين بن محمود البغوي: تفسير البغوي، تحقيق: محمد النمر وآخرون، دار طيبة، ج ٨، ط ٤، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- ١٥- حسين بن محمد علي: المدخل المعاصر لفاهيم ووظائف العلاقات العامة، القاهرة، مكتبة الانجلو، ١٩٨٦م.
- ١٦- خير الدين الزركلي:
- الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، بيروت، دار العلم للملايين، ط ١٠، ٢٠٠٠م.
  - شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ٤، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٧، ١٩٩٧م.
  - الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ج ٨، ط ١٥، ٢٠٠٢م.
- ١٧- رابع لطفي جمعة: حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، الرياض، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ١٨- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي: معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ج ٧، ط ٢، ١٩٩٥م.
- ١٩- عبد الله بن محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (تفسير الطبري)، تحقيق: أحمد البردوني وآخرون، القاهرة، دار الكتب المصرية، ج ٢٠، ط ٢، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
- ٢٠- عبد الله سعد الداود: الطرق وأمنها في عهد الملك عبد العزيز، الرياض، مطابع الأوفس، د. ت.
- ٢١- عبد الله بن محمد الشهيل: فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة ١٣٣٣-١٣٥١هـ / ١٩١٥-١٩٣٢م دراسة تاريخية تحليلية، د. ت.
- ٢٢- علي بن محمد الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان داوودي، بيروت، دار القلم، ١٤١٥هـ.
- ٢٣- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني: التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

- ٢٤- مجاهد بن جبر: تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام، مصر، دار الفكر الإسلامي الحديث، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- ٢٥- مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق: مؤسسة الرسالة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج١، ط٨، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- ٢٦- محمد بن أحمد ابن الضياء: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المنورة والقبر الشريف، تحقيق: علاء إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- ٢٧- محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، ج٢، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- ٢٨- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ج٩، ١٤٢٢هـ.
- ٢٩- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج٢٤، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- ٣٠- محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي: سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ج٥، ط٢، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.
- ٣١- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي: لسان العرب، بيروت: دار صادر، ج١٥، ط٣، ١٤١٤هـ.
- ٣٢- محمد جلال كشك: السعوديون والحل الإسلامي، لندن، ط٣، ١٩٨١م.
- ٣٣- محمد فتحي أمين: قاموس المصطلحات العسكرية، بغداد، ١٩٨٢م.
- ٣٤- محمد لبيب البنتوني: الرحلة الحجازية، القاهرة، مكتب الثقافة الدينية، دت.
- ٣٥- محيي الدين القابسي: المصحف والسيف، دار الصحراء السعودية للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- ٣٦- مديحة أحمد درويش: تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، جدة، دار الشروق، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣٧- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج ٥.

٣٨- هـ. س أمسترونج: عبد العزيز آل سعود سيد الجزيرة العربية، ترجمة: يوسف نور، مطابع الأهرام، د. ت.

#### ثانياً: الرسائل العلمية:

١- إبراهيم عويض العتيبي: الأمن في عهد الملك عبد العزيز "تطوره وآثاره" (١٣١٩-١٣٧٣هـ/ ١٩٠٢-١٩٥٣م)، رسالة ماجستير، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٢- وليد محمد جميل: مرافق الحج وخدماتها المدنية في عهد الملك عبد العزيز (١٣٤٣-١٣٧٣هـ/ ١٩٢٤-١٩٥٣م)، رسالة ماجستير، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

#### ثالثاً: المؤتمرات والندوات العلمية:

١- حسن الساعاتي: سياسة الملك عبد العزيز لحفظ الأمن في المملكة العربية السعودية، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود والمنعقد في رحاب جامعة محمد بن سعود الإسلامية بالرياض خلال الفترة من ١٩-٢٣ ربيع الأول من عام ١٤٠٦هـ الموافق ١-٥ ديسمبر من عام ١٩٨٥م، ج ٣.

٢- عبد الكريم الحاج: الأمن في مكة المكرمة من خلال مخطوطات الرحالة المغاربة، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، والمنعقد في رحاب جامعة أم القرى خلال الفترة من ١٣-١٥ / ٨ / ١٤٢٦هـ - ١٧-١٩ / ٩ / ٢٠٠٥م.





## **Supervisory and Editorial**

### **General Supervisor**

**Dr. Bakry bin Matuq Assas**

Rector, Umm Al-Qura University

### **Vice-General Supervisor**

**D. Thamir bin Hamdan Al-Harbi**

Vice-Rector for Graduate Studies and Scientific Research

### **Editor in Chief**

**Prof. Yousef bin Ali Althagafi**

### **Members**

Prof. Abdullah Bin Saeed Al-Gamidi

Prof. Abdullah Bin Mosleh Al-Thomaly

Prof. Lutf Allah Bin Mullah Khojah

Prof. Ghaleb Bin Mohammed Hamdhi

Prof. Ahmed Bin Qochti Maklof

Dr. Mohammed Bin Abdullah Al-Suwat

Prof. Wafaa Bint Abdullah Al-Mazroa

Prof. Afnan Bint Mohammed Tilmisani



**In the Name of Allah  
The Most Gracious The Most Beneficent**





**Umm Al-Qura University**  
**Journal of Islamic Knowledge (Shari'a)**  
**and Islamic Studies**

**Volume No. 70**

**SHA'BAN 1438Ah. May. 2017**

**Part 1**